فراس السوّاح

الإنجيل برواية القرآن



الإنجيـــــــل

برواية

القـــــــــرآن

فراس السواح

الإنجيل

برواية

القرآن

♦ الإنجيل برواية القرآن.

- تأليف: فراس السواح.
- سنة الطباعة 2017.
- عدد النسخ 1000.
- الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-18-667-8

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار علاء الدين
للنشر والطباعة والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5617071
فاكس: 00963 11 5613241
ص. ب: 30598 جرمانا
www.zoyaala-addin.com
ala-addin@mail.sy

دار ومؤسسة رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
سوريا ـ دمشق ـ جرمانا
هاتف: 00963 11 5627060
00963 11 5637060
فاكس: 00963 11 5632860
ص. ب: 259 جرمانا
www.darrislan.com
darrislansyria@gmail.com

وفـــاءً لذكرى

السيدة زويـــا ميخائيلينكو

لدورها الكبير في مسيرة دار علاء الدين

فاتحة

«الإنجيل» بالمعنى اليوناني الأصلي لهذه الكلمة: «إيفانجليون»، يعني «البشارة». وهو نوع من الأدب الديني الذي يقصّ عن حياة يسوع المسيح وتعاليمه وأقواله، ثم موته وبعثه. ولدينا أربعة أناجيل أقرتها الكنيسة الرسمية في أواخر القرن الثاني الميلادي، وضمتها إلى أول كتالوج رسمي للكتاب المقدس المسيحي المدعو بالعهد الجديد، وهي:

1- إنجيل متى.

2- إنجيل مرقس.

3- إنجيل لوقا.

4- إنجيل يوحنا.

وقد دونت هذه الأناجيل باللغة اليونانية في الفترة ما بين 70-110 للميلاد. إلى جانب الأناجيل الأربعة، فإن الكتاب المقدس المسيحي يحتوي على عدد آخر من الأسفار، وهي:

- أعمال الرسل المعزو تدوينه إلى لوقا.

- رسائل بولس الرسول.

- رسالة يعقوب.

- رسالتين لـ بطرس.

- ثلاث رسائل لـ يوحنا.

- رسالة يهوذا.

- رؤيا يوحنا.

إلى جانب هذه الأسفار التي اعتبرت قانونية ومكتوبة بإلهام من الروح القدس، هنالك عدد من الأناجيل التي لم تقرها الكنيسة الرسمية، واعتبرتها منحولة، أي منسوبة زوراً إلى أسماء شخصيات بارزة في العهد الجديد، مثل إنجيل يعقوب، ومنحول متى، والإنجيل العربي، وإنجيل توما الإسرائيلي، وتاريخ يوسف النجار. ومعظم هذه الأناجيل يهتم بتاريخ أسرة مريم وطفولتها

وحياتها السابقة، وميلاد يسوع وطفولته، وما إلى ذلك من المواضيع التي لم تأخذ حظاً وافراً من عناية مؤلفي الأناجيل الرسمية.

وعلى الرغم من أن هذه الأناجيل قد بقيت على هامش الأسفار الرسمية للعهد الجديد، إلا أنها كانت متداولة على نطاق واسع، وأدت دوراً مهماً في تزويد الخيال الشعبي والتقوى المسيحية بمادة غنية. كما أمدت الفن التشكيلي بكثير من العناصر والأفكار التي بقي يعالجها وصولاً إلى العصور الحديثة، وذلك مثل ميلاد العذراء، وتقديمها إلى الهيكل، ومغارة الميلاد، وبشارة الملاك لـ مريم وهي جالسة تنسج حجاب الهيكل. كما قدمت مادة غنية للموسيقى والتراتيل الكنسية، وصارت بعض أحداثها مناسبات دينية احتفالية، مثل عيد صعود السيدة العذراء.

في مطلع القرن السابع للميلاد، عند ظهور الإسلام، كان العالم المسيحي غارقاً في الأناجيل المنحولة، ولم تكن الكنيسة المركزية قد أفلحت تماماً في تنميط المعتقد المسيحي والقضاء على ما أسمته بالهرطقات التي كانت تحمل أفكاراً ورؤى لا تنسجم من قرارات المجامع المسكونية المتتالية منذ مجمع نيقية عام 325م.

أي إن القرآن قد أُنزل في مناخ ثقافي مشحون بالجدال بين المسيحيين واليهود من جهة، وبين المسيحية والوثنية من جهة ثانية، وبين الفرق المسيحية المتناحرة من جهة ثالثة. وقد أدلى القرآن الكريم بدلوه في خضم هذا الجدل السائد، وقدم روايته الخاصة ومنظوره الأيديولوجي الخاص فيما يتعلق بطبيعة يسوع وميلاده وحياته وأقواله وتعاليمه. وهذه الرواية تشكل في حد ذاتها إنجيلاً يمكن إضافته إلى الأناجيل غير القانونية. إنه الإنجيل برواية القرآن.

سنقوم في هذا الكتاب بإجراء مقارنة شاملة بين ما جاءت به الرواية القرآنية من معلومات وأفكار، وبين الأناجيل القانونية الأربعة وبقية أسفار العهد الجديد، إضافة إلى الأناجيل المنحولة، لأن الرواية القرآنية تحتوي على مادة غنية شبيهة بمادة الأناجيل المنحولة وغائبة عن الأناجيل القانونية. والهدف من وراء ذلك هو إظهار مدى التشابك والتشابه بين الرواية الإنجيلية بشقيها والرواية القرآنية؛ الأمر الذي يجعل الرواية القرآنية أشبه برواية تقوم على جدل مسيحي داخلي، لا على جدل بين ديانتين مختلفتين. كما وسنقوم عبر ثنايا الكتاب بإجراء مقارنة بين اللاهوت المسيحي الذي نسجته ببطء وعبر عدة قرون قرارات المجامع المسكونية، وبين لاهوت القرآن الكريم كما يتجلى في جدله المطروح مع أهل الكتاب، متعرضين إلى أكثر النقاط حساسية وإثارة للجدل بين الفريقين، مثل مفهوم ابن الله، ومفهوم الثالوث الأقدس، لنتوصل إلى نتيجة مفادها أن الهوة اللاهوتية بين الطرفين ليست على الدرجة التي نظنها من الاتساع، بعد أن ركّز كلاهما، وطوال قرون مديدة، على نقاط الاختلاف أكثر من تركيزهم على نقاط التلاقي.

لقد أردت لهذه الدراسة أن تكون نموذجاً في مقارنة الأديان، ووضعت نفسي على مسافة متساوية من كلا الطرفين؛ أي إنني لم أقصد إلى الجدل ولا إلى التبشير بأي من المعتقدين، أو إلباس أحدهما لبوس الحق والآخر لبوس الباطل.

إن جلّ ما أردته هو عرض ما يؤمن به المسيحيون والمسلمون فيما يخص عيسى عليه السلام، وتسليط الضوء على القواسم المشتركة بينهم، وهي أكثر بكثير مما يتوقع الطرفان. وكما سيكتشف القارئ تدريجياً، فإن التعابير والمصطلحات المختلفة من حيث الشكل، غالباً ما تخفي وراءها اتفاقاً في المضمون. على أنني في التركيز على نقاط الالتقاء لا أدعي وجود تلاقٍ كامل فيما يخص كل المفاهيم، فالاختلاف موجود، والحوار وحده كفيل بإظهار الاختلافات الحقيقية وفرزها عن الاختلافات الوهمية النابعة من سوء فهم كل طرف للآخر. فنحن كلما ازددنا معرفة بالمعتقد الآخر ازددنا له احتراماً، مثلما ازددنا فهماً لمعتقدنا الخاص واحتراماً له. كما إن الحوار وحده كفيل بتحويل الكثير من نقاط الاختلاف الفعلية إلى مجرد اختلافات شكلية.

فإذا استطاع هذا الكتاب أن يبدد بعضاً من سوء التفاهم بين الطرفين، يكون قد أدى الغرض منه، لأن سوء التفاهم هذا ينذرنا اليوم بكارثة على مستوى العالم؛ يهيئ لها ويغذيها الحَرْفيُّون من كلا العقيدتين.

مدخل إلى

«العهد الجديد»

في الأناجيل الأربعة:

لم يترك يسوع أثراً مكتوباً، بل تعاليم شفوية وسيرة حياة. وكانت الجماعات المسيحية الأولى تتناقل أقواله وأعماله وسيرة حياته، كما وصلت إليها عن طريق تلامذته المباشرين ممن رافقوه في مسيرته التبشيرية. وفي الحقيقة، فإن الأناجيل التي نعرفها اليوم لم تكن الأثر الأول المكتوب الذي كان المسيحيون الأوائل يعملون بهديه، فقد سبقتها رسائل بولس الرسول التي ظهرت تباعاً فيما بين عام 51 وعام 67م. وهو العام الذي استشهد فيه بمدينة روما أثناء موجة الاضطهاد الواسعة ضد المسيحيين في أيام الإمبراطور نيرون. ولكن رسائل بولس نفسها لم تحتوِ على أي شيء فيما يخص سيرة حياة يسوع المسيح أو أعماله وأقواله ومعجزاته. وتعاليم بولس تبتدئ من يسوع القائم من بين الأموات ربّاً ومخلصاً، وتنتهي عنده. فهو لم يشر بكلمة واحدة إلى السيدة مريم العذراء، ولا إلى ميلاد يسوع الإعجازي، ولا إلى كرازته[1] التي ابتدأت بعد هبوط الروح القدس عليه عقب معموديته بماء الأردن على يد يوحنا المعمدان، ولا إلى الأحداث التي قادت إلى محاكمته وصلبه. وهذا يعني أن أربعين سنة أو نحوها قد انقضت على وفاة يسوع دون أن يكون لدى الكنيسة وثيقة معتمدة فيما يخص يسوع التاريخي، وإنما مجموعة رسائل ذات طابع لاهوتي يتركز موضوعها الأساسي لا على حياة يسوع، وإنما على الآثار الخلاصية لصلبه وموته وقيامته.

وعندما مات معظم أفراد الجيل الذي سمع عن يسوع مباشرة أو سمع من تلامذة يسوع، حاملين معهم ذكرياتهم وانطباعاتهم المباشرة، طفت على السطح الخلافات والتناقضات داخل الكنيسة الأولى، وبدت الحاجة ماسة إلى تدوين سيرة يسوع وتعاليمه، وذلك بهدف تثبيت المعتقد المسيحي من جهة، أو توكيد وجهة نظر هذه الجماعة أو تلك. وهكذا ظهرت على التتابع الأناجيل الأربعة التي عزيت إما إلى شخصيات من العصر الرسولي مثل مرقس ولوقا، أو إلى تلاميذ مباشرين ليسوع مثل متّى ويوحنا. وجميع هذه الأناجيل دونت باللغة اليونانية التي كانت لغة الثقافة في ذلك العصر.

هناك شبه إجماع بين الباحثين في العهد الجديد اليوم على أن إنجيل مرقس هو أقدم الأناجيل، وأنه دُوِّن نحو عام 70م. وعلى الرغم من أن مرقس لم يكن أحد رسل يسوع الاثني عشر، ولا من الذين رأوه أو سمعوا منه، إلا أن سفر أعمال الرسل يذكر أنه قد رافق كلاً من بولس وبطرس. يليه إنجيل متى وإنجيل لوقا اللذان دُوِّنا بين عامي 80 و 90م. ومن المفترض أن صاحب إنجيل متى هو متى العشار[2] أحد رسل يسوع الاثني عشر. أما صاحب إنجيل لوقا، فمن المفترض أنه مرافق بولس الرسول الذي وصفه في رسالته إلى أهالي كولوسي بأنه الطبيب الحبيب (كولوسي 4: 14)، ووصفه في الرسالة إلى فليمون «بالعامل معي» (فليمون 24). أما إنجيل يوحنا، فقد دُوِّن بين عام 100 و 110م، ومن المفترض أن صاحبه هو التلميذ يوحنا، الشاب الذي كان يسوع يحبه، والذي اتكأ على صدره في جلسة العشاء الأخير (يوحنا 13: 23-25).

تدعى الأناجيل الثلاثة الأولى: متى ومرقس ولوقا، بالأناجيل المتشابهة، لأنها تعكس وجهة نظر موحدة تقريباً فيما يخص يسوع ورسالته؛ كما تدعى بالإزائية (synoptic)، لأن القصة فيها تسير عبر مفاصل رئيسة متقابلة، بحيث نستطيع المقارنة بينها عند وضعها إزاء بعضها في أعمدة ثلاثة. وإليكم مثال على ذلك:

مرقس 9: 30-31	متى 17: 22-23	لوقا 9: 43-44
*وَخَرَجُوا مِنْ هُنَاكَ وَاجْتَازُوا الْجَلِيلَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ *لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلاَمِيذَهُ وَيَقُولُ لَهُمْ إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ فَيَقْتُلُونَهُ وَبَعْدَ أَنْ يُقْتَلَ يَقُومُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ.	*وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ *فَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ».	*وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: *«ضَعُوا أَنْتُمْ هَذَا الْكَلاَمَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ».

وقد لاحظ الباحثون أن المادة التي قدمها مرقس تشكل قاسماً مشتركاً بين متى ولوقا، عالجها كل منهم على هذه الدرجة أو تلك من الإطالة والتفصيل. وعندما يختلف الاثنان عن مرقس فإنهما لا يتفقان معاً ضد مرقس. وهذا ما دعا الباحثين إلى الاستنتاج بأن إنجيل مرقس هو تأليف أصلي مستقل، اعتمده كل من متى ولوقا في نظم مادته بشكل خاص به. ولكن هذين الإنجيلين يحتويان على مادة غير موجودة عند مرقس ومشتركة بينهما في معظم الحالات، رتبها كل منهما بشكل مختلف عن الآخر، وهي تتعلق بأقوال يسوع وتعاليمه لا بأحداث حياته. ومن دراسة هذه المادة

وفرزها، تشكلت نظرية (المصدر الآخر) التي تقول إن متى ولوقا اعتمدا إلى جانب إنجيل مرقس مصدراً ثانياً يضم بين دفتيه مجموعة من أقوال يسوع، تشبه مجموعة الأقوال الواردة في إنجيل توما المنحول، الذي جمع فيه المؤلف 114 قولاً ليسوع من غير ربطها بسيرة حياة مطردة. وقد درج أنصار هذه النظرية على الإشارة إلى هذا المصدر بالحرف Q، وهو الحرف الأول من الكلمة الألمانية Quella التي تعني المصدر، لأن الباحثين الألمان كانوا أول من انتبه إلى هذه الظاهرة ودرسوها بعناية.

إن الكلمات التي استخدمها مؤلفو الأناجيل الثلاثة في بناء الجمل التي تصف حادثة معينة، تتشابه إلى درجة تجعل من المحال علينا أن نتصور أن كل مؤلف كان يعمل بشكل مستقل. والمثال التالي من قصة شفاء يسوع للمفلوج (المقعد) يوضح ما نرمي إليه:

إنجيل مرقس (2: 3-12):

*وَجَاءُوا إِلَيْهِ مُقَدِّمِينَ مَفْلُوجاً يَحْمِلُهُ أَرْبَعَةٌ. *وَإِذْ لَمْ يَقْدِرُوا أَنْ يَقْتَرِبُوا إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الْجَمْعِ كَشَفُوا السَّقْفَ حَيْثُ كَانَ. وَبَعْدَ مَا نَقَبُوهُ دَلَّوُا السَّرِيرَ الَّذِي كَانَ الْمَفْلُوجُ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ. *فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «يَا بُنَيَّ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». *وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ هُنَاكَ جَالِسِينَ يُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ: *«لِمَاذَا يَتَكَلَّمُ هَذَا هَكَذَا بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟» *فَلِلْوَقْتِ شَعَرَ يَسُوعُ بِرُوحِهِ أَنَّهُمْ يُفَكِّرُونَ هَكَذَا فِي أَنْفُسِهِمْ فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِهَذَا فِي قُلُوبِكُمْ؟ *أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ لِلْمَفْلُوجِ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ؟ *وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» - قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: *«لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ». *فَقَامَ لِلْوَقْتِ وَحَمَلَ السَّرِيرَ وَخَرَجَ قُدَّامَ الْكُلِّ حَتَّى بُهِتَ الْجَمِيعُ وَمَجَّدُوا اللَّهَ قَائِلِينَ: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هَذَا قَطُّ!».

إنجيل متى (9: 2-8):

*وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». *وَإِذَا قَوْمٌ مِنَ الْكَتَبَةِ قَدْ قَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ: «هَذَا يُجَدِّفُ!» *فَعَلِمَ يَسُوعُ أَفْكَارَهُمْ فَقَالَ: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ بِالشَّرِّ فِي قُلُوبِكُمْ؟ *أَيُّمَا أَيْسَرُ أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ *وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» - حِينَئِذٍ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «قُمِ احْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ!» *فَقَامَ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ. *فَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعُ تَعَجَّبُوا وَمَجَّدُوا اللَّهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَاناً مِثْلَ هَذَا.

إنجيل لوقا (5: 17-26):

*وَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ كَانَ يُعَلِّمُ وَكَانَ فَرِّيسِيُّونَ وَمُعَلِّمُونَ لِلنَّامُوسِ جَالِسِينَ وَهُمْ قَدْ أَتَوْا مِنْ كُلِّ قَرْيَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْيَهُودِيَّةِ وَأُورُشَلِيمَ. وَكَانَتْ قُوَّةُ الرَّبِّ لِشِفَائِهِمْ. *وَإِذَا بِرِجَالٍ يَحْمِلُونَ عَلَى فِرَاشٍ إِنْسَاناً مَفْلُوجاً وَكَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَدْخُلُوا بِهِ وَيَضَعُوهُ أَمَامَهُ. *وَلَمَّا لَمْ يَجِدُوا مِنْ أَيْنَ يَدْخُلُونَ بِهِ لِسَبَبِ الْجَمْعِ صَعِدُوا عَلَى السَّطْحِ وَدَلَّوْهُ مَعَ الْفِرَاشِ مِنْ بَيْنِ الأَجُرِّ إِلَى الْوَسَطِ قُدَّامَ يَسُوعَ. *فَلَمَّا رَأَى إِيمَانَهُمْ قَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ». *فَابْتَدَأَ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ يُفَكِّرُونَ قَائِلِينَ: «مَنْ هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِتَجَادِيفَ؟ مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَغْفِرَ خَطَايَا إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ؟» *فَشَعَرَ يَسُوعُ بِأَفْكَارِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ: «مَاذَا تُفَكِّرُونَ فِي قُلُوبِكُمْ؟ *أَيُّمَا أَيْسَرُ: أَنْ يُقَالَ مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ أَمْ أَنْ يُقَالَ قُمْ وَامْشِ. *وَلَكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لاِبْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَاناً عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» - قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «لَكَ أَقُولُ قُمْ وَاحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ». *فَفِي الْحَالِ قَامَ أَمَامَهُمْ وَحَمَلَ مَا كَانَ مُضْطَجِعاً عَلَيْهِ وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ وَهُوَ يُمَجِّدُ اللهَ. *فَأَخَذَتِ الْجَمِيعَ حَيْرَةٌ وَمَجَّدُوا اللهَ وَامْتَلأُوا خَوْفاً قَائِلِينَ: «إِنَّنَا قَدْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ عَجَائِبَ!».

من مقارنة هذه المقاطع الثلاثة، نلاحظ أن متّى قد حذف في القصة الجزء المتعلق بصعود حاملي المفلوج إلى السقف وإدلائهم له بعد إزاحة قطع الآجر، بينما أبقى لوقا على هذا الجزء. ولكن كما هو الحال في كل قصة أخرى، فإن الاثنين لم يتفقا على تفصيل لا يرد عند مرقس. أما يوحنا، فعلى عادته في إغفال ذكر معظم معجزات يسوع الشفائية، فإنه لم يتعرض لهذه القصة. والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا: لماذا كان على متى إذا كان شاهد عيان على الأحداث أن يقتبس من مرقس الذي لم يَرَ يسوع قط؟ ولماذا يغفل يوحنا وهو شاهد عيان أيضاً معظم المعجزات التي جرت أمام سمعه وبصره؟

هنالك إجماع بين دارسي العهد الجديد اليوم على أن هذه الأناجيل الأربعة قد عزيت إلى أسماء بارزة من تلاميذ يسوع أو من العصر الرسولي بعد تأليفها بزمن طويل، وذلك لإضفاء السلطة والمصداقية عليها؛ وأن مؤلفيها لم يروا يسوع ولم يسمعوا منه مباشرة، بل اعتمدوا على ذكريات ومعلومات غير مباشرة، وربما توافرت لهم مجموعة من أقوال يسوع دوّنها مؤلف مجهول الهوية، فقاموا بوضع مناسبات معينة لهذه الأقوال، ثم شبكوا هذه المناسبات إلى بعضها في سياق كرونولوجي يعطي الانطباع بسيرة مطردة. ويسير بعض الباحثين خطوة أبعد من ذلك عندما يشكون بأن هؤلاء المؤلفين عاشوا في فلسطين، لأن بعض التفاصيل في رواياتهم تظهر جهلاً بجغرافية وبيئة فلسطين.

وكما تتفق الأناجيل الإزائية في تقديمها لسيرة موحدة ليسوع في السنة الأخيرة من حياته، وهي جُماع حياته التبشيرية، فإنها تتفق في تقديمها لوجه موحد من رسالته، التي أعلن عن جوهرها في أول تعليم علني له عندما قال: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ»

(مرقس 1: 15). فيسوع هو المسيح الذي يأتي من نسل داود ليختتم التاريخ ويفتتح الزمان المقدس أو ملكوت الله، يتقدمه النبي إيليا في صورة يوحنا المعمدان، وذلك تحقيقاً للنبوة التوراتية:

*هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ *فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ (ملاخي 4: 5-6). ولذلك أجاب يسوع رسل يوحنا المعمدان الذين بعثهم من سجنه ليسألوه: *أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي السِّجْنِ بِأَعْمَالِ الْمَسِيحِ أَرْسَلَ اثْنَيْنِ مِنْ تَلاَمِيذِهِ *وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» *فَأَجَابَهُمَا يَسُوعُ: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ: *اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجُ يَمْشُونَ وَالْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. (متى 11: 2-5). وهذه كلها من علامات ظهور المسيح في النبوءات التوراتية (راجع إشعياء 26: 19 و 29: 8 و 35: 5).

فمفهوم مملكة الله، أو مملكة السماء، يتخذ مكانة مركزية في تعاليم يسوع كما تبسطها الأناجيل الإزائية. ولا أدل على ذلك من أن هذا التعبير قد ورد فيها نحو 80 مرة، بينما لم يرد في إنجيل يوحنا سوى مرة واحدة. كما تشغل المطاليب الأخلاقية والسلوكية لدخول مملكة الله الجزء الأكبر من تعاليم يسوع. وعليه يمكن القول إن رسالة يسوع الإزائي هي رسالة آخروية بالدرجة الأولى، تركز على فكرة نهاية الزمن والتاريخ، وحلول اليوم الذي فيه ينتزع الله العالم من سلطة الشيطان. لقد اكتملت سلسلة الأنبياء عند يوحنا المعمدان واكتملت الأزمنة، وظهر يسوع في مجيئه الأول ليبشر بالملكوت، ثم صلب ومات، وقام في اليوم الثالث ليتمجد مسيحاً كونياً يجلس عن يمين الآب. وأما في مجيئه الثاني، فسيأتي ديّاناً ينهي العالم القديم ويقيم على أنقاضه عالماً جديداً يرثه المؤمنون. نقرأ في إنجيل متى: *فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلاَئِكَتِهِ وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ. *اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مِنَ الْقِيَامِ هَهُنَا قَوْماً لاَ يَذُوقُونَ الْمَوْتَ حَتَّى يَرَوُا ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي مَلَكُوتِهِ (متى 16: 27-28).

إذا انتقلنا إلى إنجيل يوحنا وجدناه ظاهرة متفردة بين الأناجيل. فإذا كانت الأناجيل الإزائية تتبع الخطوط العامة نفسها لسيرة يسوع وتعاليمه، فإن إنجيل يوحنا يمتلك رؤية خاصة به، وبنية عامة، وتحقيباً زمنياً، ونسيجاً لاهوتياً، وأسلوباً في أقوال يسوع، لا يوازيها شيء في الأناجيل الأخرى. ففيما يتعلق بمدة حياة يسوع التبشيرية، فإن الإزائيين يعيّنون سنة واحدة لها، بينما يعيّن يوحنا لها سنتين أو أكثر، وذلك بذكره لثلاثة أعياد فصح يهودية. والإزائيون يؤرخون حادثة صلب يسوع في الخامس عشر من شهر نيسان في يوم الفصح، بينما يؤرخ يوحنا الحادثة في الرابع عشر من نيسان في اليوم السابق للفصح.

أما القواسم المشتركة بين يوحنا وبقية الإنجيليين فهي نادرة، بحيث

تقتصر على معجزة إطعامه لخمسة آلاف شخص من خمسة أرغفة وسمكتين (6: 1-13)، وسير يسوع على الماء لاحقاً تلاميذه الذين سبقوه في سفينة إلى الضفة الأخرى من بحيرة طبريا (6: 16-21). وهنالك قصص أوردها يوحنا بشكل معدل، ومنها قصة شفاء يسوع لخادم قائد روماني، وذلك بنطقه لأمر الشفاء عن بعد، والتي حولها يوحنا إلى شفاء يسوع لابن موظف عند هيرود أنتيباس ملك الجليل (متى 8: 5-13 ولوقا 7: 1-10، ويوحنا 4: 46-51). وأيضاً قصة طرد يسوع للباعة والصيارفة من باحة الهيكل، التي وضعها الإزائيون في نهاية حياة يسوع التبشيرية (متى 21: 12-13، ومرقس 11: 15-17، ولوقا 19: 45-46)، بينما وضعها يوحنا في بداية حياته التبشيرية، وحمّلها معانٍ لاهوتية عندما تصدى له اليهود قائلين: «أَيَّةَ آيَةٍ تُرِينَا حَتَّى تَفْعَلَ هَذَا؟» *أَجَابَ يَسُوعُ: «انْقُضُوا هَذَا الْهَيْكَلَ وَفِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ أُقِيمُهُ». *فَقَالَ الْيَهُودُ: «فِي سِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً بُنِيَ هَذَا الْهَيْكَلُ أَفَأَنْتَ فِي ثلاَثَةِ أَيَّامٍ تُقِيمُهُ؟» *وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقُولُ عَنْ هَيْكَلِ جَسَدِهِ. *فَلَمَّا قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ تَذَكَّرَ تلاَمِيذُهُ أَنَّهُ قَالَ هَذَا فَآمَنُوا بِالْكِتَابِ وَالْكلاَمِ الَّذِي قَالَهُ يَسُوعُ (يوحنا 2: 18-22). ومن القصص التي وردت معدلة عن يوحنا، قصة قيام مريم أخت لعازر الشاب الذي أقامه يسوع من بين الأموات، بدهن قدمي يسوع بزجاجة عطر فاخرة ومسحهما بشعرها واعتراض يهوذا على ذلك (يوحنا 12: 1-7. راجع تنويعات الإزائيين على هذه القصة عند متى: 26، ومرقس: 14، ولوقا: 7). وأيضاً قصة لقاء يسوع بيوحنا المعمدان، (يوحنا:1 قارن مع مرقس:1 ومتى:3، ولوقا: 3).

وبينما أكدت الأناجيل الإزائية أعمال يسوع الشفائية، وطرده للشياطين من أجساد الممسوسين، فإن هذا العنصر غائب تقريباً عن إنجيل يوحنا، الذي لم يورد من معجزات يسوع الشفائية التي أوردها الإزائيون إلا قصة شفائه لخادم موظف روماني، ثم أضاف من عنده معجزتين لم تردا عند الإزائيين، وهما شفاؤه لرجل مقعد بكلمة من فمه عندما قال له: «قُمِ. احْمِلْ سَرِيرَكَ وَامْشِ». (يوحنا 5: 8)، وشفاؤه لأعمى منذ الولادة عندما طلى عينيه بعجينه من تراب الأرض الممزوج بلعابه (يوحنا 9: 1-7). وفيما عدا ذلك فقد أشار يوحنا بشكل عام إلى أن يسوع كان يصنع آيات في المرضى (يوحنا 6: 2). وربما يرجع السبب في ذلك إلى ارتباط هذه الظواهر الشفائية لدى الإزائيين بفكرة قرب حلول ملكوت الرب، التي لم تكن بالفكرة المحورية في لاهوت يوحنا.

ولكن يوحنا أكد في المقابل معجزات يسوع الخارقة للطبيعة، واعتبرها آيات تشف عن أصله الماورائي. فإلى جانب معجزة تكثير خمسة أرغفة وسمكتين لإطعامه خمسة آلاف شخص، وسيره على الماء، اللتين اشترك بهما مع الإزائيين، فقد انفرد يوحنا بمعجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا (يوحنا 2: 1-11)، وقصة إحياء الشاب لعازر بعد موته بأربعة أيام (يوحنا 11: 1-45).

كما انفرد يوحنا بذكر حادثتين تحملان دلالات بعيدة الأثر: الأولى عفوه عن الزانية التي جاء بها اليهود إليه ليمتحنوه وقالوا له: ....* «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ *وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟»، فقال لهم: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلاً بِحَجَرٍ!». (يوحنا 8: 1-7). وبذلك يعلن يسوع عن سدى الشريعة اليهودية الشكلانية. والحادثة الثانية لقاؤه بالمرأة السامرية عندما مرّ في أراضي السامرة منتهكاً العرف اليهودي بتجنب المرور في أراضي السامريين «...... *قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «يَا سَيِّدُ أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! *آبَاؤُنَا سَجَدُوا فِي هَذَا الْجَبَلِ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنَّ فِي أُورُشَلِيمَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُسْجَدَ فِيهِ». *قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ صَدِّقِينِي أَنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ لاَ فِي هَذَا الْجَبَلِ وَلاَ فِي أُورُشَلِيمَ تَسْجُدُونَ لِلآبِ. *أَنْتُمْ تَسْجُدُونَ لِمَا لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَمَّا نَحْنُ فَنَسْجُدُ لِمَا نَعْلَمُ - لأَنَّ الْخلاَصَ هُوَ مِنَ الْيَهُودِ. *وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هَؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ. *اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يوحنا 4: 4-24). وفي هذا القول إعلان من قبل يسوع عن زوال العبادات والطقوس القديمة، والتأسيس لعبادة روحية جديدة: عبادة القلب لا عبادة الحرف. في هذه العبادة لم يعد لهيكل أورشليم من مبرر، لأن الله سوف يعبد في كل مكان من دون ذبائح ولا محارق. وقبل ذلك يجب التخلص من اليهود ومن عباداتهم ومعتقداتهم البالية.

ومن أهم خصائص إنجيل يوحنا تركيزه على كراهية يسوع لليهود، وسعي اليهود لقتله منذ البداية والتخلص منه. وإذا كان الإزائيون قد جعلوا من النخبة اليهودية المتمثلة بالفريسيين والكتبة والناموسيين علماء الشريعة خصوماً ليسوع، فإن يوحنا يشير على الدوام إلى اليهود جملة باعتبارهم خصوماً ليسوع يرومون هلاكه بداعي إفساده للعقيدة. وقد وصف يسوع اليهود بأبشع الأوصاف، منها: أولاد الأفاعي، وقتلة الأنبياء، وأولاد إبليس.

أما عن رسالة يسوع كما يراها مؤلف إنجيل يوحنا، فإن الموضع الوحيد الذي ورد فيه ذكر «ملكوت الله» عنده، يوضح لنا مراميها المختلفة عن مرامي رسالته في الأناجيل الإزائية. نقرأ في (يوحنا 3: 3-6) ما يلي: *فَقَالَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ». *قَالَ لَهُ نِيقُودِيمُوسُ: «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟» *أَجَابَ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللَّهِ. *اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ. أي إن دخول الملكوت لا يكون في زمن مقبل، بل هو متيسر هنا والآن إذا مات الإنسان عن نفسه وعاش في الله. ورسالة يسوع ليست رسالة آخروية، وإنما هي رسالة عرفان روحي يتحقق عن طريق معرفة الابن الذي هو تجسيد للآب على الأرض، والإيمان بأنه ابن الله الذي حمل الخلاص للعالم بموته على الصليب. لهذا فإن يوحنا لا يفتتح

إنجيله بتتبع الأصل الأرضي ليسوع وعائلته ونسبه، وإنما بمقدمة فلسفية تشير إلى الأصل السماوي له باعتباره تجسيداً للكلمة، الابن الذي كان عند الله منذ الأزل: *فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ.... *وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. ويكمل هذه المقدمة ما ورد على لسان يسوع في الإصحاح الثالث: *وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ.... *لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. (يوحنا 3: 13-17). من هنا كان اللقب الذي فضل يوحنا استخدامه في الإشارة إلى يسوع هو لقب الابن، الابن الغريب عن هذا العالم. فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ (يوحنا 8: 23). وهذا بالفعل هو جوهر رسالة الإنجيل الرابع.

إلى هذه الرؤية اللاهوتية ينتمي لقب «حمل الله» الذي انفرد إنجيل يوحنا باستخدامه في الإشارة إلى يسوع: هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ (يوحنا 1: 29). وهذا اللقب الذي استخدمه يوحنا في بداية إنجيله سوف يتضح لنا معناه في آخر الإنجيل عندما يجعل صلب يسوع في اليوم السابق للفصح اليهودي، في اليوم الذي جرت فيه عادة اليهود على التضحية بحمل الفصح. ولكن على عكس حمل الفصح اليهودي الذي يطهر دمه اليهود من خطاياهم، فإن حمل الله هذا سوف يحمل خطيئة العالم بأكمله، وذلك بموته على الصليب.

في بقية أسفار العهد الجديد:

تؤلف الأناجيل الأربعة الأسفار الأولى من الكتاب المقدس المسيحي، أو «العهد الجديد». أما الأسفار الباقية وعددها 24 سفراً فهي التالية:

أعمال الرسل:

يعزى هذا السفر إلى مؤلف إنجيل لوقا نفسه، وهو موجه إلى الشخصية الغامضة نفسها التي يدعوها ثاوفيليوس. ويلتقط بداية أحداثه من حيث انتهى الإنجيل الثالث. فيقدم لنا وصفاً تفصيلياً لنشاط الحركة المسيحية الأولى منذ نحو عام 30م إلى أوائل ستينيات القرن الأول الميلادي في فلسطين وسورية، كما يصف رحلات بولس التبشيرية في آسيا الصغرى واليونان. وينهي سرده للأحداث مع القبض على بولس وسوقه سجيناً إلى روما في انتظار الفصل في قضيته من قبل القضاء الروماني، دون أن نعرف مصير بولس. ولكن الموروثات المسيحية تقول لنا إنه قد أعدم في السنوات الأخيرة من عصر الإمبراطور نيرون الذي حكم من عام 54 إلى عام 68م.

رسائل بولس الرسول:

وصلنا من رسائل بولس ثلاث عشرة رسالة، ويقال إنه كتب أكثر من ذلك ولكنه فُقِد. ورسالته الأولى إلى أهالي تسالونيكي هي أول أثر مسيحي مكتوب، وكانت متداولة بين المسيحيين الأوائل قبل الإنجيل الأول بنحو 40 سنة. يعتبر بولس المؤسس الحقيقي للاهوت المسيحي، لا سيما في رسالته إلى أهالي رومية، والتي بحث فيها في مسألة من أهم مسائل العقيدة المسيحية: وهي خلاص الناس بالإيمان بالسيد المسيح. كتب بولس رسائله باللغة اليونانية. وإنشاؤه فيها معقد حيناً، وسلس حيناً آخر. وعلى الرغم من ثقافته اليونانية العالية وعمق تفكيره، إلا أن خطابه كان أقرب إلى خطاب علماء اليهود منه إلى الخطاب الفلسفي العقلي اليوناني. ولهذا فشل في المناظرة التي جرت بينه وبين متفلسفين أبيقوريين ورواقيين في أثينا، وانفضوا عنه قائلين له بتهذيب: سوف نسمع كلامك في هذا الشأن مرة أخرى (أعمال 17: 16-34).

وعلى الرغم من أن الباحثين في «العهد الجديد» اليوم يشكّون في نسبة بعض هذه الرسائل إلى بولس، إلا أن أسلوبها وأفكارها تدل على أنها من تأليف تلامذة مقربين منه. وعلى ذلك يمكن اعتبارها بمثابة تنويع على أفكار المعلم وتطوير لها، وقراءتها على أنها تعكس فكر بولس نفسه. وهذا ثَبْتٌ بالرسائل:

1- إلى أهل رومية.

2- الأولى إلى أهالي كورنثوس.

3- الثانية إلى أهالي كورنثوس.

4- إلى أهالي غلاطية.

5- إلى أهالي أفسس.

6- إلى أهالي فيليبي.

7- إلى أهالي كولوسي.

8- الأولى إلى أهالي تسالونيكي.

9- الثانية إلى أهالي تسالونيكي.

10- الأولى إلى تيموثاوس.

11- الثانية إلى تيموثاوس.

12- إلى تيطس.

13- إلى فيليمون.

14- الرسالة إلى العبرانيين.

الرسائل الأخرى (العامة):

أُطلِق اسم الرسائل العامة على سبع رسائل. وسميت هكذا لأن من كتبوها لم يخصوا بها أهل مدينة واحدة أو شخصاً بعينه، كما فعل بولس، بل وجهوها إلى جميع المدن والأقطار دون تخصيص. وهذه الرسائل منسوبة إلى ثلاث شخصيات من العصر الرسولي. وهذا ثَبْتٌ بها:

1- رسالة يعقوب.

2- رسالة بطرس الأولى.

3- رسالة بطرس الثانية.

4- رسالة يوحنا الأولى.

5- رسالة يوحنا الثانية.

6- رسالة يوحنا الثالثة.

7- رسالة يهوذا.

رؤيا يوحنا:

وهي السفر السابع والعشرون والأخير من أسفار العهد الجديد. وتنسب إلى يوحنا الحبيب. كاتب الإنجيل الرابع والرسائل الثلاثة الأخرى. وهي تنسج على منوال رؤيا دانيال في العهد القديم، وعلى منوال عدد كبير من الرؤى في الأسفار التوراتية غير القانونية. ويتألف هذا العمل من سلسلة من الرؤى المتتابعة تحتوي على الكثير من الرموز والإشارات التي جهد اللاهوتيون في تفسيرها وتبسيطها لعامة المؤمنين.

هذه الأسفار الـ 27 لم تدخل في الكتاب المقدس المسيحي دفعة واحدة، وإنما على مراحل امتدت عبر ثلاثة عشر قرناً من تاريخ الكنيسة المسيحية، وذلك فيما بين أواخر القرن الثاني عندما تم وضع أول كتالوج قانوني للعهد الجديد، وعام 1546 عندما انعقد المجمع التريدنتي وأقر الصيغة التي نعرفها اليوم للكتاب.

القسم الأول

النصوص

النصوص (1)

الرواية القرآنية

زكريا ويحيى:

«اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرِضُونَ* مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ*....مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ* وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ*». (21 الأنبياء: 1-8).

«وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ*....وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ* وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاًّ جَعَلْنَا صَالِحِينَ*». (21 الأنبياء: 51-72). «....وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ*». (6 الأنعام: 84-85).

«وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ*». (21 الأنبياء: 89-90).

«كهيعص* ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً* يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً* قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً* قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً* فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً* يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً* وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً* وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً*». (19 مريم: 1-15).

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء* فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ* قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ*». (3 آل عمران: 38-41).

أسرة مريم ومولدها وحياتها:

«إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ* فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ*». (3 آل عمران: 33-37).

«وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ* ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ*». (3 آل عمران: 42-43).

البشارة والحمل العذري:

إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ* وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ....*». (3 آل عمران: 45-49).

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ.... وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ*». (66 التحريم: 10-12). «وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ». (21 الأنبياء: 91).

«وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً* فَاتَّخَذَتْ

مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً* قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً*». (19 مريم: 16-21). «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ». (23 المؤمنون: 50).

ميلاد عيسى:

«فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً* فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً* فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً* فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً* وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً* ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ*». (19 مريم: 22-34).

الدعوة:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ». (2 البقرة: 87).

«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ...* ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ....*». (57 الحديد: 26-27).

«وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ* وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ* إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ* وَلَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ* وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*». (43 الزخرف: 57-61).

الأقوال:

«وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*». (43 الزخرف: 63-64).

«وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ» (61 الصف: 6)

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ». (61 الصف: 14).

«قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً*». (19 مريم: 30-32).

«....وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ». (5 المائدة: 72).

«لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ». (5 المائدة: 78).

«مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ....». (5 المائدة: 117)

«وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*». (43 الزخرف: 63-64).

الأعمال:

«إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ* وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ*». (5 المائدة: 110-111).

«....أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

الطّيْرِ فَأنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأبْرِئُ الأكْمَهَ والأبْرَصَ وَأحْيـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ* إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ*». (3 آل عمران: 49-52).

«إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ*». (5 المائدة: 112-115).

ناسوت عيسى:

«إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ». (43 الزخرف: 59).

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ* الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُن مِّن الْمُمْتَرِينَ* فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ* إِنَّ هَـذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ اللّهُ وَإِنَّ اللّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ* فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ* قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ*». (3 آل عمران: 59-64).

«ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ* مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ* وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*». (19 مريم: 34-36).

«قَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ....». (10 يونس: 68).

«وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً* أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً* وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً* إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْداً* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً*». (19 مريم:

.(95-88)

«مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ....». (5 المائدة: 75).

«لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ....». (4 النساء: 172).

«قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً....*». (19 مريم: 30-31).

«لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً....». (5 المائدة: 17).

«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ....». (5 المائدة: 72).

«وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ....* اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ*». (9 التوبة: 30-31).

«مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ....». (3 آل عمران: 79).

«وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ....*». (5 المائدة: 116-117).

«تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً*». (25 الفرقان: 1-2).

«يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقِّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً». (5 البقرة: 171).

«لّقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قَالُوَاْ إِنّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِن لّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». (5 المائدة: 73).

الطبيعة الفائقة لعيسى:

آدم الثاني:

«وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ*». (15 الحجر: 28-29).

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ». (3 آل عمران: 59).

روح الله:

«....فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً». (19 مريم: 17).

«....فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ». (21 الأنبياء: 91).

«وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا....». (61 التحريم: 12).

«....إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ....». (4 النساء: 171).

كلمة الله:

«إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ....». (3 آل عمران: 45).

«....إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ....». (4 النساء: 171).

«ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ[3] الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ». (19 مريم: 34).

«فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ....». (3 آل عمران: 39).

موت عيسى:

«وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً». (19 مريم: 33).

«إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ». (3 آل عمران: 55).

«مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ». (5 المائدة: 117).

«فَبِمَا نَقْضِهِم[4] مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقًّ....* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً*». (4 النساء: 155-158).

الدور الآخروي لعيسى:

«وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً». (4 النساء: 159).

«....وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ». (3 آل عمران: 45).

«وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ». (43 الزخرف: 61).

النصوص (2)

الرواية الإنجيلية الرسمية

في ما يلي من هذا الفصل سوف نعرض الرواية الإنجيلية الرسمية عن ميلاد يسوع، كما وردت في إنجيلي متى ولوقا، لأن الإنجيلين الآخرين مرقس ويوحنا لا يوردا خبراً واحداً عن ميلاد يسوع، وهو يظهر فجأة ودون مقدمات عندما هبط عليه الروح القدس في هيئة حمامة عند ماء الأردن وهو في نحو الثلاثين من عمره. أما بقية سيرة يسوع، فيمكن للقارئ متابعتها في أحد الأناجيل الإزائية الثلاثة. ولكني أنصح بإنجيل متى الذي قدمنا نصه الكامل في ملحق الكتاب.

رواية متى:

بعد روايته لنسب يسوع من إبراهيم إلى يوسف النجار «رجل مريم التي ولد منها يسوع الذي يدعى المسيح»، ينتقل متى مباشرة إلى القول: أما ولادة يسوع فكانت هكذا:

*لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارّاً وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرّاً. *وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». *وَهَذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: *«هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»[5] (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللَّهُ مَعَنَا). *فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ يُوسُفُ مِنَ النَّوْمِ فَعَلَ كَمَا أَمَرَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. *وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ. وَدَعَا اسْمَهُ يَسُوعَ. (متى 2: 18-24)

*وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ[6] فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ *قَائِلِينَ: «أَيْنَ هُوَ الْمَوْلُودُ مَلِكُ الْيَهُودِ؟ فَإِنَّنَا رَأَيْنَا نَجْمَهُ فِي الْمَشْرِقِ وَأَتَيْنَا لِنَسْجُدَ لَهُ». *فَلَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ اضْطَرَبَ وَجَمِيعُ أُورُشَلِيمَ مَعَهُ. *فَجَمَعَ كُلَّ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ

وَكَتَبَةِ الشَّعْبِ وَسَأَلَهُمْ: «أَيْنَ يُولَدُ الْمَسِيحُ؟» *فَقَالُوا لَهُ: «فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ لأَنَّهُ هَكَذَا مَكْتُوبٌ بِالنَّبِيِّ: *وَأَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمٍ أَرْضَ يَهُوذَا لَسْتِ الصُّغْرَى بَيْنَ رُؤَسَاءِ يَهُوذَا لأَنْ مِنْكِ يَخْرُجُ مُدَبِّرٌ يَرْعَى شَعْبِي إِسْرَائِيلَ»[7]. *حِينَئِذٍ دَعَا هِيرُودُسُ الْمَجُوسَ سِرّاً وَتَحَقَّقَ مِنْهُمْ زَمَانَ النَّجْمِ الَّذِي ظَهَرَ. *ثُمَّ أَرْسَلَهُمْ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَقَالَ: «اذْهَبُوا وَافْحَصُوا بِالتَّدْقِيقِ عَنِ الصَّبِيِّ وَمَتَى وَجَدْتُمُوهُ فَأَخْبِرُونِي لِكَيْ آتِيَ أَنَا أَيْضاً وَأَسْجُدَ لَهُ». *فَلَمَّا سَمِعُوا مِنَ الْمَلِكِ ذَهَبُوا. وَإِذَا النَّجْمُ الَّذِي رَأَوْهُ فِي الْمَشْرِقِ يَتَقَدَّمُهُمْ حَتَّى جَاءَ وَوَقَفَ فَوْقُ حَيْثُ كَانَ الصَّبِيُّ. *فَلَمَّا رَأَوُا النَّجْمَ فَرِحُوا فَرَحاً عَظِيماً جِدّاً *وَأَتَوْا إِلَى الْبَيْتِ وَرَأَوُا الصَّبِيَّ مَعَ مَرْيَمَ أُمِّهِ فَخَرُّوا وَسَجَدُوا لَهُ ثُمَّ فَتَحُوا كُنُوزَهُمْ وَقَدَّمُوا لَهُ هَدَايَا: ذَهَباً وَلُبَاناً وَمُرّاً. *ثُمَّ إِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِمْ فِي حُلْمٍ أَنْ لاَ يَرْجِعُوا إِلَى هِيرُودُسَ انْصَرَفُوا فِي طَرِيقٍ أُخْرَى إِلَى كُورَتِهِمْ. *وَبَعْدَمَا انْصَرَفُوا إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ وَكُنْ هُنَاكَ حَتَّى أَقُولَ لَكَ. لأَنَّ هِيرُودُسَ مُزْمِعٌ أَنْ يَطْلُبَ الصَّبِيَّ لِيُهْلِكَهُ». *فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ لَيْلاً وَانْصَرَفَ إِلَى مِصْرَ *وَكَانَ هُنَاكَ إِلَى وَفَاةِ هِيرُودُسَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ: «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي»[8]. *حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى هِيرُودُسُ أَنَّ الْمَجُوسَ سَخِرُوا بِهِ غَضِبَ جِدّاً فَأَرْسَلَ وَقَتَلَ جَمِيعَ الصِّبْيَانِ الَّذِينَ فِي بَيْتِ لَحْمٍ وَفِي كُلِّ تُخُومِهَا مِنِ ابْنِ سَنَتَيْنِ فَمَا دُونُ بِحَسَبِ الزَّمَانِ الَّذِي تَحَقَّقَهُ مِنَ الْمَجُوسِ. *حِينَئِذٍ تَمَّ مَا قِيلَ بِإِرْمِيَا النَّبِيِّ: *«صَوْتٌ سُمِعَ فِي الرَّامَةِ نَوْحٌ وَبُكَاءٌ وَعَوِيلٌ كَثِيرٌ. رَاحِيلُ تَبْكِي عَلَى أَوْلاَدِهَا وَلاَ تُرِيدُ أَنْ تَتَعَزَّى لأَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَوْجُودِينَ»[9]. *فَلَمَّا مَاتَ هِيرُودُسُ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ فِي حُلْمٍ لِيُوسُفَ فِي مِصْرَ *قَائِلاً: «قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ قَدْ مَاتَ الَّذِينَ كَانُوا يَطْلُبُونَ نَفْسَ الصَّبِيِّ». *فَقَامَ وَأَخَذَ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَجَاءَ إِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ. *وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ أَنَّ أَرْخِيلاَوُسَ يَمْلِكُ عَلَى الْيَهُودِيَّةِ عِوَضاً عَنْ هِيرُودُسَ أَبِيهِ خَافَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ. وَإِذْ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي حُلْمٍ انْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي الْجَلِيلِ. *وَأَتَى وَسَكَنَ فِي مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا نَاصِرَةُ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِالأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُ سَيُدْعَى نَاصِرِيّاً» (إنجيل متى 2: 1-23)[10].

رواية لوقا:

*كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. *وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللَّهِ سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. *وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِراً. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. *فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ *حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ. *وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجاً وَقْتَ الْبَخُورِ. *فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. *فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. *فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ

سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. *وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ *لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. *وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً». *فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟» *فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا. *وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتاً وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ فِي وَقْتِهِ». *وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. *فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتاً. *وَلَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ. *وَبَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ حَبِلَتْ أَلِيصَابَاتُ امْرَأَتُهُ وَأَخْفَتْ نَفْسَهَا خَمْسَةَ أَشْهُرٍ قَائِلَةً: *«هَكَذَا قَدْ فَعَلَ بِيَ الرَّبُّ فِي الأَيَّامِ الَّتِي فِيهَا نَظَرَ إِلَيَّ لِيَنْزِعَ عَارِي بَيْنَ النَّاسِ». *وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ *إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. *فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». *فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! *فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. *وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. *هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ *وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». *فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» *فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. *وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضاً حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا وَهَذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِراً *لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ». *فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». فَمَضَى مِنْ عِنْدِهَا الْمَلاَكُ. *فَقَامَتْ مَرْيَمُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ وَذَهَبَتْ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْجِبَالِ إِلَى مَدِينَةِ يَهُوذَا[11] *وَدَخَلَتْ بَيْتَ زَكَرِيَّا وَسَلَّمَتْ عَلَى أَلِيصَابَاتَ. *فَلَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ *وَصَرَخَتْ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَتْ: «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! *فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ *فَهُوَذَا حِينَ صَارَ صَوْتُ سَلاَمِكِ فِي أُذُنَيَّ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي. *فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ». *فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ *وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخَلِّصِي *لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ. فَهُوَذَا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي *لأَنَّ الْقَدِيرَ صَنَعَ بِي عَظَائِمَ وَاسْمُهُ قُدُّوسٌ *وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ. *صَنَعَ قُوَّةً بِذِرَاعِهِ. شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. *أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ. *أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ. *عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً *كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا.

لِإبْراهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأبَدِ». *فَمَكَثَتْ مَرْيَمُ عِنْدَهَا نَحْوَ ثَلاَثَةِ أشْهُرٍ ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا. *وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ فَوَلَدَتِ ابْناً. *وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا فَفَرِحُوا مَعَهَا. *وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا. *فَقَالَتْ أُمُّهُ: «لاَ بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا». *فَقَالُوا لَهَا: «لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهَذَا الاِسْمِ». *ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. *فَطَلَبَ لَوْحاً وَكَتَبَ: «اسْمُهُ يُوحَنَّا». فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. *وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ. *فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهَذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ *فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ: «أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هَذَا الصَّبِيُّ؟» وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ. *وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَنَبَّأَ قَائِلاً: *«مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ *وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. *كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ. *خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. *لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ. *الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: *أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ *بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا. *وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. *لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ *بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. *لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ». *أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لإِسْرَائِيلَ. (لوقا 1: 5-80)

*وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ صَدَرَ أَمْرٌ مِنْ أُوغُسْطُسَ قَيْصَرَ بِأَنْ يُكْتَتَبَ كُلُّ الْمَسْكُونَةِ. *وَهَذَا الاِكْتِتَابُ الأَوَّلُ جَرَى إِذْ كَانَ كِيرِينِيُوسُ وَالِيَ سُورِيَّةَ. *فَذَهَبَ الْجَمِيعُ لِيُكْتَتَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ. *فَصَعِدَ يُوسُفُ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ مِنْ مَدِينَةِ النَّاصِرَةِ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ إِلَى مَدِينَةِ دَاوُدَ الَّتِي تُدْعَى بَيْتَ لَحْمٍ لِكَوْنِهِ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَعَشِيرَتِهِ *لِيُكْتَتَبَ مَعَ مَرْيَمَ امْرَأَتِهِ الْمَخْطُوبَةِ وَهِيَ حُبْلَى. *وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. *فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ. *وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ *وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ فَخَافُوا خَوْفاً عَظِيماً. *فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: *أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. *وَهَذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطاً مُضْجَعاً فِي مِذْوَدٍ». *وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: *«الْمَجْدُ لِلَّهِ فِي الأَعَالِي وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ». *وَلَمَّا مَضَتْ عَنْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ الرُّعَاةُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ وَنَنْظُرْ هَذَا الأَمْرَ الْوَاقِعَ الَّذِي أَعْلَمَنَا بِهِ الرَّبُّ». *فَجَاءُوا مُسْرِعِينَ وَوَجَدُوا مَرْيَمَ وَيُوسُفَ وَالطِّفْلَ مُضْجَعاً فِي الْمِذْوَدِ. *فَلَمَّا رَأَوْهُ أَخْبَرُوا بِالْكَلاَمِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ عَنْ هَذَا الصَّبِيِّ. *وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوا تَعَجَّبُوا مِمَّا قِيلَ لَهُمْ مِنَ الرُّعَاةِ. *وَأَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذَا الْكَلاَمِ مُتَفَكِّرَةً بِهِ فِي

قَلْبِهَا. *ثُمَّ رَجَعَ الرُّعَاةُ وَهُمْ يُمَجِّدُونَ اللهَ وَيُسَبِّحُونَهُ عَلَى كُلِّ مَا سَمِعُوهُ وَرَأَوْهُ كَمَا قِيلَ لَهُمْ. *وَلَمَّا تَمَّتْ ثَمَانِيَةُ أَيَّامٍ لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ سُمِّيَ يَسُوعَ كَمَا تَسَمَّى مِنَ الْمَلاَكِ قَبْلَ أَنْ حُبِلَ بِهِ فِي الْبَطْنِ. *وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ *كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوساً لِلرَّبِّ. *وَلِكَيْ يُقَدِّمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ. *وَكَانَ رَجُلٌ فِي أُورُشَلِيمَ اسْمُهُ سِمْعَانُ كَانَ بَارّاً تَقِيّاً يَنْتَظِرُ تَعْزِيَةَ إِسْرَائِيلَ وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ. *وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ. *فَأَتَى بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ *أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: *«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ *لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ *الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. *نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ وَمَجْداً لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ». *وَكَانَ يُوسُفُ وَأُمُّهُ يَتَعَجَّبَانِ مِمَّا قِيلَ فِيهِ. *وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: «هَا إِنَّ هَذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ. *وَأَنْتِ أَيْضاً يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ». *وَكَانَتْ نَبِيَّةٌ حَنَّةُ بِنْتُ فَنُوئِيلَ مِنْ سِبْطِ أَشِيرَ وَهِيَ مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامٍ كَثِيرَةٍ قَدْ عَاشَتْ مَعَ زَوْجٍ سَبْعَ سِنِينَ بَعْدَ بُكُورِيَّتِهَا. *وَهِيَ أَرْمَلَةٌ نَحْوَ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً لاَ تُفَارِقُ الْهَيْكَلَ عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلْبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَاراً. *فَهِيَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ وَقَفَتْ تُسَبِّحُ الرَّبَّ وَتَكَلَّمَتْ عَنْهُ مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ. *وَلَمَّا أَكْمَلُوا كُلَّ شَيْءٍ حَسَبَ نَامُوسِ الرَّبِّ رَجَعُوا إِلَى الْجَلِيلِ إِلَى مَدِينَتِهِمُ النَّاصِرَةِ. *وَكَانَ الصَّبِيُّ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ مُمْتَلِئاً حِكْمَةً وَكَانَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ. *وَكَانَ أَبَوَاهُ يَذْهَبَانِ كُلَّ سَنَةٍ إِلَى أُورُشَلِيمَ فِي عِيدِ الْفِصْحِ. *وَلَمَّا كَانَتْ لَهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً صَعِدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ كَعَادَةِ الْعِيدِ. *وَبَعْدَمَا أَكْمَلُوا الأَيَّامَ بَقِيَ عِنْدَ رُجُوعِهِمَا الصَّبِيُّ يَسُوعُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُوسُفُ وَأُمُّهُ لَمْ يَعْلَمَا. *وَإِذْ ظَنَّاهُ بَيْنَ الرُّفْقَةِ ذَهَبَا مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَكَانَا يَطْلُبَانِهِ بَيْنَ الأَقْرِبَاءِ وَالْمَعَارِفِ. *وَلَمَّا لَمْ يَجِدَاهُ رَجَعَا إِلَى أُورُشَلِيمَ يَطْلُبَانِهِ. *وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ وَجَدَاهُ فِي الْهَيْكَلِ جَالِساً فِي وَسْطِ الْمُعَلِّمِينَ يَسْمَعُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ. *وَكُلُّ الَّذِينَ سَمِعُوهُ بُهِتُوا مِنْ فَهْمِهِ وَأَجْوِبَتِهِ. *فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذَّبَيْنِ!» *فَقَالَ لَهُمَا: «لِمَاذَا كُنْتُمَا تَطْلُبَانِنِي؟ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ أَكُونَ فِي مَا لأَبِي؟». *فَلَمْ يَفْهَمَا الْكَلاَمَ الَّذِي قَالَهُ لَهُمَا. *ثُمَّ نَزَلَ مَعَهُمَا وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ وَكَانَ خَاضِعاً لَهُمَا. وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هَذِهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا. *وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ (لوقا 2: 1-52).

تعليق على الروايتين:

إن القراءة المدققة لرواية الميلاد عند كل من متى ولوقا تكشف عن عدد من نقاط الاختلاف بينهما:

1- يجعل لوقا من ناصرة الجليل موطناً أصلياً لكل من يوسف ومريم. وهذه المعلومة هي الأقرب إلى الصواب، لأن يسوع يدعى في نصوص العهد الجديد بالجليلي وبالناصري. ولكن لوقا يبرر ولادة يسوع في بيت لحم بمجيء يوسف ومريم وهي حبلى إلى بيت لحم من أجل الاكتتاب في الإحصاء السكاني الذي أمر به الإمبراطور أوغسطس. وهناك حان وقت ولادتها، فوضعت ابنها البكر. ووضعته في المعلف لأنه لم يكن لهما مكان في الفندق بسبب كثرة القادمين إلى المدينة من أجل الاكتتاب.

أما متى، فيجعل من بيت لحم الموطن الأصلي لكل من يوسف ومريم. ويسوع يولد في بيت عادي من بيوت المدينة لا على باب الفندق، وهو لا يستلقي في مذود، وإنما في مهد. أما عهد وجود الأسرة لاحقاً في الجليل، وعيشها في مدينة الناصرة، فيبرره متى بهرب يوسف بمريم وابنها إلى مصر خوفاً من الملك هيرود الكبير الذي كان يطلب قتل يسوع، وارتكب مذبحة أطفال بيت لحم لهذا الغرض. وعندما اطمأن يوسف إلى العودة بعد موت هيرود أقام وأسرته في ناصرة الجليل.

2- وفيما يتعلق بتاريخ مولد يسوع، فإن متى يجعله في أيام الملك هيرود الكبير. وبما أن هيرود قد توفي عام 4 ق.م، فإن ميلاد يسوع قد حصل قبل ذلك بعام أو عامين. أما لوقا، فيجعل الميلاد في فترة إجراء الإحصاء السكاني الذي أمر به الإمبراطور أوغسطس. وهذا الإحصاء على ما هو معروف تاريخياً قد جرى في العام السادس للميلاد، عندما كان كيرينيوس والياً على سورية. وهذا ما يجعل فارقاً زمنياً بين ميلاد يسوع عند متى وميلاده عند لوقا مقداره 12 سنة.

3- لم يسمع لوقا بمذبحة الأطفال في بيت لحم، ولا بسفر الأسرة المقدسة إلى مصر وعودتها منها. وهذا أمر طبيعي، لأن واقعة الميلاد قد حدثت بعد عصر هيرود الكبير. ولذلك فإن الأسرة تتابع طقوس الولادة الروتينية من ختان وتطهير وتقديم إلى الهيكل، ثم تعود بسلام إلى موطنها.

4- ونظراً لولادة يسوع بعد عصر هيرود عند لوقا، فإنه يقفز فوق قصة المجوس القادمين من الشرق للسجود للصبي، وما جرى لهم مع الملك، وهو يستبدلهم برعاة متبدّين يحرسون قطعانهم ليلاً عندما ظهر لهم ملاك الرب وبشرهم بولادة المخلص.

5- يؤدي يوسف الدور الرئيس في قصة الميلاد عند متى، وهو يقدمه لنا كرجل حكيم تصرف بهدوء عندما اكتشف أن خطيبته مريم حامل. فأراد تخليتها سراً ودون كبير ضوضاء. ولكن ملاك الرب ظهر له في حكم وأخبره بحقيقة حمل مريم، فاطمأن قبله من ناحيتها واحتفظ بها، ممتثلاً لأمر الرب. وبعد ذلك يظهر له ملاك الرب في حكم ثانٍ يأمره بالسفر إلى مصر هرباً من هيرود. ثم يظهر له مرة ثالثة في مصر يأمره بالعودة لأن هيرود قد مات. وفي

كل هذه الأحداث لا تؤدي مريم دوراً يذكر، ولا نسمع منها قولاً واحداً أو حواراً مع أحد.

أما عند لوقا، فإن الدور الرئيس تؤديه مريم؛ فالملاك لا يظهر ليوسف من أجل البشارة، وإنما يظهر لمريم في اليقظة لا في الحلم فتراه وتحاوره. ولا نعرف بعد ذلك كيف كانت ردة فعل يوسف على حمل مريم، وإنما نجدها تتصرف بحرية، فتترك مدينتها في الجليل وتسافر وحيدة إلى أورشليم في رحلة طويلة لتزور نسيبتها أليصابات التي كانت حاملاً بيوحنا المعمدان، وتمكث لديها ثلاثة أشهر ثم تعود إلى بيتها. وبعد ذلك نجدها بصحبة يوسف على أبواب بيت لحم، حيث وضعت مولودها هناك.

6- لا يورد متى القصة التي فصَّلها لوقا عن زكريا وزوجته أليصابات ومولد يوحنا المعمدان. كما إنه لا يورد قصة سفر مريم للإقامة عند نسيبتها أليصابات مدة ثلاثة أشهر.

7- يتفق الإنجيلان في عدم التعرض لأصل مريم وميلادها وأسرتها وحياتها قبل الحمل بيسوع. وهي المسائل التي ستلقى عناية مؤلفي أناجيل الطفولة المنحولة التي سنعرض لأهمها فيما يلي.

3

النصوص (3)

الرواية الإنجيلية غير الرسمية

إنجيل يعقوب:

يعزى هذا الإنجيل إلى يعقوب الملقب بالبار. وهو أخو يسوع الذي ورد ذكره عند متى ومرقس بين إخوة يسوع الأربعة: يعقوب ويوسي وسمعان ويهوذا، وأخوات لم تذكر أسماءهن. (راجع متى 13: 54-58 ومرقس 6: 1-3). وقد تضاربت الأقوال بشأن هؤلاء الإخوة. فمن قائل بأنهم أولاد يوسف النجار من زواج سابق. ومن قائل بأنهم أشقاء يسوع من مريم ويوسف، استناداً إلى ما ورد عند متى من أن يوسف *.... وَأَخَذَ امْرَأَتَهُ. *وَلَمْ يَعْرِفْهَا حَتَّى وَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ (متى 1: 24-25). وهذا يعني برأي هؤلاء أن يوسف قد عرفها (أي قاربها) بعد ولادة ابنها البكر وأنجبت له إخوة يسوع وأخواته. ومن قائل بأنهم أولاد أخت مريم، وهؤلاء في عرف اليهود يحسبون مثل الإخوة.

اهتدى يعقوب إلى المسيحية بعد وفاة يسوع، شأنه في ذلك شأن بقية أفراد الأسرة الذين لم يكونوا راضين عن سلوك يسوع، وجاؤوا في إحدى المرات للقبض عليه لأنهم اعتبروه مختلاً (مرقس 3: 21). ولكن يعقوب بعد اهتدائه صار رئيساً لكنيسة أورشليم في العصر الرسولي، ثم استشهد رجماً بالحجارة على يد اليهود.

يرجع زمن تأليف إنجيل الطفولة المعزو إلى يعقوب إلى أواسط القرن الثاني الميلادي. وأقدم النسخ التي وصلتنا منه هي النسخة السريانية. وهناك نسخ أحدث منها باللغات اليونانية والأرمنية والجيورجية والسلافية. يعتمد مؤلف هذا النص روايتي متى ولوقا للميلاد، ويدمج بينهما في رواية واحدة، ولكنه يضيف إلى ذلك تفاصيل واقعية عن أصل مريم وميلادها وأسرتها وحياتها السابقة، وتفاصيل أخرى عن ولادة يسوع في مغارة على الطريق إلى بيت لحم.

النص[12]:

ورد في رواية تاريخ أسباط إسرائيل خبر يواكيم، الذي كان رجلاً واسع

الثراء، وكان يقدم للرب أضاحٍ مضاعفة قائلاً: هذا من وفرة مالي أهبة للناس، وهذا لمغفرتي أقدمه للرب كفارة.

وعندما حل يوم الرب العظيم، جاء بنو إسرائيل ليقدم كلٌّ قربانه إلى الرب، فحالَ الكاهن راؤبين بين يواكيم وبغيته قائلاً: «لا يحق لك أنت أن تقدم قربانك قبل الجميع، لأنك لم تترك ذرية في إسرائيل». اغتم يواكيم وراح يراجع كتاب أسباط إسرائيل الاثني عشر قائلاً: «فلأبحث هنا علّني أجد أحداً غيري لم ينجب ذرية في إسرائيل». فبحث ووجد أن كل الأتقياء من بني إسرائيل قد أنجبوا ذرية. ثم تذكر إبراهيم وكيف وهبه الله في آخر أيامه ابنه إسحاق، فاكتأبت نفسه ولم يعد إلى زوجته، بل توجه إلى البرية. وهناك نصب خيمة ثم صام أربعين ليلة قائلاً: «لن أعود لطلب طعام أو شراب حتى يزورني الرب، وستكون صلاتي هي طعامي وشرابي».

وفي هذه الأثناء كانت زوجته حنة مغتمة الفؤاد، تبكي وتنوح وتضرب على صدرها قائلة: «إني أندب عقمي، فلقد صرت خزياً في أسباط إسرائيل». وعندما جاء يوم الرب العظيم قالت لها خادمتها يهوديت: «إلى متى تضنين روحك؟ لقد حل يوم الرب العظيم ولا يجوز لك البكاء بعد. خذي عصابة الرأس هذه، التي وهبتني إياها ربة عملي، لأنه لا يحق لي وضعها، لأنها تحمل شارة الملوكية وأنا خادمة». فقالت لها حنة: «إليك عني، لن أفعل ذلك، فلقد أذلني الرب. لعل شخصاً مشكوكاً بأمره قد وهبك إياها ملاطفة، فجئت إلي لكي أشاركك في خطيئتك». فقالت لها يهوديت خادمتها: «ما نفعي لك إذا كنت لا تصغين إلي؟ لقد أغلق الرب رحمك حتى لا يكون لك ثمرة في إسرائيل». اكتأبت حنة، ولكنها خلعت عنها ثياب الحداد وارتدت ثياب زفافها وزينت رأسها، ونحو الساعة التاسعة خرجت لتتنزه في البستان، فشاهدت شجرة غار وجلست تحتها وراحت تناجي الرب قائلة: «يا إله آبائي باركني واستمع لصلواتي، كما باركت سارة ووهبتها ابنها إسحاق».

بعد ذلك حانت منها نظرة نحو الأعلى فرأت عش عصفور دوري، فأخذت تندب قائلة: «الويل لي، من الذي أنجبني، وأي رحم ولدني؟ لأني صرت لعنة في بني إسرائيل، هزئوا بي وطردوني من الهيكل. الويل لي، من أشبه؟ إني لا أشبه حيوانات البر لأن حيوانات البر لها نسل أمامك يا ربي. الويل لي من أشبه؟ إني لا أشبه الحيوانات العجماء لأن للحيوانات العجماء نسل أمامك يا ربي. الويل لي من أشبه؟ إني لا أشبه حتى هذا الماء لأن الماء يطرح ثمراً أمامك يا ربي. الويل لي من أشبه؟ إني حتى لا أشبه هذه الأرض التي تخرج ثمارها في فصولها وتباركك يا ربي».

عندئذٍ، ظهر لها ملاك الرب وقال: «حنة، حنة. لقد سمع الرب صلاتك، ولسوف تحملين وتلدين، وتلهج ألسنة المعمورة بذكر نسلك». فقالت حنة: «حي هو الرب. إذا ما أنجبت ذكراً أو أنثى فسوف أنذره للرب ليخدمه كل أيام حياته». بعد ذلك جاءها رسولان وقال لها: «ها هو زوجك يواكيم قادم مع

قطعانه، لأن ملاك الرب ظهر له قائلاً: «يواكيم، يواكيم. لقد سمع الرب صلاتك. اهبط من هنا لأن زوجتك حنة سوف تحمل». فهبط يواكيم وأمر الرعاة قائلاً: هاتوني بعشر خراف سليمة لاشيَّة فيها، وهاتوني باثني عشرة عجلاً، ليكونوا للكهنة والشيوخ، ومئة جدي لم تتجاوز أعمارها السنة، ليكونوا لجميع الناس». ثم إن يواكيم أقبل مع قطعانه، فرأته حنة قادماً وهي بالباب، فهرعت إليه وتعلقت بعنقه قائلة: «لقد عرفت الآن أن الرب باركني بركة عظيمة، وها هي الأرملة لم تعد أرملة، والعاقر سوف تنجب». وفي الغد بكَّر يواكيم حاملاً تقدماته وهو يقول في نفسه: «إذا كان الرب راض عني فسوف أرى ذلك في الصفيحة التي يثبتها الكاهن على مقدمة غطاء الرأس». ثم إن يواكيم قدم قربانه وهو ينظر بانتباه شديد إلى صفيحة الكاهن وهو يصعد درج المذبح، ثم قال: «لقد عرفت الآن أن الرب راض عني، وقد غفر لي كل خطاياي». وبعد ذلك خرج من الهيكل مُبرَّراً وذهب إلى بيته.

ولما أكلمت حنة شهورها وضعت مولودها في الشهر التاسع. فسألت القابلة: «ماذا أنجبتُ»؟ فقالت القابلة: «إنها أنثى». فقالت حنة: «لقد تعظمت روحي في هذا اليوم». ثم أسلمت نفسها للراحة. ولما تمت أيام تطهُّرها طهَّرت حنة نفسها وألقمت الطفلة صدرها، ودعتها بالاسم مريم.

ويوماً فيوم كانت الطفلة تكبر وتتقوى. ولما بلغت شهرها السادس أوقفتها أمها على الأرض لترى هل تستطيع الوقوف لوحدها، فمشت الصغيرة سبع خطوات ثم عادت إلى حضن أمها، فرفعتها حنة إليها قائلة: «لن تخطو قدماك على هذه الأرض قبل أن أحملك إلى هيكل الرب». ثم جاءت ببنات عبرانيات عذراوات ليعتنين بها.

وعندما أتمت الطفلة عامها الأول، صنع يواكيم وليمة كبيرة دعا إليها الكهنة والكتبة والشيوخ وجمعاً من بني إسرائيل، وقدم الطفلة إلى الكهنة فباركوها قائلين: «يا إله آبائنا بارك هذه الطفلة وارفع اسمها عالياً في كل الأجيال». وردد الجميع من ورائهم قائلين: «فليكن مثلما تقولون. أمين». وبعد ذلك حملها يواكيم إلى رؤساء الكهنة فباركوها قائلين: «يا رب الأعالي، انظر إلى هذه الطفلة وباركها بركة أبدية». بعد ذلك عادت حنة بالطفلة إلى مقدسها في الغرفة وأرضعتها. ثم أنشدت حنة ترنيمة للرب قائلة: «إني أسبح الرب الإله لأنه زارني ودفع عني شماتة أعدائي، ووهبني ثمرة بِرّه مضاعفاً. من لي بمن يخبر بني رأوبين أن حنة تلقم صدرها. اسمعوا يا أسباط إسرائيل الاثني عشر، إن حنة ترضع من صدرها». ثم تركت الطفلة لتستريح في مقدسها وعادت لتخدم ضيوفها. وعندما انتهت الوليمة انصرفوا وهم يمجدون إله إسرائيل.

مرت الشهور وأكملت الطفلة عامها الثاني. فقال يواكيم: «لنأخذها إلى الهيكل ونفي بنذرنا حتى لا يطالبنا به الرب فتغدو تقدمتنا غير مقبولة». فقالت له حنة: «لننتظر انقضاء عامها الثالث حتى لا تفتقد الطفلة أبويها». فقال

يواكيم: «فلننتظر». وعندما أكملت الطفلة عامها الثالث قال يواكيم: «ادعِ لي فتيات عبرانيات عذراوات، ولتحمل كل واحدة بيدها مصباحاً متقداً، حتى لا تلتفت الطفلة إلى الوراء وينصرف قلبها عن هيكل الرب». فتم له ما أراد وساروا حتى أتوا هيكل الرب. وهناك تلقاها الكاهن وقبلها قائلاً: «لقد عظم الرب اسمك في كل الأجيال، ومن خلالك سيُظهر خلاصه لبني إسرائيل». ثم أجلسها على الدرجة الثالثة للمذبح. وأسبغ الرب عليها نعمته فراحت تقفز على رجليها. وأحبها كل آل إسرائيل.

وعاد أبواها من الهيكل متعجبين وممجدين الرب، لأن الطفلة لم تلتفت إلى الوراء. أما مريم فقد بقيت في هيكل الرب مثل حمامة تتلقى الطعام كل يوم من يدي ملاك.

ولما أتمت عامها الثاني عشر، اجتمع الكهنة يتشاورون بشأنها قائلين: «ها قد بلغت مريم الثانية عشر من عمرها، فما عسانا فاعلين بها حتى لا تدنس مَقدِس الرب؟» ثم توجهوا بالقول إلى الكاهن الأعلى زكريا: «إنك أنت من يرعى مذبح الرب، فهلا دخلتَ وصليت من أجلها، ولسوف نفعل كل ما يوحيه الرب إليك». فوضع الكاهن الأعلى عليه رداءه ذي الجلاجل الاثني عشر، ودخل إلى قدس الأقداس، فصلى من أجلها. فظهر له ملاك الرب وقال له: «زكريا، زكريا. اذهب وادع إليك جميع الرجال الأرامل، وليجلب كل واحد معه عصاً، فمن ظهرت آية الرب على عصاه يأخذ مريم زوجة له». فانطلق المنادون ينادون في جميع أرجاء اليهودية. وقرع بوق الرب، واجتمع إليه كل الرجال.

ويوسف النجار ترك قَدّومه والتحق بالرجال أيضاً. وجاء الجميع إلى زكريا حاملين معهم عصيهم. فجمع زكريا العصي ودخل إلى الهيكل فصلى، ثم خرج وراح يرد العصي إلى أصحابها واحداً بعد آخر. ولكن لم تظهر آية على واحدة منها، حتى وصل إلى عصا يوسف وكانت الأخيرة، فما إن مد يده ليأخذها حتى انطلقت منها حمامة وطارت فحطت على رأسه. عند ذلك قال الكاهن ليوسف: «لقد تم اختيارك بالقرعة لكي تأخذ عذراء الرب وتحتفظ بها». فأبدى يوسف معارضته قائلاً: «لا أريد أن أصبح سخرية في إسرائيل. فأنا رجل كبير السن وعندي أولاد». فقال له الكاهن: «اتق الرب إلهك، وتذكر ما فعله بداثان وأبيرام وقورح، وكيف خسف بهم الأرض فابتلعتهم جزاء معاندتهم[13]. فاحذر أن يقع الشيء نفسه في بيتك». فخاف يوسف وأخذها. ثم إنه قال لمريم: «لقد أخذتك من هيكل الرب لتبقي عندي في البيت. وأنا الآن ذاهب في سفر لبعض أعمالي، وسوف أعود إليك فيما بعد، فليحفظك الرب».

بعد هذه الأمور عقد الكهنة اجتماعاً ليبحثوا في مسألة صُنع حجاب جديد لهيكل الرب[14]. فقال الكاهن الأعلى: «اجمعوا لنا فتيات عذراوات من عشيرة داود». فانطلق خدم الهيكل يبحثون عن سبع فتيات. وتذكر الكاهن مريم، فهي من عشيرة داود ونقية طاهرة أمام الرب، فذهب الخدم وجاؤوا بها

مع بقية الفتيات. فقال الكاهن: «أجروا القرعة أمامي فيما يخص من ستغزل الخيط الذهبي، والأبيض، والكتاني، والحريري، والقرمزي، والأرجواني، والأرجواني القاني. فوقعت قرعة الخيط الأرجواني والأرجواني القاني على مريم، فأخذتهم وعادت إلى البيت[15]. وفي ذلك الوقت أصيب زكريا بالبكم وفقد نطقه، فحل محله صموئيل ريثما عاد إليه نطقه.

راحت مريم تغزل غزلها الأرجواني. وعندما حملت الجرة وخرجت لتأتي بالماء من النبع، سمعت صوتاً يقول لها: «السلام عليك أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك. مباركة أنت بين النساء». فتلفتت يمنة ويسرة لتعرف مصدر الصوت، ولكنها لم تر أحداً. فخافت وهرعت إلى البيت. فوضعت جرتها وجلست على كرسيها وسحبت إليها خيط الغزل. ولكن ملاك الرب ظهر أمامها قائلاً: «لا تخافي يا مريم، فقد نلت نعمة عند رب الكل، ولسوف تحبلين بكلمته». فلما سمعت هذا القول راحت تحدث نفسها قائلة: «هل سأحمل حقاً من الإله الحي وأنجب كما تنجب كل النساء»؟ فقال لها الملاك: «ليس هكذا يا مريم، لأن قوة الرب سوف تظللك، ولهذا فإن ذلك القدوس المولود منك يدعى ابن العلي، وسوف تسمينه يسوع لأنه سوف يخلص شعبه من خطاياهم». فقالت مريم: «أنا أمة الرب، ليكن لي مثلما تقول».

ثم إن مريم أنهت غزل الأرجوان وجاءت بغزلها إلى الكاهن الأعلى، فباركها قائلاً: «لقد تعظّم اسمك، ولسوف تكونين مباركة بين كل أجيال الأرض». ففرحت مريم وذهبت إلى قريبتها أليصابات وطرقت الباب. فلما سمعت أليصابات الطرق وضعت من يدها الغزل القرمزي وخفت إلى الباب تفتحه. فلما رأت مريم باركتها قائلة: «ما هذا الذي أُعطي لي حتى تأتي أم ربي إلي؟ لأن الجنين الذي في بطني ارتكض وباركك». أما مريم التي نسيت الأسرار التي كشفها لها الملاك المجنح جبرائيل، فنظرت إلى السماء قائلة: «من أنا حتى تباركني كل أجيال الأرض»؟ ثم أقامت مريم عند أليصابات مدة ثلاثة أشهر. وفي هذه الأثناء كان بطنها يكبر يوماً فيوم، فخافت وعادت إلى بيتها وأخفت نفسها عن بني إسرائيل. وكانت في سن السادسة عشر عندما تحققت هذه الأسرار.

ثم دخلت شهرها السادس، وعاد يوسف من أشغاله، فلما دخل البيت رأى أنها حبلى، فلطم وجهه وسقط على بساط الأرض وبكى بحرقة قائلاً: «بأي وجه أنظر إلى الرب إلهي، وأي صلاة أرفعها من أجل هذه الفتاة؟ لقد أتيت بها من هيكل الرب عذراء وعجزت عن صونها. من الذي أوقع بي ومن الذي فعل هذا الشر ببيتي ودنس العذراء؟ ألم يقع لي ما وقع لآدم من قبل عندما كان يُسبّح الرب عندما جاءت الحية ووجدت حواء وحيدة فأغوتها؟ نعم هذا ما حدث لي». ثم نهض عن البساط ودعا مريم قائلاً: «أنت يا من كنت في رعاية الرب، لماذا فعلت هذا ونسيت الرب إلهك؟ لماذا دنست روحك يا من ترعرعت في قدس القداس تتلقين الطعام من يد الملاك»؟

فبكت مريم قائلة: «إني طاهرة ولم أعرف رجلاً». فقال لها يوسف: «فمن أين إذاً ثمرة بطنك هذه»؟ فقالت مريم: «حي هو الرب، لا أعرف من أين».

فخاف يوسف وابتعد عنها وراح يفكر فيما عساه فاعل بها، وقال محدثاً نفسه: «إذا أخفيتُ خطيئتها كنت مذنباً بحق شريعة الرب، وإذا فضحتها أمام بني إسرائيل أخشى أن يكون ما في بطنها من بذرة ملاك وأكون بذلك قد هدرت دماً بريئاً، فماذا عساني أفعل؟ هل أصرفها من البيت سراً»؟ ثم حلَّ الليل، فظهر ليوسف ملاك في الحلم وقال له: «لا تخف من الفتاة لأن الذي بداخلها هو من الروح القدس. سوف تلد صبياً وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم». فاستيقظ يوسف وراح يمجد إله إسرائيل الذي أنعم عليه هذه النعمة، ثم احتفظ بمريم ورعاها.

ثم إن حنانيا الكاتب جاء إليه وسأله: «لماذا لم تحضر اجتماعنا»؟ فقال يوسف: «لقد كنت متعباً من الرحلة وفضلت الراحة في اليوم الأول». ولكن نظرة من حنانيا لاحت باتجاه مريم فرآها حاملاً، فأسرع إلى الكاهن وقال له: «إن يوسف الذي شهِدْتَ له قد ارتكب خطيئة عظيمة». فسأله الكاهن: «ماذا حصل»؟ فقال حنانيا: «لقد دنس الفتاة التي تلقاها من الهيكل دون أن يعقد زواجه عليها[16]، ولم يعلن ذلك لبني إسرائيل». فقال الكاهن: «أحقاً فعل يوسف ذلك»؟ فقال حنانيا: «ابعث برسل وسيرون أن العذراء حامل».

مضى الرسل وتحققوا من صدق قول حنانيا، وجلبوا معهم يوسف ومريم إلى مكان القضاء. قال الكاهن لمريم: «لماذا دنستِ روحك ونسيتِ الرب إلهك، أنت يا من نشأت في قدس الأقداس تتلقين الطعام من يد ملاك، وكنت تستمعين إلى التراتيل وترقصين أمام الرب، لماذا أقدمت على هذا العمل»؟ فبكت مريم بحرقة قائلة: «حي هو الرب إلهي، إني نقية أمامه ولم أعرف رجلاً». فالتفت الكاهن إلى يوسف قائلاً: «لماذا فعلت هذا يا يوسف»؟ فقال يوسف: «حي هو الرب إلهي، إني نقي فيما يتعلق بها». فقال له الكاهن: «لا تتقدم بإفادة كاذبة، بل قل الحق. لقد تزوجتها سرقة ولم تخبر بني إسرائيل ولم تخفض رأسك أمام الرب ليبارك لك في نسلك». فبقي يوسف صامتاً، فقال له الكاهن: «أعد الفتاة التي أخذتها من الهيكل». فبكى يوسف بكاء شديداً. عند ذلك قال لهما الكاهن: «سوف أعطيكما لتشربا من ماء امتحان الرب، وستريان خطيئتكما بادية أمام أعينكما». ثم أخذ الماء وسقى يوسف، وأرسله إلى البرية، فعاد سالماً. ثم أعطى الفتاة لتشرب وأرسلها إلى البرية فعادت سالمة. فتعجب كل الشعب لأنه لم يظهر فيهما إثم. عند ذلك قال الكاهن: «إذا لم يُظهر الرب خطيئتكما فأنا أيضاً لا أدينكما». ثم أطلقهما. فأخذ يوسف مريم ومضى إلى البيت وهو يمجد الرب فرحاً.

في تلك الأيام صدر أمر من أوغسطس الإمبراطور بإجراء الإحصاء في بيت لحم اليهودية. فقال يوسف: «سوف أسجل أولادي، ولكن ما عساي فاعل بهذه الفتاة؟ هل أسجلها ابنتي؟ إن بني إسرائيل يعرفون أنها ليست

ابنتي. هل أسجلها كزوجتي؟ إني استحي من ذلك. إن يوم الرب هذا سيأتي بما يريده الرب». ثم أسرج أتانه وأجلس مريم عليها، وأسلم قيادة الأتان لابنه وسار في المؤخرة. وبعد أن قطعوا مسافة ثلاثة أميال، نظر يوسف إلى مريم فرآها حزينة، فقال لعل الذي في بطنها يؤلمها. ومرة أخرى نظر يوسف إليها فرآها سعيدة مبتهجة، فقال لها: «ما لي أراك حزينة تارة ومبتهجة تارة أخرى»؟ فقالت ليوسف: «لأني أرى شعبين أحدهما في بكاء وحداد والآخر في بهجة واحتفال»[17]. ولما انتصف بهم الطريق قالت له مريم: «يوسف، أنزلني عن الأتان، لأن الذي في بطني يضغط علي من أجل الخروج». فأنزلها قائلاً: «إلى أين آخذك وأستر عارك والمكان هنا مقفر»؟ ووجد هناك مغارة فأدخلها إليها. وترك أبناءه بصحبتها، ثم ذهب ليبحث عن قابلة عبرانية في محيط بيت لحم.

وها أنذا يوسف، كنت أمشي دون أن أتحرك من مكاني. رفعت رأسي نحو الأعلى في اندهاش، كان الهواء جامداً والطيور في السماء الساكنة لا تتحرك. ثم تطلعت إلى الأرض من حولي، فرأيت قدراً موضوعاً وحوله شغيلة متحلقون، فمن مد إليه يده بقيت ممدودة؛ ومن رفعها بلقمة إلى فمه بقيت مرفوعة؛ ومن كان يمضغ لقمته لم يكن يمضغ. ورأيت خرافاً مسوقة ولكنها لا تتحرك، وعصا الراعي التي مُدت عليها بقيت جامدة. وفجأة عاد كل شيء إلى طبيعته مرة أخرى. فنظرت فرأيت امرأة قادمة من جهة المرتفعات فسألتني: «إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل؟» فأجبت: «إني ذاهب لأبحث عن قابلة عبرانية». فسألتني: «وهل أنت من إسرائيل؟» فقلت: «نعم» فسألتني: «من تلك التي تلد في المغارة؟» فقلت: «هي التي أُعطيَت لي خطيبة». فقالت: أوَ ليست زوجتك»؟ قلت: «إنها مريم التي ترعرعت في الهيكل ووقعت علي القرعة لتكون زوجتي، ولكنها ليست زوجتي، وقد حملت من الروح القدس»[18].

فقالت له القابلة: «هل تقول لي الحق». فقال لها: «تعالي فانظري». فمشت القابلة معه حتى وصلا إلى المغارة، فنظرا وإذا غمامة مضيئة تظللها. فقالت القابلة: «لقد تعظمتْ روحي في هذا اليوم لأني رأيت سرا». ثم تراجعت الغيمة وظهر من داخل المغارة ضوء باهر لم يحتملا النظر إليه، ثم انحسر النور وظهر المولود أمامهما، فتحرك وأخذ صدر أمه مريم.

نَدَتْ عن القابلة صيحة عالية (بعد أن اقتربت من مريم وفحصتها)، وقالت: «هذا يوم عظيم لدي لأني رأيت رؤية عجيبة». ثم خرجت القابلة فلقيت سالومي فقالت لها: «سالومي، أريد أن أروي لك أمراً عجباً. لقد وضعتْ عذراء مولودها دون أن تفقد عذريتها». فقالت لها سالومي: «لن أصدق ذلك حتى أفحصها بنفسي». فدخلت القابلة وقالت لمريم: «استعدي لأن جدالاً حامياً سوف يدور حولك». ثم أجلستها في الوضعية المناسبة وقامت سالومي بفحص عذريتها، ثم أطلقت صرخة عالية وقالت: «ويلي لقلة إيماني.

لقد جربت الإله الحي وها يدي سقطت في النار (شلت)». ثم ركعت على ركبتيها أمام الرب ودعت: «يا إله آبائي تذكر بأنني من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فلا تجعلني مثلاً لبني إسرائيل بل اشفني من أجل الفقراء، لأنك تعلم يا إلهي بأني شفيت الكثيرين باسمك ولم أتلق أجري إلا منك». فظهر لها ملاك الرب وقال لها: «قربي يدك ناحية الصبي واحمليه فيكون في ذلك خلاص لك وغبطة». فاقتربت سالومي وحملت الصبي قائلة: «سوف أسجد له، فلقد ولد ملك عظيم في إسرائيل». وللتو شفيت وخرجت من المغارة مبررة. وسمعت صوتاً يقول لها: «سالومي، لا تخبري أحداً بالعجائب التي رأيت قبل أن يدخل الصبي إلى أورشليم».

واستعد يوسف للانطلاق إلى اليهودية. وكان في بيت لحم ضجة لأن حكماء جاؤوا إليها قائلين: «أين المولود ملك اليهود؟ لأننا رأينا نجمه في الشرق فجئنا لكي نسجد له». فلما سمع هيرود الملك ذلك اضطرب وبعث برسله إلى الحكماء؛ كما دعا جميع رؤساء الكهنة وامتحنهم قائلاً: «ما الذي كُتِب عن المسيح أين يولد»؟ فقالوا له: «في بيت لحم اليهودية، هذا هو المكتوب». فأطلقهم، ثم دعا الحكماء وامتحنهم قائلاً: «ما هي الإشارة التي رأيتموها فيما يخص المولود الملك»؟ فأجابوه: «رأينا نجماً كبيراً يسطع بين النجوم ويكسف نورها حتى تعثَّرت رؤيتها، فعلمنا أنه ولد ملك لإسرائيل فجئنا لكي نسجد له». فقال لهم هيرود: «اذهبوا وفتشوا عنه فإذا وجدتموه فأخبروني لكي آتي أنا واسجد له أيضاً». فانطلق الحكماء، وكان النجم الذي رأوه في المشرق يتحرك أمامهم حتى وصلوا إلى المغارة فوقف النجم فوقها، فرأوا الصبي مع أمه مريم وقدموا له هدايا من أكياسهم ذهباً ولباناً ومراً. ثم إن الملاك حذرهم من العودة إلى اليهودية، فاتخذوا إلى ديارهم طريقاً آخر.

ولما رأى هيرود أن الحكماء سخروا منه غضب غضباً شديداً، وأرسل من عنده فرقة من القتلة وأمرهم بذبح كل الصبيان من سنتين فما دون. وعندما سمعت مريم بمذبحة الأطفال خافت وأخذت الصبي فقمطته ووضعته في المعلف. ولما سمعت أليصابات أنهم يبحثون عن يوحنا أخذته وصعدت به إلى مناطق المرتفعات، وبحثت حولها عن مكان تخفيه فلم تجد، فتأوهت وصاحت: «يا جبل الإله خذ إليك الأم ووليدها». فانشق الجبل واحتواهما، وكان هناك نور يضيء لهما وملاك يعمل على حراستهما. في هذه الأثناء كان هيرود يبحث عن يوحنا، فأرسل رسله إلى زكريا يسألونه عن المكان الذي أخفى فيه ولده، فقال لهم: «أنا كاهن أخدم الرب في الهيكل طوال الوقت ولا أعرف أين هو ابني». فعاد الرسل بهذا الكلام إلى هيرود الذي اهتاج وقال: «إن ابنه سيغدو ملكاً على إسرائيل». ثم أمرهم بالعودة إلى زكريا لينقلوا له قوله: «تكلم بالصدق، أين هو ابنك، لأنك تعلم أن دمك بين يدي». فقال لهم زكريا أن يبلغوا هيرود قوله: «إذا سفكتَ دمي فأنا شهيد الرب وهو الذي سيتقبل دمي، لأنك تسفك دماً بريئاً عند هيكل الرب».

وعند مغيب الشمس قُتِل زكريا ولم يعرف بنو إسرائيل بمقتله. وعندما دخل الكهنة في ساعة التسبيح لم يلقاهم زكريا كعادته، فوقفوا في انتظاره ليستهل معهم التسابيح وتمجيد العلي. وعندما لم يظهر انتابهم الخوف، ولكن أحدهم تشجع وولج المحراب فرأى الدم المتخثر يغطي مذبح الرب، وسمع صوتاً يقول: «لقد قتل زكريا ودمه لن يُمسح حتى يأتي المنتقم له». ارتجف الكاهن لسماعه هذه الكلمات وهرع ليخبر الكهنة الذين استجمعوا شجاعتهم ودخلوا ورأوا ما حدث، فتصايحوا وشقوا أرديتهم من أعلى إلى أسفل، ولكنهم لم يجدوا جثته، فقط الدماء المسفوكة وقد تصلبت كالحجارة، فداخلهم الرعب وخرجوا ليعلنوا مقتل زكريا. فسمعت كل قبائل الشعب وبكته طوال ثلاثة أيام وثلاث ليال. وبعد ذلك اجتمع الكهنة ليختاروا بديلاً عن زكريا، فوقعت القرعة على سمعان، وهو الرجل الذي أوحى إليه الروح القدس بأنه لن يموت قبل أن يرى المسيح في الجسد[19].

وأنا يعقوب الذي كتب هذا التاريخ في أورشليم إبان الاضطرابات التي أعقبت موت هيرود، عندما انسحبت ولجأت إلى البرية حتى هدأت الأحوال في أورشليم. أمجد الرب الذي وهبني النعمة والحكمة لأتم هذا التاريخ. ولتحل النعمة على أولئك الذين يخشون مولانا يسوع المسيح. له المجد إلى نهاية الدهر، آمين.

إنجيل متى المنحول في أصل مريم وطفولة المخلص:

وصلتنا ترجمة لاتينية واحدة لهذا النص عن اليونانية. وهي تعود بتاريخها إلى القرن الثامن الميلادي. أما الأصل فلم يستطع الاختصاصيون تحديد زمنه بدقة، ولكنه كُتب بالتأكيد بعد القرن الثاني الميلادي، نظراً لاعتماده في قسمه الأول على إنجيل يعقوب، وهو القسم المتعلق بأصل مريم وميلاد يسوع، والرحلة إلى مصر. ولسوف أقدم فيما يلي ملخصاً لهذا القسم لتفادي التكرار، مع التركيز على العناصر التي لم ترد في إنجيل يعقوب، لا سيما فيما يتعلق بمعجزات يسوع الطفل أثناء الرحلة إلى مصر.

ملخص النص[20]:

1- في تلك الأيام، كان رجل في أورشليم اسمه يواكيم من قبيلة يهوذا. كان يواكيم يعتني بقطعانه الوافرة العدد، ويقدم قرباناً مضاعفاً للرب من وفرة ثروته، لهذا فقد بارك الرب في حاله وزاده. وقد تزوج من امرأة من قبيلة يهوذا أيضاً اسمها حنة، وسكن معها مدة عشرين عاماً دون أن يرزق منها بأولاد.

2- الكاهن راؤبين يرفض قربان يواكيم لأنه لم ينجب ذرية، فيمضي يواكيم بقطعانه إلى الجبال. وخلال خمسة أشهر لم تتلق منه حنة أي خبر، فراحت تشكو أمرها إلى الرب. ترى عش عصفور فتندب عقمها، وتنذر للرب

أنها إذا حبلت فسوف تكرس مولودها لخدمة الرب في الهيكل. عند ذلك يظهر لها ملاك ويبشرها بميلاد طفلة لها.

3- يظهر الملاك أيضاً ليواكيم في البرية ويبشره بميلاد طفلة له، ويتنبأ لها بمستقبل مجيد ثم يأمره بالعودة إلى زوجته. يرجع يواكيم بقطعانه ويقضي في الطريق ثلاثة عشر يوماً. يظهر الملاك لحنة مرة أخرى ويأمرها أن تستقبل زوجها عند بوابة الهيكل. يواكيم وحنة يلتقيان.

4- حنة تحبل، وبعد تسعة أشهر تضع مولودة وتسميها مريم. تؤخذ الطفلة إلى الهيكل بعد إتمامها عامها الثالث وفاءً للنذر، وهناك يستقبلها الكاهن عند البوابة، فتصعد مريم خمس عشرة درجة.

5- حنة ترفع صلاة شكر طويلة لله.

6- وصف مسهب لجمال مريم وعفتها وتقواها، وكيف كانت تتلقى الطعام في كل يوم من يد ملاك.

7- يعرض الكاهن أبيثار على مريم الزواج من ابنه، ولكنها تعتذر قائلة إنها قد نذرت للرب عفة دائمة.

8- مريم تبلغ سن الرابعة عشر، والكهنة يعقدون اجتماعاً للبحث بشأن مستقبلها. الكاهن الأعلى يدعو كل الرجال غير المتزوجين إلى الاجتماع في الهيكل، ومع كل واحد منهم عصا. الكاهن يتحدث إليهم قائلاً إنه منذ أيام سليمان كان هناك فتيات نبيلات عذراوات ينذرن إلى الهيكل، ثم يتزوجن عند بلوغهن السن المناسبة، ولكن الفتاة مريم قد نذرت للرب عذرية دائمة، وعلينا أن نعين لها رجلاً يكفلها ويعتني بها.

يقدم الرجال عصيهم للكاهن. الآية تظهر على عصا يوسف، الذي يعارض في البدء لأنه متقدم في السن وعنده أولاد، ولكنه يذعن أخيراً مشترطاً أن تصاحبها إلى بيته خمس عذارى أخريات للإقامة عنده معها. فيجري اختيار كل من رفقة وصفورة وسوسنة وأبيجة وزاهيل. يجري توزيع الغزل على هؤلاء الفتيات من أجل صنع حجاب الهيكل، ويكون اللون الأرجواني من نصيب مريم. يوسف يمضي في رحلة عمل طويلة.

9- مريم تخرج لجلب الماء من النبع، وهناك يظهر لها الملاك ويبشرها بالحمل. وبعد ثلاثة أيام تظهر لها حمامة وهي تحيك الأرجوان بأصابعها وتكرر البشارة.

10- بعد تسعة أشهر يرجع يوسف من كفرناحوم حيث كان مشغولاً بحرفته كنجار، ليجد مريم حاملاً، فيبكي وينتحب. العذراوات يدافعن عن مريم ويبرئنها ولكنه لا يصدقهن.

11- يظهر الملاك ليوسف ويعلن له براءة مريم، فيطلب يوسف عفوها.

12- تنتشر الإشاعات حول حمل مريم، فيستدعي الكهنة يوسف ومريم، ويخضعونهما لاختبار ماء الرب وتظهر براءتهما، فيطلب الجميع عفو مريم ويشيعونها إلى البيت معززة.

13- تتوجه العائلة إلى بيت لحم من أجل الإحصاء، ومريم تلد في المغارة وفق التفاصيل الواردة في إنجيل يعقوب. مع حذف مشهد سكون الطبيعة لحظة الميلاد، وإضافة مشهد تقديس الرعاة الوارد عند (لوقا 2: 8-18).

14- في اليوم الثالث تترك مريم المغارة وتذهب إلى اصطبل، حيث تضجع يسوع في معلف. ثور وحمار يتقدمان إلى المعلف ويتعبدان ليسوع. تبقى العائلة في الاصطبل مدة ثلاثة أيام.

15- في اليوم السادس تصل العائلة إلى بيت لحم للاحتفال بالسبت وختان الطفل. تقديم يسوع إلى الهيكل وفق ما هو وارد عند لوقا 2.

16- قصة الحكماء المجوس والنجم وما جرى لهم مع الملك هيرود.

17- مذبحة الأطفال، دون التعرض لبحث هيرود عن الطفل يوحنا ومقتل أبيه زكريا.

إلى هنا ينتهي اعتماد منحول متى على إنجيل يعقوب الذي أفاد منه بكثير من الحرية، وتبدأ قصة السفر إلى مصر وما تخللها من معجزات يسوع الطفل وهو ما زال في السنة الثانية من عمره.

18- في الطريق إلى مصر تصل العائلة المؤلفة من يوسف ومريم ويسوع وأولاد يوسف الآخرين إلى مغارة، حيث أرادوا التوقف والاستراحة. ولكن تنانين تخرج من المغارة، فينزل يسوع عن حضن أمه ويقف أمام التنانين التي تسجد له ويأمرها بألا تؤذي أحداً.

19- أسود وفهود تأتي أيضاً وتسجد أمام يسوع، ثم ترافقهم لتدلهم على الطريق؛ وأثناء ذلك تنضم إليهم ذئاب كاسرة تواكبهم.

20- مريم ترى شجرة نخيل وتحب أن تستريح تحتها؛ وعندما تتكئ في ظلها ترفع عينيها وترى ثمرها، فتقول ليوسف إنها تشتهي لو تذوق من رُطبها. يوسف يتذرع بارتفاع الشجرة ويقول إن ما يشغل باله حقاً هو قلة الماء لديهم. يسوع الجالس في حضن أمه يأمر الشجرة أن تدني رطبها من أمه، فتنحني الشجرة حتى تصل أقدام مريم فتقطف منها وتأكل، ثم يأمر يسوع النخلة أن ترتفع فتفعل ذلك. وبعد ذلك يأمرها أن تفتح مجرى للماء المخزون عند جذورها، فيتدفق من تحتها نبع صاف يشربون منه ويسقون حيواناتهم. يسوع يعد النخلة بأن يزرع أحد أغصانها في الجنة، وملاك يهبط

من السماء فيأخذ الغصن ويطير به.

22- يشتد الحر على الركب فيقصر يسوع المسافة، وما تلبث حتى تظهر أمامهم أرض مصر ومدنها. تصل العائلة إلى مدينة هيرموبوليس وتدخل إلى معبدها الذي يحتوي على 365 صنماً، فتسقط الأصنام على وجوهها وتتحطم.

23- يأتي حاكم المدينة بعد أن سمع بما حصل في المعبد. وعندما يرى الأصنام ساقطة يسجد أمام يسوع، ويؤمن أهل المدينة بالرب من خلال يسوع.

إلى هنا وينتهي القسم الأول من هذا النص. أما القسم الثاني فيقص عن معجزات يسوع بعد العودة إلى الوطن. والمؤلف هنا يعتمد بشكل رئيس على إنجيل الطفولة المعزو إلى توما، لذلك فإننا سوف نتابع هذه المرحلة من حياة يسوع في ذلك الإنجيل.

إنجيل توما الإسرائيلي:

لدينا ثلاث نسخ من هذا الإنجيل، تتفاوت في الطول وفي عدد وطبيعة الأحداث التي ترويها. وهي: النص اليوناني A، والنص اليوناني B، والنص اللاتيني. وأقدم هذه النصوص يرجع إلى القرن الخامس الميلادي، ولكنها تعتمد على نص سرياني أقدم منها لا نستطيع التأكد من تاريخه.

ولقد اخترت النص اليوناني B لأنه الأكثر اختصاراً وملاءمة لموضوعنا[21].

النص اليوناني B:

أنا توما الإسرائيلي، رأيت الحاجة ماسة لتعريف إخواننا في الأمم الوثنية بالأعمال الجليلة التي قام بها ربنا يسوع المسيح بعد أن ولد في الجسد وأتى إلى مدينة الناصرة، عندما كان في سن الخامسة.

في أحد الأيام وبعد هطول المطر، خرج يسوع من البيت حيث كانت أمه، لكي يلعب في المكان الذي يجري فيه الماء على الأرض، فصنع بركاً صغيرة وجر إليها الماء ثم قال: «أريد أن يصفو هذا الماء ويغدو رقراقاً». وفي الحال تحققت رغبته. وفي هذه الأثناء مر به الصبي ابن حنانيا الكاتب وبيده عود من شجر الصفصاف، فخرب بعوده البرك وبدد الماء. فالتفت إليه يسوع وقال: «أيها الشرير المتمرد، بماذا آذتك هذه البرك حتى أفرغتها؟ إنك لن تكمل طريقك حتى تجف وتذوي مثل هذا العود الذي في يدك». وعندما مضى الصبي في طريقه سقط ميتاً. فلما رأى الأطفال الحاضرون ما حدث مضوا وأخبروا أبا الطفل بموته، فأسرع الوالد إلى المكان حيث رأى ابنه ميتاً، فتوجه

إلى يوسف يتهمه.

أما يسوع فقد جبل من الطين اثني عشرة عصفوراً، وكان ذلك في يوم السبت. فجاء أحد الأطفال إلى يوسف وقال له: «إن ابنك يلعب عند مجرى الماء، وقد صنع من الطين عصافير، وهذا لا يحل في يوم السبت». فجاء يوسف إلى حيث كان يسوع وقال له: «لماذا تفعل مثل هذه الأمور وتدنس السبت؟» ولكن يسوع لم يجبه بل التفت إلى العصافير وقال لها: «هيا طيري، واذكريني في حياتك». فطارت العصافير وحلقت في الجو، أما يوسف فقد وقف مذهولاً بما رأى.

وبعد عدة أيام كان يسوع ماراً في وسط البلدة عندما رماه أحد الأولاد بحجر أصابه في كتفه، فالتفت إليه يسوع وقال: «لن تكمل طريقك». فسقط الولد لتوه ميتاً. فدهش الحاضرون وقالوا: «ما هذا الولد الذي تتحقق كل كلمة يقولها؟» ثم مضوا إلى يوسف قائلين: «إنك لن تستطيع الإقامة بيننا إلا إذ علَّمت ابنك أن يبارك لا أن يلعن، لأنه يتسبب في موت أبنائنا، وكل ما يقوله يتحقق». وعندما جاء يسوع إلى البيت أمسك يوسف بأذنه وقرصها، فنظر إليه يسوع نظرة حادة وقال له: «هذا يكفي».

في اليوم التالي أخذه يوسف من يده وقاده إلى المعلم زكا وقال له: «أيها المعلم، خذ هذا الصبي وعلمه القراءة والكتابة». فقال له المعلم: «اتركه لي، وأنا كفيل بذلك؛ وسأعلمه أيضاً أن يبارك الناس لا أن يلعنهم». فلما سمع يسوع ذلك ضحك وقال: «إنكم تتحدثون عما تعرفون، ولكن عندي من العلم ما يفوق بكثير علمكم، لأنني قبل العالم، وأعرف متى ولد آباء آبائكم، وأعرف عدد سنوات حياتكم». فذهل الحاضرون لما سمعوا ولكن يسوع تابع قائلاً: «هل تعجبون مما قلت؟ الحق أقول لكم أيضاً بأني أعرف متى خُلق العالم. إنكم الآن لا تصدقونني، ولكن متى ترون صليبي تعرفون أني أقول الحق». فدهشوا لما سمعوه منه.

وعندما كتب زكا الأحرف العبرية قال ليسوع: «ألف» فردد يسوع بعده الحرف. ثم قال المعلم ثانية: «ألف» فردد بعده أيضاً. ثم قال للمرة الثالثة: «ألف» فقال له يسوع: «أنت لا تعرف الألف فكيف يمكنك أن تعلم الباء؟» ثم انطلق من تلقاء ذاته ينطق الحروف الأبجدية الاثنين والعشرين، ثم قال له: «إليك أيها المعلم سر الحرف الأول؛ انظر إلى عدد الإشارات والخطوط التي تؤلفه، وكيف تفترق وتتآلف، وما يعنيه ذلك». فلما سمع منه زكا هذا الكلام عن حرف واحد دهش ولم يُحر جواباً، ثم التفت إلى يوسف قائلاً: «حقاً إن هذا الطفل ليس من مواليد هذا العالم. خذه بعيداً عني».

بعد هذه الأمور، كان يسوع يلعب مع الأولاد على سطح بيت مؤلف من طابقين، عندما دفع أحدهم رفيقه فسقط من الأعلى على الأرض ومات. فلما رأى الصبية ذلك هربوا جميعاً وبقي يسوع وحده واقفاً على السطح. ولما

عرف والدا الصبي بما حدث لابنهم جاءا ينذبان، وشاهدا جثة ولدهما على الأرض ويسوع واقفاً في الأعلى، فاعتقدا أن يسوع هو الذي دفعه وراحا يشتمانه. فلما رأى يسوع ذلك قفز من أعلى السطح ووقف عند رأس الميت وقال له: «زينو، أحقاً أنا الذي دفعك؟ قم وأخبرنا». فقال الصبي وسجد ليسوع قائلاً: «أنت لم تدفعني، ولكني كنت ميتاً فأحييتني».

وبعد ذلك بأيام قليلة، كان أحد الجيران يقطع الحطب عندما أصابت الفأس أخمص قدمه وراح ينزف بشدة حتى شارف على الموت، فهرع إليه جمع غفير وجاء يسوع بينهم، فأمسك بالقدم المصابة فشفيت في الحال، ثم قال للرجل: «انهض وتابع قطع حطبك». فقام وسجد له وشكره وتابع عمله، وكل الحاضرين تعجبوا وقدموا له الشكر.

وعندما كان في سن الثامنة من عمره، طلب أحد الأقرباء من يوسف أن يصنع له سريراً، لأن يوسف كان نجاراً، فمضى إلى الحقل ليجمع أخشاباً ورافقه يسوع. فاقتطع يوسف عارضتين وشذبهما بالفأس (ليصيرا متساويتين في الطول) ثم وضعهما على الأرض متوازيتين وقاسهما، فوجد إحداهما أطول من الأخرى، فاغتاظ وراح يبحث عن عارضة أخرى، ولكن يسوع الذي كان يراقب ما يجري قال له: «اقبض بقوة على العارضة القصيرة». فتعجب يوسف ولكنه فعل ذلك، عندها قبض يسوع على طرف العارضة وشده إليه فطالت الخشبة حتى ساوت نظيرتها، ثم قال ليوسف: «لا تغتظ بل تابع عملك بسلام». وعندما رأى يوسف ذلك تعجب وقال في نفسه: «كم أنا محظوظ لأن الله وهبني مثل هذا الغلام». وعندما عاد إلى المدينة أخبر مريم بكل ما جرى، فلما سمعت أعمال ولدها العجيبة ابتهجت وباركته، مع الآب والروح القدس. من الآن وإلى أبد الدهر. آمين».

إنجيل الطفولة العربي:

كتب هذا النص باللغة السريانية في زمن لا نستطيع تحديده بدقة، ولكن نظراً لاعتماده على إنجيل يعقوب وإنجيل متى المنحول وإنجيل توما الإسرائيلي، فإن زمن كتابته لا يتعدى القرن الخامس الميلادي. لم يصلنا النص بأصله السرياني، وإنما بترجمة عربية واحدة وبثلاث نسخ. النسخة الأولى هي المخطوطة التي حققها وترجمها الباحث Sike عام 1696، وقد صارت ترجمة Sike هذه الأساس الذي قامت عليه بعد ذلك بقية الترجمات إلى اللغات الأوربية. ولكن المخطوطة العربية الأصلية قد فقدت فيما بعد. ولدينا مخطوطتان غير محققتان لهذا الإنجيل: الأولى محفوظة في روما، والثانية في فلورنسا.

تستغرق معجزات يسوع الطفل القسم الأعظم من هذا الإنجيل، مع مقدمة قصيرة عن الميلاد اعتمدت بشكل رئيس إنجيل يعقوب. ولسوف نقتصر هنا على إيراد مقطعين منه: الأول يتعلق بكلام يسوع وهو في المهد، والثاني

يتعلق بصنعه من الطين صوراً كهيئة الطير لتكون طيوراً حية بإذن الله[22].

نقرأ في الفقرة الأولى من الإنجيل: ورد في كتاب الكاهن الأعلى يوسف، الذي عاش في زمان يسوع المسيح، والذي يدعوه البعض قيافا، أن يسوع تكلم في المهد وقال لأمه مريم: أنا الذي ولدْتِه، أنا يسوع ابن الله، الكلمة، على ما بشرك به الملاك جبرائيل. ولقد أرسلني أبي من أجل خلاص العالم.

كما نقرأ في الفقرة السادسة والثلاثين: عندما أتم يسوع عامه السابع، كان يلعب في أحد الأيام مع صبية آخرين من عمره، وكانوا يصنعون على سبيل التسلية صور حيوانات متنوعة من الطين، ذئاباً وحميراً وطيوراً.... وقد صنع يسوع صور طيور وعصافير دوري، وكان يأمرها بالطيران فتطير ثم يأمرها بالتوقف فتتوقف. وحين كان يقدم لها شراباً وطعاماً كانت تأكل وتشرب. وعندما عاد الأولاد إلى بيوتهم رووا لأهاليهم ما رأوا من أفعال يسوع، فقالوا لهم: ابتعدوا من الآن فصاعداً عن صحبته واللعب معه لأنه ساحر.

القسم الثاني

دراسة مقارنة

1

يوحنا المعمدان (يحيى)

ميلاده و نبوته

يوحنا المعمدان هو آخر الأنبياء اليهود على ما تصوِّره الأناجيل الأربعة. ونفهم من رواية إنجيل لوقا لقصة ميلاد يسوع أن ولادة يوحنا كانت قبل ولادة يسوع بستة أشهر. وقد عينت الكنيسة يوم ميلاده في 24 حزيران/يونيو، وهو اليوم الذي يأخذ فيه النهار بالنقصان؛ مثلما عينت يوم ميلاد يسوع في 25 كانون الأول/ديسمبر، وهو اليوم الذي يأخذ فيه النهار بالزيادة، وذلك تفسيراً لما ورد الإنجيل الرابع على لسان يوحنا الذي كان يكرز بقدوم المسيح: *...إِذاً فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ. *يَنْبَغِي أَنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ وَأَنِّي أَنَا أَنْقُصُ (يوحنا 3: 29-30).

وقد أعطى محررو الأناجيل الأربعة للمعمدان دور النبي الذي يظهر قبل ظهور المسيح ويبشر بقدومه، على ما رددته النبوءات المسيانية[23] في كتاب العهد القديم. وهذا النبي هو إيليا، الذي صعد إلى السماء حياً بجسده بعد انتهاء مهمته التبشيرية في مملكة إسرائيل (راجع سفر الملوك الثاني: 2). أو نبي تحل عليه روح إيليا ويتكلم بلسانه. تقرأ في سفر ملاخي: *هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ *فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ (ملاخي 4: 5-6). وأيضاً: هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ (ملاخي 3: 1). ونقرأ في سفر إشعياء هذا المقطع الذي اعتبر نبوءة بظهور يوحنا المعمدان الذي يعد الطريق للمسيح: *صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. قَوِّمُوا فِي الْقَفْرِ سَبِيلاً لإِلَهِنَا. *كُلُّ وَطَاءٍ يَرْتَفِعُ وَكُلُّ جَبَلٍ وَأَكَمَةٍ يَنْخَفِضُ وَيَصِيرُ الْمُعْوَجُّ مُسْتَقِيماً وَالْعَرَاقِيبُ سَهْلاً (إشعياء 40: 3-4).

في إنجيل متى ومرقس ويوحنا، يظهر يوحنا فجأة ودون مقدمات وهو يبشر بقرب اليوم الأخير ويدعو إلى التوبة. ويُعمد الذين مالوا إليه بماء نهر الأردن من أجل الولادة الجديدة ومغفرة الخطايا. أما في إنجيل لوقا، فإن المحرر يقدم لنا قصة مفصلة عن أسرة يوحنا وعن ميلاده، ثم يتوقف عن سرد أخباره إلى حين ظهوره المفاجئ واستهلال كرازته.

رواية متى:

*وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ *قَائِلاً: «تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ. *فَإِنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي قِيلَ عَنْهُ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ: صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ. اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً». *وَيُوحَنَّا هَذَا كَانَ لِبَاسُهُ مِنْ وَبَرِ الإِبِلِ وَعَلَى حَقْوَيْهِ مِنْطَقَةٌ مِنْ جِلْدٍ. وَكَانَ طَعَامُهُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً. *حِينَئِذٍ خَرَجَ إِلَيْهِ أُورُشَلِيمُ وَكُلُّ الْيَهُودِيَّةِ وَجَمِيعُ الْكُورَةِ الْمُحِيطَةِ بِالأُرْدُنِّ *وَاعْتَمَدُوا مِنْهُ فِي الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ..... *حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. *وَلَكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» *فَقَالَ يَسُوعُ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ لأَنَّهُ هَكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. *فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ *وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ». (متى 3: 1-17).

رواية مرقس:

*كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَنْبِيَاءِ: «هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. *صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: أَعِدُّوا طَرِيقَ الرَّبِّ اصْنَعُوا سُبُلَهُ مُسْتَقِيمَةً». *كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ فِي الْبَرِّيَّةِ وَيَكْرِزُ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا. *وَخَرَجَ إِلَيْهِ جَمِيعُ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ وَأَهْلُ أُورُشَلِيمَ وَاعْتَمَدُوا جَمِيعُهُمْ مِنْهُ فِي نَهْرِ الأُرْدُنِّ مُعْتَرِفِينَ بِخَطَايَاهُمْ. *وَكَانَ يُوحَنَّا يَلْبَسُ وَبَرَ الإِبِلِ وَمِنْطَقَةً مِنْ جِلْدٍ عَلَى حَقَوَيْهِ وَيَأْكُلُ جَرَاداً وَعَسَلاً بَرِّيّاً. *وَكَانَ يَكْرِزُ قَائِلاً: «يَأْتِي بَعْدِي مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنِّي الَّذِي لَسْتُ أَهْلاً أَنْ أَنْحَنِيَ وَأَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ. *أَنَا عَمَّدْتُكُمْ بِالْمَاءِ وَأَمَّا هُوَ فَسَيُعَمِّدُكُمْ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ». *وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ جَاءَ يَسُوعُ مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ وَاعْتَمَدَ مِنْ يُوحَنَّا فِي الأُرْدُنِّ. *وَلِلْوَقْتِ وَهُوَ صَاعِدٌ مِنَ الْمَاءِ رَأَى السَّمَاوَاتِ قَدِ انْشَقَّتْ وَالرُّوحَ مِثْلَ حَمَامَةٍ نَازِلاً عَلَيْهِ. *وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ!» (مرقس 1: 2-11).

ونلاحظ هنا أن رواية مرقس، بعكس رواية متى، لا تجعل يوحنا يمانع في تعميد يسوع لأنه عرف أنه المسيح المنتظر، على ما ورد في رواية متى. وهذا ينسجم مع ما ورد عند لوقا فيما بعد، من أن يوحنا أرسل تلميذين من لدنه وهو في السجن بعد أن سمع بأعمال ومعجزات يسوع، ليسألاه عما إذا كان هو المسيح (لوقا 7: 18-23).

رواية لوقا:

لا تخرج رواية لوقا عن الخطوط العامة لروايتي متى ومرقس، ولكن رواية يوحنا تختلف في العديد من عناصرها عن رواية الأناجيل الثلاثة المتوافقة.

رواية يوحنا:

*وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» *فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ وَأَقَرَّ أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. *فَسَأَلُوهُ: «إِذاً مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». «أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لاَ». *فَقَالُوا لَهُ: «مَنْ أَنْتَ لِنُعْطِيَ جَوَاباً لِلَّذِينَ أَرْسَلُونَا؟ مَاذَا تَقُولُ عَنْ نَفْسِكَ؟» *قَالَ: «أَنَا صَوْتُ صَارِخٍ فِي الْبَرِّيَّةِ: قَوِّمُوا طَرِيقَ الرَّبِّ كَمَا قَالَ إِشَعْيَاءُ النَّبِيُّ». *وَكَانَ الْمُرْسَلُونَ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ *فَسَأَلُوهُ: «فَمَا بَالُكَ تُعَمِّدُ إِنْ كُنْتَ لَسْتَ الْمَسِيحَ وَلاَ إِيلِيَّا وَلاَ النَّبِيَّ؟» *أَجَابَهُمْ يُوحَنَّا: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ وَلَكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. *هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي الَّذِي صَارَ قُدَّامِي الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ». *هَذَا كَانَ فِي بَيْتِ عَبْرَةَ فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ حَيْثُ كَانَ يُوحَنَّا يُعَمِّدُ. *وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ. *هَذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ يَأْتِي بَعْدِي رَجُلٌ صَارَ قُدَّامِي لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي. *وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ. لَكِنْ لِيُظْهَرَ لإِسْرَائِيلَ لِذَلِكَ جِئْتُ أُعَمِّدُ بِالْمَاءِ». *وَشَهِدَ يُوحَنَّا: «إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ. *وَأَنَا لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُهُ لَكِنَّ الَّذِي أَرْسَلَنِي لِأُعَمِّدَ بِالْمَاءِ ذَاكَ قَالَ لِي: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرّاً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ. *وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ». (يوحنا 1: 19-34).

نلاحظ هنا وجود ثلاث أفكار انفرد بها إنجيل يوحنا عن الأناجيل الإزائية، وهي:

1- الوجود السابق للمسيح على الوجود الأرضي ليسوع الناصري. وذلك من قوله: «يأتي بعده رجل صار قدامي لأنه كان قبلي». وهذه الفكرة هي المحور الذي يدور حوله لاهوت إنجيل يوحنا، كما سنوضح في حينه.

2- لم يتعمد يسوع على يد يوحنا المعمدان، لأن القادم من السماء لا يتعمد على يد رجل أرضي.

3- يوحنا المعمدان هو الشاهد هنا على نزول الروح القدس واستقراره على يسوع.

كانت مدة كرازة يوحنا المعمدان قصيرة، ولكن نجاحه بين الشعب كان باهراً. فقد أمر هيرود أنتيباس الذي كان ملكاً على الجليل بحبسه، لأنه وبخه على فجوره وعلى زواجه من امرأة أخيه هيروديا. وكان يوحنا يشيع بين الناس أن هيروديا لا تحل له. فكان هيرود راغباً في قتله ولكنه خاف من الشعب لأنه كان عندهم بمثابة نبي. وعندما صار عيد ميلاد هيرود واحتفل به في جمع كبير من المدعوين، رقصت سالومة الصبية ابنة هيروديا من زوجها السابق وسط المدعوين وسرت هيرود الذي كان مخموراً، فأقسم لها أنها مهما طلبت يعطيها. فأسرت إليها أمها الحاقدة على يوحنا المعمدان أن تطلب رأسه

مقطوعاً على طبق، فأسقط في يد هيرود الذي لم يجد أمام المدعوين عذراً للتراجع عن قسمه، فأرسل وقطع رأس يوحنا وجاء به على طبق، فأخذته ودفعته إلى أمها (متى 7: 3-10).

وقد طابق يسوع أيضاً بين يوحنا المعمدان والنبي الآتي قبل حلول ملكوت الرب عندما سأله تلاميذه: «فَلِمَاذَا يَقُولُ الْكَتَبَةُ إِنَّ إِيلِيَّا يَنْبَغِي أَنْ يَأْتِيَ أَوَّلاً؟» *فَأَجَابَ يَسُوعُ: «إِنَّ إِيلِيَّا يَأْتِي أَوَّلاً وَيَرُدُّ كُلَّ شَيْءٍ. *وَلَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ إِيلِيَّا قَدْ جَاءَ وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بَلْ عَمِلُوا بِهِ كُلَّ مَا أَرَادُوا. كَذَلِكَ ابْنُ الإِنْسَانِ أَيْضاً سَوْفَ يَتَأَلَّمُ مِنْهُمْ». *حِينَئِذٍ فَهِمَ التَّلاَمِيذُ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ عَنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ (متى 17: 10-13).

وفي مناسبة أخرى قال للجموع عن يوحنا: *«مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا؟ أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا الرِّيحُ؟ *بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَإِنْسَاناً لاَبِساً ثِيَاباً نَاعِمَةً؟ هُوَذَا الَّذِينَ فِي اللِّبَاسِ الْفَاخِرِ وَالتَّنَعُّمِ هُمْ فِي قُصُورِ الْمُلُوكِ. *بَلْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا؟ أَنَبِيّاً؟ نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ! *هَذَا هُوَ الَّذِي كُتِبَ عَنْهُ: هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلاَكِي الَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ! (لوقا 7: 24-27).

ميلاد يوحنا في رواية لوقا:

هذا التداخل بين حياة يوحنا المعمدان وحياة يسوع هو الذي جعل محرر إنجيل لوقا الذي انفرد برواية قصة ميلاد يوحنا يدمج بين هذه القصة وقصة ميلاد يسوع في سردية واحدة على النحو التالي:

*كَانَ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ مَلِكِ الْيَهُودِيَّةِ[24] كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. *وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ بِلاَ لَوْمٍ. *وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِراً. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. *فَبَيْنَمَا هُوَ يَكْهَنُ فِي نَوْبَةِ فِرْقَتِهِ أَمَامَ اللهِ *حَسَبَ عَادَةِ الْكَهَنُوتِ أَصَابَتْهُ الْقُرْعَةُ أَنْ يَدْخُلَ إِلَى هَيْكَلِ الرَّبِّ وَيُبَخِّرَ. *وَكَانَ كُلُّ جُمْهُورِ الشَّعْبِ يُصَلُّونَ خَارِجاً وَقْتَ الْبَخُورِ. *فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. *فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. *فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. *وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ *لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. *وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ لِيَرُدَّ قُلُوبَ الآبَاءِ إِلَى الأَبْنَاءِ وَالْعُصَاةَ إِلَى فِكْرِ الأَبْرَارِ لِكَيْ يُهَيِّئَ لِلرَّبِّ شَعْباً مُسْتَعِدّاً». *فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟» *فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا. *وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتاً وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا لأَنَّكَ لَمْ تُصَدِّقْ كَلاَمِي الَّذِي سَيَتِمُّ

فِي وَقْتِهِ». *وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. *فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتاً. *وَلَمَّا كَمِلَتْ أَيَّامُ خِدْمَتِهِ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ. (لوقا 1: 5-23).

يلي ذلك مباشرة ظهور جبرائيل لمريم العذراء يبشرها هي أيضاً بالحمل من الروح القدس وولادتها بيسوع، مما سنأتي على ذكره لاحقاً. ثم يتابع لوقا قصة ميلاد يوحنا:

*وَأَمَّا أَلِيصَابَاتُ فَتَمَّ زَمَانُهَا لِتَلِدَ فَوَلَدَتِ ابْناً. *وَسَمِعَ جِيرَانُهَا وَأَقْرِبَاؤُهَا أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا فَفَرِحُوا مَعَهَا. *وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ جَاءُوا لِيَخْتِنُوا الصَّبِيَّ وَسَمَّوْهُ بِاسْمِ أَبِيهِ زَكَرِيَّا. *فَقَالَتْ أُمُّهُ: «لاَ بَلْ يُسَمَّى يُوحَنَّا». *فَقَالُوا لَهَا: «لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهَذَا الاِسْمِ». *ثُمَّ أَوْمَأُوا إِلَى أَبِيهِ مَاذَا يُرِيدُ أَنْ يُسَمَّى. *فَطَلَبَ لَوْحاً وَكَتَبَ: «اسْمُهُ يُوحَنَّا». فَتَعَجَّبَ الْجَمِيعُ. *وَفِي الْحَالِ انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ. *فَوَقَعَ خَوْفٌ عَلَى كُلِّ جِيرَانِهِمْ. وَتُحُدِّثَ بِهَذِهِ الأُمُورِ جَمِيعِهَا فِي كُلِّ جِبَالِ الْيَهُودِيَّةِ *فَأَوْدَعَهَا جَمِيعُ السَّامِعِينَ فِي قُلُوبِهِمْ قَائِلِينَ: «أَتَرَى مَاذَا يَكُونُ هَذَا الصَّبِيُّ؟» وَكَانَتْ يَدُ الرَّبِّ مَعَهُ. *وَامْتَلأَ زَكَرِيَّا أَبُوهُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَنَبَّأَ قَائِلاً: *«مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ *وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. *كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ الَّذِينَ هُمْ مُنْذُ الدَّهْرِ. *خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. *لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ. *الْقَسَمَ الَّذِي حَلَفَ لِإِبْرَاهِيمَ أَبِينَا: *أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا بِلاَ خَوْفٍ مُنْقَذِينَ مِنْ أَيْدِي أَعْدَائِنَا نَعْبُدُهُ *بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ قُدَّامَهُ جَمِيعَ أَيَّامِ حَيَاتِنَا. *وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ. *لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ *بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. *لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ». *أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ وَكَانَ فِي الْبَرَارِي إِلَى يَوْمِ ظُهُورِهِ لِإِسْرَائِيلَ (لوقا 1: 57-80).

يوحنا في الرواية القرآنية:

يدعى يوحنا في الرواية القرآنية باسم يحيى. ويرد ذكره باقتضاب مع أبيه زكريا بين الأنبياء الأولين. من ذلك قوله تعالى: «ونوحاً هدينا من قبل، ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون، وكذلك نجزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس، كل من الصالحين». (6 الأنعام: 84-85). أما قصة مولده ونبوته فترد بشكل مختصر في سورة الأنبياء، وبشكل أكثر تفصيلاً في كل من سورتي مريم وآل عمران:

«وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لاَ تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ* فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا

رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ*». (21 الأنبياء: 89-90).

«كهيعص* ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا* إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاء خَفِيّاً* قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً* يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً* قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً* قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيّاً* فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً* يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً* وَحَنَاناً مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً* وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّاراً عَصِيّاً* وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً*». (19 مريم: 1-15).

وبما أن قصة ميلاد يحيى تتشابك في الرواية القرآنية أيضاً مع قصة ميلاد عيسى، فإنها تنقلنا بعد ذلك مباشرة إلى قوله تعالى: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً».... وذلك إلى آخر قصة بشارة مريم وولادة عيسى.

ولدينا تنويع آخر على هذه القصة في سورة آل عمران، حيث نقرأ:

«هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاء* فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ* قَالَ رَبِّ أَنَّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ* قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيراً وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ*». (3 آل عمران: 38-41). بعد ذلك يجري الانتقال مباشرة إلى قصة مريم: «إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ....».

المقارنة:

تسير الرواية الإنجيلية والرواية القرآنية على التوازي. وتحتويان على العناصر نفسها على ما تبينه المقارنة التالية:

1- أخلاق زكريا وزوجته وعقمهما:

في الإنجيل:

*...كَاهِنٌ اسْمُهُ زَكَرِيَّا مِنْ فِرْقَةِ أَبِيَّا وَامْرَأَتُهُ مِنْ بَنَاتِ هَارُونَ وَاسْمُهَا أَلِيصَابَاتُ. *وَكَانَا كِلاَهُمَا بَارَّيْنِ أَمَامَ اللهِ سَالِكَيْنِ فِي جَمِيعِ وَصَايَا الرَّبِّ وَأَحْكَامِهِ

بِلاَ لَوْمٍ. *وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ إِذْ كَانَتْ أَلِيصَابَاتُ عَاقِراً. وَكَانَا كِلاَهُمَا مُتَقَدِّمَيْنِ فِي أَيَّامِهِمَا. (لوقا 1: 5-7).

في القرآن:

«...إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ». (21 الأنبياء: 90).

«قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً...* وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً* يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً*». (19 مريم: 4-6).

2- البشارة بالحمل والإنجاب:

في الإنجيل:

*فَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ وَاقِفاً عَنْ يَمِينِ مَذْبَحِ الْبَخُورِ. *فَلَمَّا رَآهُ زَكَرِيَّا اضْطَرَبَ وَوَقَعَ عَلَيْهِ خَوْفٌ. *فَقَالَ لَهُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَفْ يَا زَكَرِيَّا لأَنَّ طِلْبَتَكَ قَدْ سُمِعَتْ وَامْرَأَتُكَ أَلِيصَابَاتُ سَتَلِدُ لَكَ ابْناً وَتُسَمِّيهِ يُوحَنَّا. *وَيَكُونُ لَكَ فَرَحٌ وَابْتِهَاجٌ وَكَثِيرُونَ سَيَفْرَحُونَ بِوِلاَدَتِهِ *لأَنَّهُ يَكُونُ عَظِيماً أَمَامَ الرَّبِّ وَخَمْراً وَمُسْكِراً لاَ يَشْرَبُ وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. *وَيَتَقَدَّمُ أَمَامَهُ بِرُوحِ إِيلِيَّا وَقُوَّتِهِ. (لوقا 1: 11-17).

في القرآن:

«فَنَادَتْهُ الْمَلآئِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ[25] وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ». (3 آل عمران: 39).

3- تعجب زكريا وشكه:

في الإنجيل:

*فَقَالَ زَكَرِيَّا لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ أَعْلَمُ هَذَا لأَنِّي أَنَا شَيْخٌ وَامْرَأَتِي مُتَقَدِّمَةٌ فِي أَيَّامِهَا؟» *فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «أَنَا جِبْرَائِيلُ الْوَاقِفُ قُدَّامَ اللهِ وَأُرْسِلْتُ لأُكَلِّمَكَ وَأُبَشِّرَكَ بِهَذَا. *وَهَا أَنْتَ تَكُونُ صَامِتاً وَلاَ تَقْدِرُ أَنْ تَتَكَلَّمَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ هَذَا (لوقا 1: 18-20).

في القرآن:

«قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً* قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً*

قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ ألاّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً*». (19 مريم: 8-10).

وكما نلاحظ أعلاه، فإن عقوبة زكريا على عدم تصديقه، هي فقدان النطق لمدة محدودة.

4- الخروج من المحراب:

في الإنجيل:

*وَكَانَ الشَّعْبُ مُنْتَظِرِينَ زَكَرِيَّا وَمُتَعَجِّبِينَ مِنْ إِبْطَائِهِ فِي الْهَيْكَلِ. *فَلَمَّا خَرَجَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُكَلِّمَهُمْ فَفَهِمُوا أَنَّهُ قَدْ رَأَى رُؤْيَا فِي الْهَيْكَلِ. فَكَانَ يُومِئُ إِلَيْهِمْ وَبَقِيَ صَامِتاً (لوقا 1: 21-22).

في القرآن:

«فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً». (19 مريم: 11).

وتعبير أوحى إليهم الوارد أعلاه يعني أنه أومأ إليهم وكلمهم بالإشارة.

5- مولد يحيى:

لا تذكر الرواية القرآنية شيئاً عن مولد يحيى. وهي تنتقل بنا مباشرة من خروج زكريا من المحراب إلى نبوة يحيى: «يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً». (19 مريم: 12). أي إن نبوة يحيى قد ابتدأت منذ سنواته الأولى. وهذا ما نجد له صدى في قول الملاك لزكريا: *... وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *وَيَرُدُّ كَثِيرِينَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِهِمْ. (لوقا 1: 15-16)، لأن الامتلاء من الروح القدس في التوراة والإنجيل هو ابتداء النبوة.

وهنالك إشارة في الرواية القرآنية إلى إطلاق الاسم يحيى على مولود زكريا، نستشف منها أن الاسم جديد على الأسرة: «يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً» (19 مريم: 7). وقد وردت مثل هذه الإشارة في رواية لوقا عندما أطلقت عليه أمه اسم يوحنا، فقال لها جيرانها وأقرباؤها: «لَيْسَ أَحَدٌ فِي عَشِيرَتِكِ تَسَمَّى بِهَذَا الاِسْمِ» (لوقا 1: 61).

2

أسرة مريم وميلادها

1- النسب والميلاد والنذر:

لا تورد الأناجيل الرسمية شيئاً عن أسرة مريم وميلادها وحياتها قبل الحمل بيسوع. فهي تظهر بشكل مفاجئ، ودون مقدمات، عند كل من متَّى ولوقا اللذين قدما لنا قصتين مختلفتين عن مولد يسوع. يقول متَّى بعد روايته لنسب يوسف النجار ما يلي: أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (متَّى 1: 18). أما لوقا الذي ابتدأ أولاً بسرد قصة زكريا ويحيى، فإنه يقول في سياق هذه القصة، وبعد أن يخبرنا بحمل أليصابات زوجة زكريا: *وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ *إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. *فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. (لوقا 1: 26-28).

ولكن أناجيل الطفولة المنحولة، لا سيما إنجيل يعقوب ومنحول متَّى، قد تطوعت لملء هذا الفراغ الذي تركته الأناجيل الرسمية، وهي التي تقدم لنا مادة غنية للمقارنة مع القرآن الكريم. فإنجيل يعقوب يخبرنا أن والد مريم المدعو يواكيم كان رجلاً واسع الثراء من قبيلة يهوذا، وكان يعتني بقطعان ماشيته الكثيرة العدد، ويقدم قرباناً مضاعفاً للرب من وفرة ثروته، لهذا فقد بارك الله في ماله وزاده. تزوج يواكيم من حنة بنت عساكر، وعاش معها مدة طويلة دون أن يرزقا بأولاد. وفي أحد الأيام جاء إلى الهيكل ليقدم قربانه إلى الرب، ولكن الكاهن رفض القربان لأن يواكيم لم يصنع له ذرية في إسرائيل. فترك يواكيم الهيكل ومضى إلى البرية، فاعتكف وراح يصوم ويصلي ويدعو ربه مدة أربعين يوماً، بينما كانت زوجته حنة تبكي في البيت وتندب عقمها أمام الرب. ثم إن ملاك الرب ظهر لحنة وقال لها: "حنَّة، حنَّة، لقد سمع الرب صلاتك، ولسوف تحملين وتلدين وتلهج ألسنة المعمورة بذكر نسلك". فقالت حنة: "حي هو الرب، إذا ما أنجبت طفلاً ذكراً كان أم أنثى، سوف أنذره للرب إلهي فيخدمه كل أيام حياته". ولما أكملت شهور حملها، وضعت حنة مولودها، فسألت القابلة: ماذا أنجبت؟ فقالت القابلة: "إنها أنثى"، فقالت حنة: "لقد تعظمت روحي في هذا اليوم". ثم أسلمت نفسها للراحة. ولما

أتمت أيام تطهرها، طهرت نفسها وألقمت الطفلة ثديها، ودعتها بالاسم مريم".

مقابل صمت الأناجيل الرسمية عن أصل مريم، ونسْبِها في الأناجيل المنحولة إلى أسرة غنية وأبوين تقيين، فإن الرواية القرآنية تنسبها إلى أسرة نبوية مصطفاة، وتدعو الأب باسم عمران، بينما تسكت عن اسم الأم: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ*» (3 آل عمران: 33-36).

التفسير:

إن الله اصطفى آل عمران وفضَّلهم على العالمين، مثلما اصطفى من قبل آدم ونوحاً وإبراهيم وذريته.

«إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي»: أي إني نذرت أن أجعل لك مولودي القادم عتيقاً خالصاً من شواغل الدنيا، مكرساً للعبادة والخدمة في بيتك المقدس (الهيكل).

«فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ»: أي إن امرأة عمران كانت تتوقع مولوداً ذكراً لكي تفي بنذرها، لأن الذكور عادةً هم الذين يكرسون للعبادة والخدمة في الهيكل. ولكن الله أعلم بما وضعت، وهو يعرف الدور الذي سوف تؤديه هذه الأنثى في المستقبل.

«وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»: أي إن الشيطان لن يكون له سلطان عليها، وعلى ابنها القادم عيسى.

على الرغم من الإيجاز الشديد للرواية القرآنية وقفزها فوق التفاصيل، إلا أنها تحتوي أهم العناصر الواردة في الرواية المنحولة، على ما تبيُّنه المقارنة التالية:

إنجيل يعقوب	سورة آل عمران
- يواكيم يعتزل في البرية ويصلي، وحنة تندب عقمها أمام الرب.	-.........
- الملاك يبشر حنة بالحمل.	-........

- قالت حنة للملاك: حي هو الرب. إذا ما أنجبتُ مولوداً، ذكراً كان أم أنثى، سوف أنذره للرب فيخدمه.	- إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. (35)
- ولما أكملت شهور حملها، وضعت حنة مولودها، وسألت القابلة: ماذا أنجبت؟ فقالت القابلة: إنها أنثى. فقالت حنة: لقد تعظمت روحي في هذا اليوم.	- فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى...(36)
- طهرت حنة نفسها وألقمت الطفلة ثديها، ودعتها بالاسم مريم.	-....وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ....(36)
	-....وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.(36)

إن في قول امرأة عمران: «وإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ». له ما يوازيه في الأناجيل الإزائية، وذلك في عجز الشيطان عن إغواء يسوع عندما راح في البرية يجربه مدة أربعين يوماً. كما له ما يوازيه في اللاهوت المسيحي، الذي اعتبر أن مريم قد وُلدت مبرأة من الخطيئة الأصلية ولا يد للشيطان عليها.

2- الوفاء بالنذر:

بعد بضع سنوات كان لا بد من الوفاء بالنذر وتقديم الطفلة إلى الهيكل. وهنا تتابع الرواية القرآنية في سورة آل عمران قولها: «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (3 آل عمران: 37).

إن الرواية القرآنية تختصر هنا في بضع جُمل رواية الأناجيل المطولة حول تقديم الطفلة مريم إلى الهيكل وحياتها هناك. وسوف نتابع فيما يلي مراحل القصة كما وردت في سورة آل عمران وفي إنجيل يعقوب المنحول:

• «فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا.... » (3 آل عمران: 37).

- "ومرت الشهور حتى أكملت الطفلة عامها الثاني. فقال يواكيم: لنأخذها إلى الهيكل حتى نفي بنذرنا، لكي لا يطالبنا الرب به فتغدو تقدمتنا

غير مقبولة. فقالت حنَّة له: دعنا ننتظر انقضاء عامها الثالث لكي لا تفتقد الطفلة أبويها. فقال يواكيم: فلننتظر.

"وعندما أكملت الطفلة عامها الثالث، قال يواكيم: إدْعِي لي فتيات عبرانيات عذراوات، ولتحمل كل منهن بيدها مصباحاً متقداً، لكي لا تلتفت الطفلة إلى الوراء وينصرف قلبها عن هيكل الرب. فتمّ له ما أراد، وساروا حتى أتوا هيكل الرب. وهناك تلقاها زكريا الكاهن الأعلى وقبَّلها قائلاً: لقد عظَّم الرب اسمك في كل الأجيال، ومن خلالك سيُظهر الرب خلاصه لبني إسرائيل. ثم أجلسها على الدرجة الثالثة للمذبح. وأسبغ عليها الرب نعمته فراحت تقفز على رجليها، وأحبها كل آل إسرائيل". (إنجيل يعقوب).

• «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَـذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ...». (3 آل عمران: 37).

- "وعاد أبواها من الهيكل متعجبين وممجدين الرب، لأن الطفلة لم تلتفت إلى الوراء. أما مريم فقد بقيت في هيكل الرب مثل حمامة تتلقى الطعام في كل يوم من يدي ملاك." (إنجيل يعقوب).

وورد في منحول متَّى عن حياة مريم في الهيكل:

لم تكن تبدو طفلة بل كبيرة ومشبعةً أعواماً من فرط تفرغها للصلاة. وكان وجهها يسطع كالثلج بحيث لا يستطيع المرء أن يطيل النظر إليه. وقد فرضت على نفسها نظاماً يومياً قوامه الدأب على الصلاة والضراعة منذ الصباح إلى الساعة الثالثة، ثم الانصراف إلى العمل اليدوي حتى الساعة التاسعة عندما يظهر لها ملاك الرب، وعندها كانت تتلقى الطعام من يده، وتوزع على الفقراء الطعام الذي كان الكهنة يسلمونها إياه. (منحول متى).

3- القرعة على كفالة مريم بعد خروجها:

• «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ* يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ* ذَلِكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ*» (3 آل عمران: 42-44).

اعتقد مفسرو القرآن الكريم أن القرعة الوارد ذكرها هنا هي قرعة على كفالة مريم الطفلة عندما تم تقديمها إلى الهيكل، فقالوا إن حنة لما وضعت طفلتها حملتها إلى المسجد، ووضعتها عند الأحبار وقالت لهم: دونكم هذه النذيرة. فتنافسوا فيها ثم اقترعوا عن طريق إلقاء أقلامهم (عصيهم) في الماء، فمن ثبت قلمه في الماء ثم صعد فهو أولى بها. فثبت قلم زكريا فأخذها.

ولكن الأناجيل المنحولة توضح لنا أن القرعة قد جرت بشأن من يكفل

مريم الصبية عندما حان وقت خروجها من المعبد إلى الحياة العامة. نقرأ في إنجيل يعقوب:

- "ولما أتمت عامها الثاني عشر (وفي منحول توما: الرابع عشر) اجتمع الكهنة يتشاورون بشأنها. ثم توجهوا بالقول إلى الكاهن الأعلى زكريا: إنك من يرعى مذبح الرب، فهلا دخلت وصليت من أجلها ولسوف نفعل كل ما يوحيه الرب إليك. فدخل زكريا إلى قدس الأقداس فصلى من أجلها، فظهر له ملاك الرب وقال له: اذهب وادعُ إليك جميع الرجال الأرامل، وليجلب كل واحد معه عصاً، فمن يُظهر الرب آيته على عصاه يأخذ مريم زوجة له. فانطلق المنادون ينادون في جميع أرجاء اليهودية، وقُرع بوق الرب، واجتمع إليه كل الرجال. ويوسف النجار ترك قَدُّومه وجاء بينهم. وحضر الجميع إلى زكريا حاملين معهم عِصيّهم، فجمع زكريا العصي ودخل إلى الهيكل فصلى، ثم أخذ العِصي وردها إلى أصحابها، ولكن لم تظهر آية الرب على أيٍ منها. ثم جاء دور يوسف وكان الأخير، فما إن مدَّ يده لاستلام عصاه، حتى انطلقت منها حمامة وحطت على رأسه. عند ذلك قال زكريا ليوسف: لقد تم اختيارك بالقرعة لكي تأخذ عذراء الرب وتحتفظ بها".

يوضح هذا المقطع من إنجيل يعقوب مسألة الاقتراع حول كفالة مريم في الرواية القرآنية، ولكن الروايتين تختلفان في هوية من وقعت عليه القرعة. وبما أن الرواية القرآنية تتجاهل جملةً وتفصيلاً وجود يوسف النجار، فقد جعلت من زكريا الكاهن كفيلاً لـ مريم. ولهذا قالت الآية 37 من سورة آل عمران، والتي اقتبسناها آنفاً: «....وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا....». فهذه الكفالة لم تكن كفالة لـ مريم الطفلة وإنما كفالة لـ مريم الصبية في حياتها العامة المقبلة. ويبدو أن والدا مريم قد توفيا أثناء مدة إقامتها الطويلة في الهيكل.

4- مشكلة عمران:

في البحث عن "عمران" القرآني، طابق بعض الباحثين بينه وبين "عمرام" التوراتي، والد كل من النبي موسى وأخيه هارون وأختهما مريم (راجع سفر الخروج 6: 20، وسفر أخبار الأيام الأُوَلْ 6: 3)، لا سيما أن الرواية القرآنية تضع على لسان قوم مريم قولهم: «يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً» (19 مريم: 28). وبالتالي فقد اعتقد هؤلاء بوجود مفارقة تاريخية في القرآن عندما جعل أسرة عيسى وأسرة موسى تعيش في عصر واحد.

وفي الحقيقة، إن دارس القرآن الكريم لا يلمح في أي موضع منه إشارةً تفيد وجود تزامن بين عيسى وموسى، أو أن السيدة مريم كانت أختاً شقيقة لكلٍ من هارون وموسى. لقد أرادت الرواية القرآنية أن تكشف عن أصل مريم الغائم في الرواية الإنجيلية، فكشفت عن انتمائها إلى أسرة نبوية مصطفاة على العالمين هي أسرة آل عمران؛ ثم إنها عادت بها القهقرى إلى

أسرة عمران التوراتي، أو عمرام المذكور في التوراة على أنه ابن قهات بن لاوي، ووالد كل من موسى وهارون ومريم النبية. ومريم النبية هي الأخت الكبرى لموسى، وقد كان لها دور في قصة إلقائه في الماء عقب ولادته وانتشال ابنة الفرعون له. وقد لُقبت بالنبية لأن الله كلمها هي وهارون مثلما كلم موسى (راجع سفر العدد 12: 1-5). أما هارون، فإلى جانب الدور الذي قام به كمساعد أول لموسى، فقد كان أول كاهن في الديانة الموسوية. وصارت الكهانة بعد ذلك في أسرته ووقفاً على من تسلسل منه (راجع سفر الخروج 40: 12-15).

فإلى عمران الأول هذا، وإلى أسرته النبوية والكهنوتية ينتمي عمران الثاني أبو السيدة مريم. وقد دُعي بهذا الاسم تيمناً بعمران الأول؛ ثم إنه دعا ابنته مريم تيمناً بمريم النبية. أما عن مناداة النص القرآني والدة عيسى بـ «يا أخت هارون»، فليس المقصود منه تبيان قرابة الأُخُوّة المباشرة، وإنما توكيد انتماء مريم إلى تلك الأسرة النبوية الكهنوتية العريقة. والمقصود هنا قوله: يا صنو هارون في التُّقى والصلاح، أو يا سليلة هارون إذا كان المقصود أن والدها كان من نسل هارون بن عمرام. وقد استعمل إنجيل لوقا مثل هذه الصيغة في الخطاب عندما أشار إلى أليصابات زوجة زكريا وأم يوحنا المعمدان على أنها من بنات هارون (لوقا 1: 5).

وهناك ثلاثة أسباب نستطيع استنتاجها لتجاهل الرواية القرآنية لسلسلة نسب يسوع الواردة عند متّى ولوقا، واستبدالها بسلسلة نسب أخرى. السبب الأول هو أن السلسلتين كليهما تعتمدان على نسب يوسف النجار لا على نسب مريم التي سكتَ النص الإنجيلي عن أصلها وأسرتها. ويوسف النجار غائب تماماً عن الرواية القرآنية التي تفادت الإحراج الذي وقعت به الرواية الإنجيلية بسبب وجود يوسف النجار. والسبب الثاني هو أنه لا جدوى من سلسلة كهذه، لأن مريم العذراء قد حملت من روح الله مباشرةً ودون أب بشري. فعيسى من حيث الجسد ينتمي لأمه فقط ولأسرتها وصولاً إلى عمران الأول، أما من حيث الروح فلا ينتمي إلا إلى الله وحده. أما السبب الثالث فيستدعي منّا وقفة قصيرة:

إن سلسلة نسب متّى التي ترجع بيسوع إلى الملك داود، ثم تتابع صعوداً إلى يهوذا بن يعقوب رأس السبط المعروف بسبط يهوذا، هذه السلسلة تمر بامرأتين زانيتين. المرأة الأولى هي تامار كنّة يهوذا، التي زنى بها حماها يهوذا وأنجبت له توأمين هما فارص وزارح (راجع سفر التكوين: 38). ومن فارص ابن الزنى بالكنة تسلسل الملك داود، الذي زنى بدوره بالمرأة المدعوة بتشبع، التي كانت زوجة أحد ضباطه، ولكنه أُغرم بها وتسبب في مقتل زوجها لكي يستأثر بها. وعندما أخبرته بأنها حامل ضمها إلى حريمه فأنجبت له سليمان (راجع سفر صموئيل الثاني: 12)[26]. ومن سليمان وبتشبع الزانية تسلسل يوسف النجار. وهنا لا نستطيع إلا أن نتساءل: كيف فات مؤلف

إنجيل متَّى، وهو الضليع في مسائل العهد القديم، معنى الفقرة التشريعية الواردة في سفر التثنية: لا يَدْخُلِ ابْنُ زِنىً فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الجِيلِ العَاشِرِ (التثنية 23: 2).

3

مكانة مريم

في النصين

مريم في العهد الجديد:

على الرغم من المكانة العالية التي تبوأتها مريم في اللاهوت المسيحي الذي أعطاها فيما بعد لقب أم الله، وجعلها ترتفع إلى السماء في يومٍ ما زالت الكنيسة تحتفل به حتى الآن، وهو عِيد صعود السيدة العذراء، إلا أن مكانة مريم في أسفار العهد الجديد لم ترقَ إلى مكانتها في اللاهوت المسيحي. وفيما عدا دورها في قصة البشارة والميلاد لا نكاد نعثر لها على دور مميز في حياة يسوع التبشيرية، وقد كانت غائبة عن مشهد الصلب لدى ثلاثة من الإنجيليين، ولم تشهد قيامة يسوع مع التلاميذ لدى الإنجيليين الأربعة. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن قصة البشارة والميلاد قد وردت عند متَّى ولوقا، وغابت تماماً عند مرقس ويوحنا. فهذان الإنجيليان يبدأان روايتهما باللقاء الذي تم بين يسوع ويوحنا المعمدان عند نهر الأردن عندما كان يسوع في نحو الثلاثين من عمره. وهما لا يشيران ولو من بعيد بعد ذلك إلى قصة الميلاد العذري، حتى ليبدو أنهما لم يسمعا بها، ولم يكن لديهما أي معلومات عن السيدة مريم وعن أسرتها وحياتها السابقة قبل الميلاد. وفي الواقع، فإن غياب قصة الميلاد عن إنجيلي مرقس ويوحنا، وورودها بشكل مختلف تماماً في إنجيلي متَّى ولوقا، قد دعا بعض الباحثين في العهد الجديد إلى اعتبارها قصة مقحمة على هذين النصّين، جرت إضافتها لاحقاً لأسباب تتعلق بنشوء وتطور فكرة الميلاد العذري التي كانت غائبة في مرحلة تدوين الأناجيل.

في رواية لوقا لا تظهر مريم بعد قصة الميلاد إلا في حادثة زيارة أسرة يوسف النجار إلى أورشليم عندما كان يسوع في سن الثانية عشر من العمر. وكيف افتقداه في طريق العودة ولم يجداه في الركب. فعاد الوالدان إلى أورشليم ليجداه في الهيكل يناقش الشيوخ ويُظهر علماً كثيراً (لوقا 2: 41-52). وبعد ذلك تغيب مريم عن الأحداث الباقية حتى نهاية الرواية، وحتى في الموضع الذي نتوقع فيه ظهور اسمها كأم ليسوع فإن لوقا يخيب أملنا في ذلك. فعندما تكلم يسوع في مجمع الناصرة لأول مرة بعد هبوط الروح القدس

عليه، تعجب الحاضرون من سلطان كلماته، فقالوا: «.... أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ يُوسُفَ؟» (لوقا 4: 16-22)، ولم يقولوا: أليس هذا ابن مريم، أو أليس هذا ابن يوسف ومريم، على ما سنجد بعد قليل في إنجيل متَّى.

في رواية متَّى لا يأتي ذكر مريم بالاسم بعد قصة الميلاد إلا مرة واحدة، وذلك على لسان أهل الناصرة الذين استمعوا لأقوال يسوع للمرة الأولى فقالوا: *أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ *أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ كُلُّهَا؟» (متَّى 13: 55-56). كما يأتي ذكر مريم عند متَّى مرة أخرى، ولكن دون الإشارة إلى اسمها: *وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ. *فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجاً طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ». *فَأَجَابَهُ: «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي؟» *ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلاَمِيذِهِ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي. *لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» (متَّى 12: 46-50). ويسوع هنا يُبدي نوعاً من البرود تجاه أسرته التي جاءت على ما يبدو من أجل الحيلولة بينه وبين رسالته التي لم يكونوا مؤمنين بها. والنص التالي من إنجيل يوحنا يوضح لنا موقفهم هذا بشكل لا لبس فيه: *وَكَانَ عِيدُ الْيَهُودِ عِيدُ الْمَظَالِّ قَرِيباً *فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: «انْتَقِلْ مِنْ هُنَا وَاذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ لِكَيْ يَرَى تلاَمِيذُكَ أَيْضاً أَعْمَالَكَ الَّتِي تَعْمَلُ *لأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَعْمَلُ شَيْئاً فِي الْخَفَاءِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ علاَنِيَةً. إِنْ كُنْتَ تَعْمَلُ هَذِهِ الأَشْيَاءَ فَأَظْهِرْ نَفْسَكَ لِلْعَالَمِ». *لأَنَّ إِخْوَتَهُ أَيْضاً لَمْ يَكُونُوا يُؤْمِنُونَ بِهِ. (يوحنا 7: 2-5). ويبدو من هذا النص أن إخوته كانوا يحفزونه على الذهاب إلى أورشليم عاصمة مقاطعة اليهودية لكي يتم القبض عليه هناك ويُرغم على التخلي عن رسالته. وقد حاولوا هم القبض عليه لأنهم اعتبروه مخبولاً، على ما سنرى في إنجيل مرقس.

في إنجيل مرقس الذي لم يذكر قصة الميلاد العذري، ولم يأتِنا بخبر عن يسوع قبل تعميده على يد يوحنا المعمدان وهو في نحو الثلاثين من عمره، لا يأتي المؤلف على ذكر مريم بالاسم إلا مرة واحدة، وذلك في معرض تعجّب أهل الناصرة من حكمة يسوع، فيسوق لنا مقطعاً مشابهاً لما قرأناه منذ قليل عند متَّى: .... *«مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ؟ وَمَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَهُ حَتَّى تَجْرِيَ عَلَى يَدَيْهِ قُوَّاتٌ مِثْلُ هَذِهِ؟ *أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَا يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هَهُنَا عِنْدَنَا؟» (مرقس 6: 1-3). وهذا هو الموضع الوحيد الذي دُعي يسوع فيه بابن مريم، ولكن من قبيل التعريف لا من قبيل إطلاق اللقب. ونلاحظ هنا أن مرقس قد تجاهل يوسف تماماً عندما قال: أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ بينما قال لوقا في روايته للحادثة نفسها: أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ يُوسُفَ وقال متَّى: أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ أي إن مرقس الذي لم يروِ قصة الميلاد يبدو أنه لم يسمع بيوسف النجار فأعطى لقب النجار ليسوع نفسه.

في المرة الثانية والأخيرة التي يذكر فيها مرقس السيدة مريم يشير إليها على أنها أم يسوع دون ذكر اسمها، وذلك عندما جاءت تطلبه مع إخوته: *فَجَاءَتْ حِينَئِذٍ إِخْوَتُهُ وَأُمُّهُ وَوَقَفُوا خَارِجاً وَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَدْعُونَهُ. *وَكَانَ الْجَمْعُ جَالِساً حَوْلَهُ فَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ خَارِجاً يَطْلُبُونَكَ». *فَأَجَابَهُمْ: «مَنْ أُمِّي وَإِخْوَتِي؟» *ثُمَّ نَظَرَ حَوْلَهُ إِلَى الْجَالِسِينَ وَقَالَ: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي *لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللَّهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» (مرقس 3: 31-35). ومن الواضح هنا أن أسرة يسوع قد جاءت لكي تحول بينه وبين المضي في رسالته، لأن مرقس يقول في الإصحاح نفسه، وقبل بضع آيات من ذلك: وَلَمَّا سَمِعَ أَقْرِبَاؤُهُ خَرَجُوا لِيُمْسِكُوهُ لأَنَّهُمْ قَالُوا: «إِنَّهُ مُخْتَلٌّ!». (مرقس 3: 21).

وعلى الرغم من وجود نسوة بين أتباع يسوع يرافقنه بشكل دائم ويخدمنه، إلا أن أم يسوع كانت غائبة عن المشهد طوال المدة التي تغطيها رواية الأناجيل الإزائية (المتشابهة) الثلاثة: متَّى ومرقس ولوقا. نقرأ عن أولئك النسوة في إنجيل لوقا: *وَعَلَى أَثَرِ ذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ فِي مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْرِزُ وَيُبَشِّرُ بِمَلَكُوتِ اللهِ وَمَعَهُ الاِثْنَا عَشَرَ. *وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينَ *وَيُوَنَّا امْرَأَةُ خُوزِي وَكِيلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَّةُ وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ. (لوقا 8: 1-3).

بعض هؤلاء النسوة بقين مع يسوع حتى القبض عليه، وحضرن واقعة الصلب، في الوقت الذي تخلَّى فيه عنه الرسل واختفوا. نقرأ في إنجيل متَّى: *فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ..... *وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ *وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي. (متى 27: 50-56). ونقرأ في إنجيل مرقس: *وَكَانَتْ أَيْضاً نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسِي وَسَالُومَةُ *اللَّوَاتِي أَيْضاً تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ. (مرقس 15: 40-41). ونقرأ في إنجيل لوقا: وَكَانَ جَمِيعُ مَعَارِفِهِ وَنِسَاءٌ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَهُ مِنَ الْجَلِيلِ وَاقِفِينَ مِنْ بَعِيدٍ يَنْظُرُونَ ذَلِكَ. (لوقا 23: 49). وبعض هؤلاء النسوة كن أول الشاهدين على قيامته، وهن من أبلغ بقية التلاميذ هذه البُشرى. (متَّى 28 ومرقس 16 ولوقا 24).

نلاحظ من هذه الشهادات الثلاثة أن أم يسوع كانت غائبة حتى عن مشهد الصلب. يوحنا هو الإنجيلي الوحيد الذي جعل مريم حاضرة في مشهد الصلب. فهل كان لها حضور أكثر وضوحاً في شهادته؟

إن يوحنا الذي أغفل قصة الميلاد جملةً وتفصيلاً، وصف يسوع في مطلع إنجيله بأنه ابن يوسف: فِيلُبُّسُ وَجَدَ نَثَنَائِيلَ وَقَالَ لَهُ: «وَجَدْنَا الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّامُوسِ وَالأَنْبِيَاءُ: يَسُوعَ ابْنَ يُوسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ» (يوحنا 1: 45). وبعد ذلك، وفي الإصحاح الرابع، يشير يوحنا إلى يسوع على أنه

ابن يوسف، مع الإشارة العَرَضيَّة لأمه دون ذكر اسمها، حيث يقول أهل الناصرة: أَلَيْسَ هَذَا هُوَ يَسُوعَ بْنَ يُوسُفَ الَّذِي نَحْنُ عَارِفُونَ بِأَبِيهِ وَأُمِّهِ. بعد ذلك يرد ذكر والدة يسوع مرتين فقط، ولكن دون الإشارة إلى اسمها: المرة الأولى في مشهد عرس قانا في بداية الرواية، والثانية في مشهد الصلب في آخر الرواية. وفيما بين هذين المشهدين لا نعثر لوالدة يسوع على أثر، سواء في حياته الخاصة أم في حياته العامَّة.

في مشهد عرس قانا في الجليل، حيث دُعي يسوع وأمه والتلاميذ، لدينا دليل على الدفء المفقود في العلاقة بين يسوع وأمه. فلما نفذت الخمر والحفل ما زال في منتصفه، توجهت أم يسوع إلى ابنها ليجد حلاً لهذا الوضع المُحرج: *وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ كَانَ عُرْسٌ فِي قَانَا الْجَلِيلِ وَكَانَتْ أُمُّ يَسُوعَ هُنَاكَ...... *قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «مَا لِي وَلَكِ يَا امْرَأَةُ! لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ». *قَالَتْ أُمُّهُ لِلْخُدَّامِ: «مَهْمَا قَالَ لَكُمْ فَافْعَلُوهُ»...... *وَقَالَ لَهُ: «كُلُّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا يَضَعُ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ أَوَّلاً وَمَتَى سَكِرُوا فَحِينَئِذٍ الدُّونَ. أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ أَبْقَيْتَ الْخَمْرَ الْجَيِّدَةَ إِلَى الآنَ». (يوحنا 2: 1-10). يلي ذلك قيام يسوع بأولى معجزاته وهي تحويل الماء إلى خمر. بعد ذلك علينا أن ننتظر إلى نهاية الإنجيل لنقابل أم يسوع مرةً أخرى واقفة عند الصليب: *وَكَانَتْ وَاقِفَاتٍ عِنْدَ صَلِيبِ يَسُوعَ أُمُّهُ وَأُخْتُ أُمِّهِ مَرْيَمُ زَوْجَةُ كِلُوبَا وَمَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ. *فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ أُمَّهُ وَالتِّلْمِيذَ الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَاقِفاً قَالَ لأُمِّهِ: «يَا امْرَأَةُ هُوَذَا ابْنُكِ». *ثُمَّ قَالَ لِلتِّلْمِيذِ: «هُوَذَا أُمُّكَ». وَمِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ أَخَذَهَا التِّلْمِيذُ إِلَى خَاصَّتِهِ (يوحنا 19: 25-27). هذا كل ما لدى هذا الإنجيلي الذي تجاهل قصة الميلاد ليخبرنا به عن مريم.

في أسفار العهد الجديد الباقية لا يرد ذكر مريم إلا مرة واحدة فقط، وذلك في سفر أعمال الرسل، وبطريقة عابرة. فبعد أن ارتفع المسيح إلى السماء بعد أن أمضى أربعين يوماً يظهر للتلاميذ على فترات متقطعة، عاد التلاميذ إلى جبل الزيتون بالقرب من أورشليم، وكان معهم مريم وإخوة يسوع الذين آمنوا به على ما يبدو بعد صلبه وقيامته: *وَلَمَّا دَخَلُوا صَعِدُوا إِلَى الْعِلِّيَّةِ الَّتِي كَانُوا يُقِيمُونَ فِيهَا: بُطْرُسُ وَيَعْقُوبُ وَيُوحَنَّا وَأَنْدَرَاوُسُ.... *هَؤُلاَءِ كُلُّهُمْ كَانُوا يُوَاظِبُونَ بِنَفْسٍ وَاحِدَةٍ عَلَى الصَّلاَةِ وَالطِّلْبَةِ مَعَ النِّسَاءِ وَمَرْيَمَ أُمِّ يَسُوعَ وَمَعَ إِخْوَتِهِ (أعمال 1: 9-14).

بعد ذلك تختفي مريم في سفر أعمال الرسل. أما إخوته فقد بقوا، أو بقي بعضهم، عضواً في كنيسة أورشليم الجديدة، لأننا نعلم من سير الأحداث أن أكبرهم وهو يعقوب قد صار رئيساً لهذه الكنيسة، وحمل لقب «أخو الرب». وهناك أخ آخر له يدعى يهوذا تنسب إليه إحدى رسائل العهد الجديد المعروفة برسالة يهوذا.

فإذا نظرنا إلى رسائل القديس بولس التي تشغل الحيِّز الأكبر من العهد الجديد، والتي كانت الأساس الذي بنت عليه الكنيسة لاهوتها السامق، لم نعثر لـ مريم العذراء على أثر، وليس في إشارته العابرة الوحيدة

إلى أن يسوع قد ولد من امرأة أي صلة بالسيدة مريم، لأن كل كائن بشري قد وُلد من امرأة، حيث يقول: *وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، *لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَنَالَ التَّبَنِّيَ (غلاطية 4: 4-5).

مريم في القرآن الكريم:

فإذا انتقلنا إلى الرواية القرآنية للإنجيل، وجدنا لـ مريم حضوراً طاغياً لا يقارن بحضورها في العهد الجديد. فقد ورد في الرواية القرآنية، على قصرها واختزالها، اسم مريم نحو 43 مرة في مقابل 19 مرة في أسفار العهد الجديد جميعها البالغ عددها 27 سفراً. وهي المرأة الوحيدة التي ذكرها القرآن بالاسم، أما بقية النساء فقد نسبن لأزواجهن كقوله: امرأة عمران، وامرأة لوط، وامرأة فرعون؛ أو نسبن لما اشتهرن به مثل ملكة سبأ. وفي مقابل صمت الأناجيل الأربعة عن أصل مريم وحسبها ونسبها، والذي نجد نموذجاً عنه في قول متّى: أَمَّا وِلاَدَةُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَكَانَتْ هَكَذَا: لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (متى 1: 18). فإن الرواية القرآنية تنسبها إلى سلسلة الأنبياء العظام في تاريخ الوحي الإلهي، وتجعلها سليلة أسرة نبوية مصطفاة على العالمين: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (3 آل عمران: 33-34). وإضافةً إلى انتمائها إلى هذه الأسرة المصطفاة، أسرة آل عمران، فإن مريم هي أشرف وأنبل نساء الأرض قاطبةً: «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ» (3 آل عمران: 42). وهي نموذج التقوى والصلاح: «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ» (3 آل عمران: 43). «....وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» (66 التحريم: 12). وهي مثال العفة والطُّهر: «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا...». (66 التحريم: 12). وتبلغ عظمة مريم ذروتها في قوله تعالى: «....وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ» (21 الأنبياء: 91). «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...». (23 المؤمنون: 50).

وتتابع الرواية القرآنية تعداد فضائل مريم: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ....* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا....* وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ....*» (66 التحريم: 10-12). ويصفها النص بأنها صديقة: «....وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ...». (5 المائدة: 75). والصِدّيق هو لقب من ألقاب التشريف الخاصة بالأنبياء: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً» (19 مريم: 41). «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَّبِيّاً» (19 مريم: 56). ومريم وابنها محصنان ضد الخطيئة ولا سبيل للشيطان إليهما. وهذا هو مؤدى قول والدة مريم لما وضعتها: «....سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» (3 آل عمران: 36). وقد ورد في الحديث الشريف ما يشرح هذه الآية: « ما من

بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يولد، فيستهل صارخاً من مسّ الشيطان، غير مريم وابنها)» (رواه الشيخان). وقد ورد في إنجيل متَّى وإنجيل لوقا ما يشير إلى حصانة يسوع ضد الشيطان، وذلك في قصة تجربة الشيطان له وعجزه عن إغوائه (متَّى 4 ولوقا 4). وفيما بعد، بنى اللاهوت المسيحي مفهومه الخاص عن حصانة مريم عندما اعتبرها قد وُلدت مبرأة من الخطيئة الأصلية التي يشترك بها بنو آدم.

وتدافع الرواية القرآنية عن سمعة مريم التي حاول اليهود طوال تاريخهم تلطيخها واتهامها بالزنى: «فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ[27] وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ....* قَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً*» (4 النساء: 155-156). فلقد استخدم اليهود شخصية مريم في سياق انتقادهم للمسيحية والحطّ من قدر يسوع الذي وصفوه بأنه ابن غير شرعي لـ مريم من جندي روماني يدعوه التلمود بانتيرا. وقد غادر بانتيرا هذا فلسطين بعد أن حملت منه مريم. وقد كان للعثور على شاهدة قبر لجندي روماني من مدينة صور الفينيقية، توفي في ألمانيا، كتب عليها: تيبريوس جوليوس عبدي بانتيرا، دور في إعادة فتح هذا الملف الذي لم يغلقه اليهود حتى اليوم. وفي هذا الشأن يقول الباحث Morton Smith في كتابه: Jesus the Magician؛(N.Y.1978, P47) إن الاسمين الأولين في هذا الاسم المركب هما تيمّنا باسم الإمبراطور تيبريوس الذي خدمه هذا الجندي أثناء حكمه، والاسم الثالث "عبدي" هو اختصار للتعبير السامي "عبد شمس"، وأما الثالث "بانتيرا" فهو ترجمة للاسم السامي "فهد"، وهو الاسم الأصلي لهذا الجندي. ثم يتساءل ما إذا كانت هنالك صلة بين هذا البانتيرا وبانتيرا التلمود.

4

ميلاد عيسى

1- مكانة عيسى في القرآن:

أعطى القرآن الكريم ألقاباً لـ عيسى تزيد عما أُعطي لأي شخصية دينية من شخصيات الماضي. فهو النبي، والمبارك: «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً...*» (19 مريم: 30-31). وهو رسول الله، وكلمة الله، وروح الله: «....إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...». (4 النساء: 171). وهو قولُ الحق: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ[28] الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» (19 مريم: 34). وهو آية ورحمة: «....وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً» (19 مريم: 21). وهو مثلٌ: إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ (43 الزخرف: 59). وهو وجيه ومقرب: «.....وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» (3 آل عمران: 45). وقد حفِلت بأخباره ثلاث سور كاملة في المصحف الشريف، وهي: آل عمران، والمائدة، ومريم؛ بالإضافة إلى ما ورد متفرقاً في سور أخرى عبر الكتاب.

وقد ورد ذكره في القرآن نحو 35 مرة، إما بصيغة عيسى، أو عيسى ابن مريم، أو المسيح ابن مريم، أو المسيح، أو المسيح عيسى ابن مريم. ولم يتفوق عليه في عدد المرات التي ذُكر فيها إلا إبراهيم وموسى.

من الصعب العثور على جذر عربي للاسم عيسى ومعظم مفسري القرآن يرون أنه مشتق من الاسم الآرامي - السرياني "يشوع"، وهو ترجمة للاسم العبراني "يُشو - وا" المختصر عن الاسم الكامل "يهو - شُوا" أي خلاص يهوه، أو يهوه مخلّصٌ. وإلى هذا المعنى أشار متَّى في إنجيله عندما قال: فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ (متَّى 1: 21). وقد دُعي بالاسم يشوع عدد من شخصيات العهد القديم، أبرزهم يشوع بن نون خليفة موسى.

ومن الاسم يشوع جاءت التسمية اليونانية "ياسو"، أو "ياسوس" بعد إضافة حرف السين الذي يلحق أسماء الأعلام في اللغة اليونانية. ومن "ياسوس" جاءت التسمية Jesus المستخدمة في اللغة الإنكليزية، وأشكالها الأخرى في اللغات الأوروبية الباقية.

و “يسوع” هو الاسم المعتمد في الأناجيل الأربعة التي لم تطلق عليه اسم ابن مريم أو اسم المسيح. وهنالك إشارة واحدة إلى يسوع على أنه ابن مريم وردت في إنجيل مرقس، ولكن على سبيل التعريف به لا على سبيل التسمية. وهذا أمر متوقع من مرقس الذي لم يكن يعرف شيئاً عن يوسف النجار ولا عن قصة الميلاد، ولهذا فقد وضع على لسان أهل الناصرة قولهم في يسوع: أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَا يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هَهُنَا عِنْدَنَا؟» (مرقس 6: 3). أما متَّى الذي كان يعرف يوسف وابتدأ إنجيله بقصة الميلاد، فقد قال في الموضع نفسه: *«مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟ *أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ *أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ كُلُّهَا؟» (متَّى 13: 54-56). وأما لوقا صاحب الرواية الثانية في الميلاد فقد قال: وَكَانَ الْجَمِيعُ يَشْهَدُونَ لَهُ وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْ كَلِمَاتِ النِّعْمَةِ الْخَارِجَةِ مِنْ فَمِهِ وَيَقُولُونَ: «أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ يُوسُفَ؟» (لوقا 4: 22).

جرياً على ذلك، فإن أسفار العهد الجديد الأخرى، وكذلك الأناجيل المنحولة، لم تطلق على يسوع لقب ابن مريم، عدا إنجيل الطفولة العربي الذي استخدم اللقب خمس مرات: ففي قصة الفتاة البرصاء التي شفيت بعد اغتسالها بماء حمام يسوع الطفل، أعلنت الفتاة أنها قد شفيت بفضل يسوع ابن مريم؛ وفي قصة تحويل الأطفال إلى أكباش، ثم استعادتهم ثانية كما كانوا، صاحت أمهاتهم: يا يسوع، يا ابن مريم، أنت حقاً راعي إسرائيل الصالح؛ وفي قصة الفتاة الممسوسة التي يتراءى لها الشيطان في صورة تنين مرعب، والتي شفيت بعد أن عرضت أمام ناظريها قطعة قماش من ثياب يسوع الطفل، وخرج الشيطان من جسدها وهو يصرخ: ماذا يوجد بيني وبينك يا يسوع ابن مريم: أين أجد ملاذاً منك؟

2- البشارة والحمل:

«وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ*....إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ* قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ* وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ....*» (3 آل عمران: 42-49).

وفي سورة مريم لدينا تنويع آخر على قصة البشارة والحمل:

«وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً* قَالَتْ

أنَّى يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أكُ بَغِيّاً* قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً*» (19 مريم: 16-21).

ولدينا في سورة الأنبياء وسورة التحريم إشارتان مختصرتان للقصة نفسها:

«وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» (66 التحريم: 12).

«وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ» (21 الأنبياء: 91).

إذا انتقلنا إلى الرواية الإنجيلية، نجد أن قصة البشارة لا ترد عند متَّى. والملاك يأتي إلى يوسف، لا إلى مريم، لكي يخبره بحقيقة أمر الحمل لا ليبشره به: *لَمَّا كَانَتْ مَرْيَمُ أُمُّهُ مَخْطُوبَةً لِيُوسُفَ قَبْلَ أَنْ يَجْتَمِعَا وُجِدَتْ حُبْلَى مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *فَيُوسُفُ رَجُلُهَا إِذْ كَانَ بَارّاً وَلَمْ يَشَأْ أَنْ يُشْهِرَهَا أَرَادَ تَخْلِيَتَهَا سِرّاً. *وَلَكِنْ فِيمَا هُوَ مُتَفَكِّرٌ فِي هَذِهِ الأُمُورِ إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لَهُ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: «يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ». (متَّى: 1: 18-21).

لوقا وحده هو الذي يسوق لنا قصة البشارة كاملة: *وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ *إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. *فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ». *فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! *فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. *وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. *هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ *وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». *فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» *فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ. *وَهُوَذَا أَلِيصَابَاتُ نَسِيبَتُكِ هِيَ أَيْضاً حُبْلَى بِابْنٍ فِي شَيْخُوخَتِهَا وَهَذَا هُوَ الشَّهْرُ السَّادِسُ لِتِلْكَ الْمَدْعُوَّةِ عَاقِراً *لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ». *فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». (لوقا 1: 26-38).

تحوي قصة لوقا هذه أهم العناصر التي تقوم عليها القصة القرآنية، على ما تبينه المقارنة التالية:

إنجيل لوقا	قرآن كريم
- فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: «سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُنْعَمُ عَلَيْهَا! اَلرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ» (1: 28).	- «وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ» (3 آل عمران: 42). «.... فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً» (19 مريم: 17).
- فَلَمَّا رَأَتْهُ اضْطَرَبَتْ مِنْ كَلاَمِهِ وَفَكَّرَتْ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ التَّحِيَّةُ! (1: 29).	- «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً» (19 مريم: 18).
- *فَقَالَ لَهَا الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافِي يَا مَرْيَمُ لأَنَّكِ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ. *وَهَا أَنْتِ سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. *هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى (1: 30-31).	- «قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً». (19 مريم: 19). «....إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ» (3 آل عمران: 45)
- فَقَالَتْ مَرْيَمُ لِلْمَلاَكِ: «كَيْفَ يَكُونُ هَذَا وَأَنَا لَسْتُ أَعْرِفُ رَجُلاً؟» (1: 34).	- «قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً» (19 مريم: 20).
- فَأَجَابَ الْمَلاَكُ: «اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ (1: 35).	- «وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا.... » (66 التحريم: 12).
- لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ (1: 37).	- «قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...». (19 مريم: 21).
- فَقَالَتْ مَرْيَمُ: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». (1: 38).	- «....وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ» (66 التحريم: 12).

هذا وتساهم الأناجيل المنحولة بدورها في إلقاء ضوء على النص القرآني. لا سيما مسألة "الحجاب" الذي ارتبط في سورة مريم بالبشارة: «وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً* فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ

حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً*» (19 مريم: 16-17).

لقد اختلف مفسرو القرآن في تعيين المكان الذي انفردت فيه مريم، وماهية الحجاب المذكور. فقالوا في المكان إنه ناحية شاسعة منتحية، أو منزل منفرد تتعبد فيه، أو مكان ذهبت إليه لتستقي الماء، أو غرفة شرقية في المنزل. وقالوا في الحجاب إنه ستارة اختفت وراءها واستترت، أو ستارة أسدلتها مريم لتغتسل، وبعد أن انتهت ووضعت ثيابها ظهر لها الملاك. ولكننا اعتماداً على الأناجيل المنحولة، لا سيما إنجيل يعقوب، نفهم أن المكان هو غرفتها في البيت (بيت زكريا في النص القرآني كما استنتجنا آنفاً. أو بيت يوسف النجار في النصوص الإنجيلية المنحولة). أما الحجاب فهو حجاب الهيكل الذي كانت تغزل خيوطه في غرفتها عندما ظهر لها الملاك بالبشارة. وحجاب الهيكل هذا هو ستارة تفصل القسم الداخلي من المعبد المدعو قدس الأقداس عن القسم الأوسط. وقد كان من عادة الكهّان أن يعهدوا إلى بعض العذارى غزل وحياكة حجاب جديد للهيكل كلما بلي القديم. وفي هذه المرة وقع الاختيار على مريم بين سبع فتيات أخريات لهذه المهمة، وأعطيت اللون الأرجواني لتغزله، بينما وُزِّعت الألوان المتبقية على العذراوات الست، فأخذت مريم حصتها وعادت إلى البيت. وهنا نتابع في إنجيل يعقوب:

"شرعت مريم تغزل غزلها الأرجواني. وعندما حملت جرتها وخرجت لتأتي بالماء، سمعت صوتاً يقول لها: السلام عليك يا مريم، أيتها الممتلئة نعمة، الرب معك. مباركة أنت بين النساء. فالتفتت يُمنة ويُسرةً لترى من أين يصدر الصوت، وعندما لم ترَ أحداً خافت وهرعت إلى البيت، فوضعت جرَّتها ثم جلست على الكرسي وسحبت خيط الغزل إليها. ولكن ملاك الرب ظهر أمامها قائلاً: لا تخافي يا مريم، فقد نلتِ نعمةً عند رب الكل، ولسوف تحبلين بكلمته".

4- الميلاد:

«فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً* فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً* فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلاَّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً* وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً* فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً*» (19 مريم: 22-26).

«وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ» (23 المؤمنون: 50).

عندما بدأت دلائل الحمل تظهر على مريم، غادرت المنزل خشية القيل والقال. فآواها ربها إلى مرتفع من الأرض (ربوة) فيه مُستقر يمكن الراحة عنده (قرار)، وفيه نبع ماءٍ جارٍ (مَعين)، وشجرة نخيل. وعندما اشتدت عليها آلام

المخاض لجأت إلى جذع النخلة وتَمسكت بِه، وتمنت لو أنها ماتت دون أن تتعرض لهذه المحنة. فناداها جبريل مواسياً، وقال لها إن الله قد أجرى من أجلها جدول ماء (سرياً)، وإن باستطاعتها أن تحصل على ثمر النخلة بهزّ جذعها فتُساقط عليها من رُطبها. وعليها بعد الولادة ألا تحفل بالرد على أسئلة المتسائلين، وتُمْسك عن الكلام، لأن الله عازم على إظهار آية تبرّئها عندما يتكلم وليدها وهو في المهد.

لا يورد إنجيل متَّى ولوقا أي تفاصيل عن واقعة الولادة. فمتَّى الذي يجعل من بيت لحم موطناً ليوسف ومريم يكتفي بالقول: وَلَمَّا وُلِدَ يَسُوعُ فِي بَيْتِ لَحْمِ الْيَهُودِيَّةِ فِي أَيَّامِ هِيرُودُسَ الْمَلِكِ إِذَا مَجُوسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ قَدْ جَاءُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ (متى 2: 1). أما لوقا الذي يجعل من الناصرة موطناً ليوسف ومريم، فيأتي بهما إلى بيت لحم من أجل الإحصاء السكاني، وهناك تضع مريم مولودها: *وَبَيْنَمَا هُمَا هُنَاكَ تَمَّتْ أَيَّامُهَا لِتَلِدَ. *فَوَلَدَتِ ابْنَهَا الْبِكْرَ وَقَمَّطَتْهُ وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمَا مَوْضِعٌ فِي الْمَنْزِلِ[29] (متى 2: 6-7).

ولكن الأناجيل المنحولة تطوعت لملء الفراغ الذي تركته الأناجيل الرسمية بخصوص واقعة الميلاد، وقدمت لنا قصة مليئة بالتفاصيل. ففي إنجيل يعقوب، ومنحول متَّى، والإنجيل العربي، تحدث ولادة يسوع داخل مغارة في مكان منعزل على الطريق إلى بيت لحم، التي قصدها يوسف مع مريم من أجل الاكتتاب في الإحصاء السكاني. وبينما هما على الطريق شعرت مريم بآلام المخاض، فطلبت من يوسف أن يوقف الدابة. وهنا نتابع القصة في الإنجيل العربي لأنها الأكثر اختصاراً.

"قالت مريم ليوسف: لندخل هذه المغارة لأن زمن ولادتي قد حلَّ ولا أستطيع الوصول إلى المدينة. وكانت الشمس في لحظة الغياب. فأسرع يوسف في طلب امرأة تعين مريم على الولادة، والتقى إسرائيلية عجوزاً كانت آتيةً من أورشليم، فقال لها محيياً: ادخلي هذه المغارة حيث تجدين امرأة في وقت وضعها. وبعد غياب الشمس وصل يوسف مع العجوز إلى المغارة ودخلا، فإذا بالمغارة ساطعة بنور يفوق نور مشاعل لا حصر لها، ويلمع أكثر من الشمس في منتصف النهار. وكان الطفل ملفوفاً بأقمطة وراقداً في مذود يرضع من صدر أمه مريم".

من مقارنة الرواية القرآنية مع هذه الروايات الإنجيلية، نلاحظ أن الرواية القرآنية قد انفردت بعدد من العناصر التي لا نعثر على أثر لها في الروايات الإنجيلية. فمريم كما هو متوقع في ظل غياب شخصية يوسف النجار تلجأ إلى مكان منعزل لتلد ابنها وحيدةً. ولدينا أيضاً عنصر النخلة التي تمد مريم بالطعام، وعنصر النبع الذي يتفجر قربها لتشرب منه. فهل غابت هذه العناصر تماماً عن الرواية الإنجيلية؟ في الواقع إنها لم تغب، وإنما اختفت من قصة الميلاد لتظهر في قصة السفر إلى مصر بعد ولادة يسوع. فقد ورد في منحول متَّى أنه في اليوم الثالث على الطريق إلى مصر، تعبت مريم وأرادت النزول

للراحة، فرأت شجرة نخيل وأحبت أن تستريح في ظلها. فلما نظرت إلى الأعلى ورأت ثمرها أعلنت عن رغبتها في تذوق بعضها. فقال لها يوسف إن الشجرة عالية جداً، وإن ما يشغل باله أكثر هو قلة زادهم من الماء. كان يسوع الطفل جالساً في حضن أمه منفرج الأسارير عندما سمع ذلك، فأمر النخلة أن تعطي أمه بعض رطبها، فانحنت النخلة حتى لامست قدميها، فأخذت من ثمرها ما شاءت، ثم أمر يسوع النخلة أن ترتفع ثانيةً ففعلت، ثم أمرها أن تفتح مجرى للماء المخزون عند جذورها، فانبثق من هناك جدول ماء فشربوا منه وسقوا حيواناتهم.

5- الاتهام والبراءة:

«فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً* يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً* فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً* قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً*» (19 مريم: 27-31).

لا تورد الأناجيل الرسمية شيئاً عن اتهام مريم وظهور براءتها. أما في الأناجيل المنحولة، فإن ذلك يحصل عقب ظهور دلائل الحمل عليها لا بعد الولادة، عندما ظن الناس أن يوسف قد دخل على مريم الموكلة إليه قبل أن يعقد قرانه عليها. عند ذلك يؤتى بهما إلى المحكمة ويوجَّه إلى مريم تقريع شبيه بما وردَ في الرواية القرآنية. نقرأ في إنجيل يعقوب: "فمضى الرُسُل وجلبوا معهم يوسف ومريم إلى مكان القضاء. قال الكاهن: لماذا دنَّستِ روحك ونسيت الرب إلهك؟ أنت يا من تربيت في قدس الأقداس تتلقين الطعام من يد ملاك... فبكت مريم بحرقة قائلةً: حيٌّ هو الرب، إنني نقية أمامه ولم أعرف رجلاً. فالتفت الكاهن إلى يوسف قائلاً: لماذا فعلت ذلك يا يوسف؟ فقال يوسف: حي هو الرب إلهي، إنني نقي فيما يتعلق بها". يلي ذلك إخضاعهما للشرب من ماء امتحان الرب، وظهور براءتهما.

أما عن العنصر الثاني في قصة الاتهام والبراءة القرآنية، وهو معجزة كلام يسوع في المهد وإعلانه براءة أمه، فإننا نعثر عليه في إنجيل الطفولة العربي، حيث نقرأ في مطلعه أن يسوع تكلم في المهد قائلاً لـ مريم: أنا الذي أنجَبْتِهِ، أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، كما بشرك بذلك الملاك جبرائيل، وأبي أرسلني لخلاص العالم.

وقد سبق للنبي زرادشت أن تكلم في المهد أيضاً، عندما أرسل الشيطان زبانيته لإهلاكه، ونطق بصلاة للرب طردت الشياطين، على ما تخبرنا به أسفار الأفيستا الزرادشتية.

5

معجزات يسوع وأقواله

بين الإنجيل والقرآن

كما هو الحال في الأناجيل الرسمية، فإن الرواية القرآنية تتوقف عن سرد أحداث طفولة وفتوة عيسى، لتلتقط خيط القصة مع بعثته ومباشرته التبشير مؤيَّداً من الروح القدس، روح الله وقوته الفاعلة في العالم:

«إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ* وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوَاْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ* إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ* قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ* قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ*» (5 المائدة: 110-115).

«إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ* وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ*.........وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِـي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ* إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ* فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ*» (3 آل عمران: 45-52).

تتخذ مظاهر دعوة يسوع في هذه الآيات شكل أعمالٍ وشكل أقوال. وهذا ما سوف نفصِّله فيما يلي:

1- الأعمال:

الأعمال التي قام بها عيسى هي عبارة عن معجزات تثبت نبوته وقدرة الله تعالى. فهي آيات أيده بها الله تعالى يثبت من خلالها صدق رسالته. وتنقسم معجزات عيسى إلى نوعين: النوع الأول: معجزات خارقة للطبيعة، مثل الكلام في المهد، وبثّ الحياة في الصور الطينية، وإحياء الموتى، والمائدة المنزَّلة من السماء؛ أما النوع الثاني فمعجزات شفاء ذكر منها القرآن الكريم شفاء الأبرص وشفاء الأكمه (أي الأعمى منذ الولادة). وجميع هذه الأعمال لها متوازياتها في الرواية الإنجيلية، رسمية كانت أم منحولة.

أ- الكلام في المهد:

تحدثنا سابقاً عن معجزة كلام يسوع في المهد، وقارنّا ذلك بما ورد في إنجيل الطفولة العربي. فقد نطق عيسى في المهد عقب ولادته مباشرةً من أجل إعلان براءة أمه، قائلاً: «قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً...*» (19 مريم: 30-31). وفي إنجيل الطفولة العربي ينطق يسوع في المهد أيضاً، حيث نقرأ في مطلع الإنجيل: "وُجد في كتاب الكاهن الأعلى يوسف، الذي عاش في زمن يسوع المسيح، أن يسوع تكلم حين كان في المهد قائلاً لأمه مريم: أنا الذي أنجبتِه، أنا يسوع، ابن الله، الكلمة، كما بشَّرك بذلك الملاك جبرائيل، وأبي أرسلني لخلاص العالم". ونلاحظ هنا الاختلاف في وجهة النظر اللاهوتية بين الروايتين: فعيسى يطلق على نفسه في الرواية القرآنية لقب عبد الله، والنبي، والمبارك؛ أما يسوع فيطلق على نفسه لقب ابن الله، والكلمة. ولسوف نفرز لاحقاً حيزاً خاصاً من هذا البحث لدراسة الاختلافات اللاهوتية بين النصين، لنتوصل إلى نتيجة مفادها أنها اختلافات في الشكل وطرائق التعبير لا في المضمون.

ب- إحياء الصور الطينية:

«...أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ...». (3 آل عمران: 49). لم ترد معجزة نفخ الحياة في الصور الطينية في الأناجيل الرسمية، ولكنها وردت في الأناجيل المنحولة باعتبارها من معجزات طفولة يسوع. نقرأ مثلاً في "إنجيل توما الإسرائيلي":

"في أحد الأيام، وبعد هطول المطر، خرج يسوع من البيت ليلعب، حيث كان الماء يجري على الأرض... فجبل من الطين اثني عشر عصفوراً، وكان ذلك في يوم السبت. فجاء أحد الأطفال إلى يوسف وقال له: إن ابنك يلعب عند مجرى الماء، وقد صنع عصافير من الطين، وهذا لا يَحلُّ في يوم

السبت. فلما سمع يوسف ذلك، مضى إلى حيث كان يسوع وقال له: لماذا تفعل هذه الأشياء وتدنّس السبت؟ ولكن يسوع لم يجبه وإنما التفت إلى العصافير وصاح بها: هيا طيري واذكريني في حياتك. ولسماعها ذلك طارت العصافير وحلَّقت في الجو. أما يوسف فقد وقف مذهولاً بما رأى".

وورد في إنجيل الطفولة العربي:

"عندما أتم يسوع عامه السابع، كان يلعب في أحد الأيام مع أطفال آخرين في مثل عمره، وكانوا يصنعون على سبيل التسلية صوراً من التراب المبلول لحيوانات متنوعة: ذئاباً وحميراً وطيوراً، وكل واحد منهم يباهي الآخرين بعمله. عندها قال يسوع للأطفال: إني سآمر الصور التي صنعتها بالسير فتمشي. ثم أمرها بالسير فتحركت قُدُماً على الفور، وأمرها بالعودة فعادت. وقد صنع أيضاً صور طيور وعصافير دوري، كانت تطير حين يأمرها بذلك وتتوقف حين يأمرها بالتوقف. وعندما كان يقدم لها شراباً وطعاماً كانت تأكل وتشرب. وحين غادر الأطفال إلى منازلهم حدَّثوا أهاليهم بما رأوه، فقال لهم هؤلاء: ابتعدوا من الآن فصاعداً عن مخالطته وكُفُّوا عن اللعب معه لأنه ساحر".

ويتفق قول الأهل لأولادهم عن يسوع بأنه ساحر مع قول الآية الكريمة: «....فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ». (5 المائدة: 110).

ج- المائدة:

«....اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ...» (5 المائدة: 114). نلاحظ من قوله تعالى: «تَكُونُ لَنَا عِيداً لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا» أن معجزة إنزال المائدة من السماء قد اجتُرحت بمناسبة عيدٍ ما، أو أنها أسست لعيدٍ ما. وهذا ما يحيلنا إلى قصة العشاء الأخير في الأناجيل الرسمية، عندما تناول يسوع مع تلامذته عشاء عيد الفصح اليهودي، الذي صار فيما بعد عيداً مسيحياً بعد إعطائه مضامين لاهوتية مختلفة. نقرأ في إنجيل متَّى: *وَفِي أَوَّلِ أَيَّامِ الْفَطِيرِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «أَيْنَ تُرِيدُ أَنْ نُعِدَّ لَكَ لِتَأْكُلَ الْفِصْحَ؟» *فَقَالَ: «اذْهَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَى فُلاَنٍ وَقُولُوا لَهُ: الْمُعَلِّمُ يَقُولُ إِنَّ وَقْتِي قَرِيبٌ. عِنْدَكَ أَصْنَعُ الْفِصْحَ مَعَ تَلاَمِيذِي». *فَفَعَلَ التَّلاَمِيذُ كَمَا أَمَرَهُمْ يَسُوعُ وَأَعَدُّوا الْفِصْحَ. *وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ اتَّكَأَ مَعَ الاثْنَيْ عَشَرَ..... *وَفِيمَا هُمْ يَأْكُلُونَ أَخَذَ يَسُوعُ الْخُبْزَ وَبَارَكَ وَكَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ....(متَّى 26: 17-30).

ولكن قصة مائدة الفصح هذه لا تحتوي على أي معجزة، وعلينا أن نبحث عن معجزة المائدة في قصة إنجيلية أخرى، لأن الرواية القرآنية على ما يبدو قد جمعت قصتين إنجيليتين في قصة واحدة. وهذه المعجزة نجدها في قصة تكثير الخبز والسمك، عندما أطعم يسوع آلاف الناس من خمسة أرغفة وسمكتين: *وَلَمَّا رَجَعَ الرُّسُلُ أَخْبَرُوهُ بِجَمِيعِ مَا فَعَلُوا فَأَخَذَهُمْ وَانْصَرَفَ

مُنْفَرِداً إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ لِمَدِينَةٍ تُسَمَّى بَيْتَ صَيْدَا. *فَالْجُمُوعُ إِذْ عَلِمُوا تَبِعُوهُ فَقَبِلَهُمْ وَكَلَّمَهُمْ عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ وَالْمُحْتَاجُونَ إِلَى الشِّفَاءِ شَفَاهُمْ. *فَابْتَدَأَ النَّهَارُ يَمِيلُ. فَتَقَدَّمَ الاِثْنَا عَشَرَ وَقَالُوا لَهُ: «اصْرِفِ الْجَمْعَ لِيَذْهَبُوا إِلَى الْقُرَى وَالضِّيَاعِ حَوَالَيْنَا فَيَبِيتُوا وَيَجِدُوا طَعَاماً لأَنَّنَا هَهُنَا فِي مَوْضِعٍ خَلاَءٍ». *فَقَالَ لَهُمْ: «أَعْطُوهُمْ أَنْتُمْ لِيَأْكُلُوا». فَقَالُوا: «لَيْسَ عِنْدَنَا أَكْثَرُ مِنْ خَمْسَةِ أَرْغِفَةٍ وَسَمَكَتَيْنِ إِلاَّ أَنْ نَذْهَبَ وَنَبْتَاعَ طَعَاماً لِهَذَا الشَّعْبِ كُلِّهِ». *لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: «أَتْكِئُوهُمْ فِرَقاً خَمْسِينَ خَمْسِينَ». *فَفَعَلُوا هَكَذَا وَأَتْكَأُوا الْجَمِيعَ. *فَأَخَذَ الأَرْغِفَةَ الْخَمْسَةَ وَالسَّمَكَتَيْنِ وَرَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ وَبَارَكَهُنَّ ثُمَّ كَسَّرَ وَأَعْطَى التَّلاَمِيذَ لِيُقَدِّمُوا لِلْجَمْعِ. *فَأَكَلُوا وَشَبِعُوا جَمِيعاً. ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ: اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً. (لوقا: 9: 10-17).

د- "وأحيي الموتى بإذن الله"

لم تعطنا الرواية القرآنية أي تفاصيل حول معجزات يسوع في إحياء الموتى، بينما أوردت الأناجيل الرسمية بالتفصيل خبر ثلاث من هذه المعجزات. الأولى: إحياء ابنة رئيس المجمع (متَّى 9: 18-26، مرقس 5: 21-43، لوقا 8: 40-56)، والثانية: إحياء ابنة أرملة من بلدة نايين (لوقا 7: 11-17)، والثالثة: إحياء صديقه لعازر، الفتى الذي كان يُكن له محبة خاصة (يوحنا 11: 1-44).

كما وردت في الأناجيل المنحولة قصة إحياء الطفل يسوع لزميل له. نقرأ في منحول توما: "بعد هذه الأمور، كان يسوع يلعب مع الأولاد على سطح بيت مؤلف من طابقين. فدفع أحدهم رفيقه فسقط على الأرض ومات. فلما رأى الصبْية ذلك هربوا جميعاً وبقي يسوع وحده واقفاً على السطح. ولما علم والدا الصبي بما حدث له جاءا يندبان، وشاهدا جثة ولدهما مطروحة على الأرض ويسوع وحده واقفاً في الأعلى، فاعتقدا أن يسوع هو الذي دفعه، وراحا يشتمانه. فلما رأى يسوع ذلك قفز من أعلى السطح ووقف عند رأس الميت وقال له: زينو، أحقاً أنا الذي دفعك؟ قم وأخبرنا. وبهذه الكلمة قام الصبي وسجد ليسوع قائلاً: أيها الرب، أنت لم ترمني، ولكني كنت ميتاً فأحييتني".

هذا وتستقل الرواية الإنجيلية بإيراد ثلاث معجزات خارقة للطبيعة لم تشر إليها الرواية القرآنية، وهي: معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا (يوحنا 2)، ومعجزة تسكين العاصفة التي كادت تغرق مركبهم (مرقس 4)، ومعجزة السير على الماء (متَّى 14).

هـ- معجزات الشفاء:

«..وَأُبْرِئُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ... بِإِذْنِ اللهِ..» (3 آل عمران: 49). كما الحال في معجزات إحياء الموتى، فإن الرواية القرآنية لم تقدم لنا أي تفاصيل فيما يخص

معجزات عيسى الشفائية، ولم تذكر منها سوى شفاء الأكمه، والأكمه هو فاقد البصر منذ الولادة، وشفاء الأبرص؛ وسكتت عن بقية المعجزات الأخرى الواردة في الأناجيل، ومنها: شفاء المقعد، والمشلول، والمرأة النازفة، والممسوسين. وسنورد فيما يلي نموذجين عن شفاء العمي والبُرص مما ورد في الأناجيل الرسمية:

*وَفِيمَا هُوَ مُجْتَازٌ رَأَى إِنْسَاناً أَعْمَى مُنْذُ وِلاَدَتِهِ *فَسَأَلَهُ تلاَمِيذُهُ: «يَا مُعَلِّمُ مَنْ أَخْطَأَ: هَذَا أَمْ أَبَوَاهُ حَتَّى وُلِدَ أَعْمَى؟» *أَجَابَ يَسُوعُ: «لاَ هَذَا أَخْطَأَ وَلاَ أَبَوَاهُ لَكِنْ لِتَظْهَرَ أَعْمَالُ اللَّهِ فِيهِ. *يَنْبَغِي أَنْ أَعْمَلَ أَعْمَالَ الَّذِي أَرْسَلَنِي مَا دَامَ نَهَارٌ. يَأْتِي لَيْلٌ حِينَ لاَ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ. *مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ». *قَالَ هَذَا وَتَفَلَ عَلَى الأَرْضِ وَصَنَعَ مِنَ التُّفْلِ طِيناً وَطَلَى بِالطِّينِ عَيْنَيِ الأَعْمَى. *وَقَالَ لَهُ: «اذْهَبِ اغْتَسِلْ فِي بِرْكَةِ سِلْوَامَ». الَّذِي تَفْسِيرُهُ مُرْسَلٌ. فَمَضَى وَاغْتَسَلَ وَأَتَى بَصِيراً. (يوحنا 9: 1-7).

*وَفِي ذَهَابِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ اجْتَازَ فِي وَسَطِ السَّامِرَةِ وَالْجَلِيلِ. *وَفِيمَا هُوَ دَاخِلٌ إِلَى قَرْيَةٍ اسْتَقْبَلَهُ عَشَرَةُ رِجَالٍ بُرْصٍ فَوَقَفُوا مِنْ بَعِيدٍ *وَصَرَخُوا: «يَا يَسُوعُ يَا مُعَلِّمُ ارْحَمْنَا». *فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمُ: «اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ». وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا (لوقا 17: 11-14).

2- الأقوال:

في الرواية القرآنية هنالك أقوال لـ عيسى يمكن مقارنتها بما ورد على لسان يسوع في الرواية الإنجيلية:

• "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً...*" (19 مريم: 30-31).

إن ألقاب: عبد الله، والنبي، والمبارك، التي أعطاها القرآن لـ عيسى هنا، سوف تُبحث بالتفصيل عندما نأتي إلى مسائل الجدال اللاهوتي بين القرآن والإنجيل، في موضع لاحق من هذه الدراسة.

• "وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ..." (5 المائدة: 72). "إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (43 الزخرف: 64).

وقد قال يسوع في إنجيل يوحنا للمجدلية بعد قيامته: *اذْهَبِي إِلَى إِخْوَتِي وَقُولِي لَهُمْ: إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ». *فَجَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَأَخْبَرَتِ التَّلاَمِيذَ أَنَّهَا رَأَتِ الرَّبَّ وَأَنَّهُ قَالَ لَهَا هَذَا (يوحنا 20: 17-18).

• "مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ

شَـيْءٍ شَـهِيدٌ” (5 المائدة: 117).

وقال يسوع في إنجيل يوحنا: *«أَنَا أَظْهَرْتُ اسْمَكَ لِلنَّاسِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي مِنَ الْعَالَمِ. كَانُوا لَكَ وَأَعْطَيْتَهُمْ لِي وَقَدْ حَفِظُوا كلاَمَكَ. *وَالآنَ عَلِمُوا أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَيْتَنِي هُوَ مِنْ عِنْدِكَ *لأَنَّ الْكلاَمَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ وَهُمْ قَبِلُوا وَعَلِمُوا يَقِيناً أَنِّي خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِكَ وَآمَنُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي. *........ *حِينَ كُنْتُ مَعَهُمْ فِي الْعَالَمِ كُنْتُ أَحْفَظُهُمْ فِي اسْمِكَ. الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي حَفِظْتُهُمْ وَلَمْ يَهْلِكْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ ابْنُ الْهلاَكِ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ. *أَمَّا الآنَ فَإِنِّي آتِي إِلَيْكَ.....» (يوحنا 17: 6-16).

• “....يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ....” (61 الصَّف: 6).

وقال يسوع في إنجيل متَّى: لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ (متَّى 5: 17).

• “....أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللّهِ.... وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ” (3 آل عمران: 49).

اعتقد مفسرو القرآن الكريم أن في قول عيسى هنا: “وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بيُوتِكُمْ” عطف على معجزاته التي كان يعدد بعضها، مثل إحياء الصور الطينية، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى. ولذلك قالوا إن الله قد أعطى عيسى القدرة على إخبار الناس بالمغيَّبات من أحوالهم، فكان يخبر الشخص بما أكل وما ادَّخر في بيته. والحقيقة أن الأقرب إلى معنى هذه الآية ما وردَ في إنجيل لوقا: *فَلاَ تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ تَقْلَقُوا *فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا أُمَمُ الْعَالَمِ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَبُوكُمْ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هَذِهِ. *بَلِ اطْلُبُوا مَلَكُوتَ اللهِ وَهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ (لوقا 12: 29-31). والأقرب إلى المعنى أيضاً ما ورد في إنجيل متَّى عن الادِّخار: *«لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. *بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً فِي السَّمَاءِ حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ *لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضاً. (متَّى: 6: 19-21).

• “وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ” (61 الصَّف: 6).

وقد وردَت في إنجيل يوحنا، عدة مرات، أقوال ليسوع تبشر المؤمنين بشخصية يدعوها النص بـ “البارقليط” تتابع عمل يسوع وتمكث مع تلاميذه وأتباعه. وقد تُرجمت هذه الكلمة اليونانية باعتبارها تعني “المؤيد” أو

"المحامي" أو "المُعزّي":

*«إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ *وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ[30] لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ *رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ. *لاَ أَتْرُكُكُمْ يَتَامَى. إِنِّي آتِي إِلَيْكُمْ (يوحنا 14: 15-18). *بِهَذَا كَلَّمْتُكُمْ وَأَنَا عِنْدَكُمْ. *وَأَمَّا الْمُعَزِّي[31] الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ (يوحنا 14: 25-26). لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لاَ يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ (يوحنا 16: 7).

في كلا النصين القرآني والإنجيلي، نحن أمام شخصية سوف ترسل إلى الناس بعد ارتفاع المسيح من بينهم، يدعوها النص القرآني "أحمد"، ويدعوها النص الإنجيلي "البارقليط - Paraqletos". وفي الحقيقة فإن جميع دارسي العهد الجديد يعترفون بصعوبة ترجمة الكلمة اليونانية القديمة Paraqletos. أما مترجمو العهد الجديد إلى اللغات الحديثة فقد اختاروا أهون الشرّين، بين ترك الكلمة على حالها (كما فعلت الترجمة السريانية) وبين إيجاد أكثر المعاني مناسبةً لسياق النص، فقالوا "المعزي". أما كلمة "أحمد" فتعني بالعربية "الأكثر حمداً"، و "الأكثر شهرةً" و "الأكثر تمجيداً". فهل من وسيلة للتوفيق بين المعاني المتضمنة في الكلمتين القرآنية والإنجيلية؟ ربما.

هنالك من الباحثين من يعتقد أن كاتب إنجيل يوحنا لم يستعمل في الأصل كلمة بارقليط - Paraqletos، وإنما استعمل كلمة بيريقليط - Periqlytos المشتقة في اللغة اليونانية القديمة من جذر يفيد معنى التمجيد والحمد والثناء، وأن الخلط بين الكلمتين Paraqletos و Periqlytos قد جرى فيما بعد على أيدي النُسّاخ. فإذا كان الأمر كذلك، فإن الكلمتين الإنجيلية والقرآنية تتفقان في المعنى[32].

ولكن هل يشير الاسم "أحمد" إلى نبي الإسلام "محمد"؟ وإذا كان الأمر كذلك، لماذا لم يستخدم النص القرآني هنا الاسم "محمد" الذي استخدمه في الإشارة إلى نبي الإسلام أينما وردت الإشارة إليه، وذلك كقوله تعالى: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...." (3 آل عمران: 144) وأيضاً: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ...." (33 الأحزاب: 40). وأيضاً: "....وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ...." (47 محمد: 2). وأيضاً: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ...." (48 الفتح: 29).

في الحقيقة نحن هنا أمام واحدة من إشكاليات النص القرآني لا تقل غموضاً عن إشكالية النص الإنجيلي المتعلقة بالبارقليط، والتي لم يتوصل

الباحثون في العهد الجديد إلى اتفاق بشأنها. وبما أن الخوض في إشكاليات ومتشابهات النص القرآني ليس من أهداف هذا البحث، فإنني أكتفي بتقديم الملاحظات التالية:

1- إن الاسم الذي أُطلق على نبي الإسلام يوم مولده هو محمد. ولا صحة للأخبار التي تقول بأن اسمه كان قثامة أو شيئاً من هذا القبيل. وهذه واقعة تتفق بشأنها جميع كتب السيرة النبوية.

2- لم يكن الاسم محمد بالجديد على عرب الجاهلية، وهنالك العديد ممن سمّوا بهذا الاسم. أما الاسم أحمد فغير موثق لدينا على الإطلاق.

3- لا يرد الاسم أحمد لدى مؤلفي السيرة النبوية في الإشارة إلى نبي الإسلام. فلا أفراد أسرته خاطبوه بهذا الاسم، ولا المقربون إليه ولا الغرباء. ولم يُروَ عن النبي في هذه السيَر أنه استخدمه في التعريف بنفسه.

4- لم يطلق العرب على مواليدهم الاسم أحمد في صدر الإسلام، وأكثر من نعرفهم من حاملي هذا الاسم هم من مواليد أواخر القرن الأول الهجري أو أوائل القرن الثاني، عندما استقر الرأي لدى المفسرين على المطابقة بين الاسم أحمد والاسم محمد. وإلى هذه الحقبة تعود الأحاديث الضعيفة والموضوعة التي يذكر فيها الرسول عدداً من أسمائه وبينها أحمد.

اعتماداً على هذه الوقائع يمكننا القول إن كلمة أحمد هي صفة وليست اسم علم. وعليه فإن جملة "نبي اسمه أحمد" يمكن أن تعني "نبي اسمه ممجدٌ". وقد فهم من قبل "ماني" نبي الديانة المانوية كلمة "البارقليط" الواردة في إنجيل يوحنا بهذا المعنى، عندما أعلن في كتابه الإنجيل الحي "أنه الفارقليط الذي بشر به المسيح، وأنه خاتم الأنبياء»[33].

• "....وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ...." (3 آل عمران: 50).

في هذا القول المختصر والموجز، تلخص الرواية القرآنية موقف يسوع من شريعة التوراة، وهو موقف عبّر عنه من خلال أعماله وأقواله التي حفلت بها الأناجيل الأربعة. لقد قال فعلاً إنه لم يأت لينقض بل ليكمّل، ولكن هذا القول لم يكن يعنِ بالنسبة إليه قبول الشريعة التوراتية بقضها وقضيضها. لقد قبل بها باعتبارها صالحة للأزمان الماضية، ولكنه تجاوزها مؤسساً لرسالة جديدة كل الجدة تقوم على شريعة الروح لا على شريعة الحرف.

ولقد أحل يسوع لتلاميذه كثير من تحريمات شريعة موسى، لا سيما ما تعلق منها بالمأكل والمشرب. فعندما انتقده اليهود لأن تلاميذه يأكلون قبل غسل أيديهم، قال لهم: «*لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لَكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. *إِنْ كَانَ لأَحَدٍ

أذْنَانٍ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ». *وَلَمَّا دَخَلَ مِنْ عِنْدِ الْجَمْعِ إِلَى الْبَيْتِ سَأَلَهُ تَلاَمِيذُهُ عَنِ الْمَثَلِ. *فَقَالَ لَهُمْ: «أَفَأَنْتُمْ أَيْضاً هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ؟ أَمَا تَفْهَمُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَدْخُلُ الإِنْسَانَ مِنْ خَارِجٍ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ *لأَنَّهُ لاَ يَدْخُلُ إِلَى قَلْبِهِ بَلْ إِلَى الْجَوْفِ ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى الْخَلاَءِ وَذَلِكَ يُطَهِّرُ كُلَّ الأَطْعِمَةِ». *ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الإِنْسَانِ ذَلِكَ يُنَجِّسُ الإِنْسَانَ. *لأَنَّهُ مِنَ الدَّاخِلِ مِنْ قُلُوبِ النَّاسِ تَخْرُجُ الأَفْكَارُ الشِّرِّيرَةُ...» (مرقس 7: 15-21).

6

أقوال يسوع

في سياقاتٍ قرآنية

قارنّا في الفصل السابق بين أقوال عيسى الواردة في الرواية القرآنية ومتوازياتها في الرواية الإنجيلية. أما في هذا الفصل فسوف نعرض أقوالاً ليسوع لم ترد على لسانه في الرواية القرآنية، وإنما وردت في سياقاتٍ قرآنيةٍ متنوعة، مع احتفاظها بمبناها الأصلي أو بالمعنى أو بالاثنين معاً. وسنبدأ بالخطاب الآخروي المطوّل الذي تحدث فيه يسوع عن اليوم الأخير، يوم الدينونة، وعلاماته، وما يحصل فيه من كوارث طبيعية، والثواب والعقاب، وأحوال أهل الجنة والنار. ويشغل هذا الخطاب الإصحاحين 24 و25 من إنجيل متّى، والإصحاح 13 من إنجيل مرقس، والإصحاح 21 من إنجيل لوقا.

*ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ. *فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هَذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ هَهُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!». *وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ عَلَى انْفِرَادٍ قَائِلِينَ: «قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هَذَا وَمَا هِيَ عَلاَمَةُ مَجِيئِكَ وَانْقِضَاءِ الدَّهْرِ؟» (متَّى 24: 1-3).

• قال يسوع: *وَأَمَّا ذَلِكَ الْيَوْمُ وَتِلْكَ السَّاعَةُ فَلاَ يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلاَ الْمَلاَئِكَةُ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ وَلاَ الاِبْنُ إِلاَّ الآبُ. *انْظُرُوا! اسْهَرُوا وَصَلُّوا لأَنَّكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الْوَقْتُ (مرقس 13: 32-33).

• وجاء في القرآن: "يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ...." (33 الأحزاب: 63). وأيضاً: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ...." (7 الأعراف: 187).

• قال يسوع: *فَاحْتَرِزُوا لأَنْفُسِكُمْ لِئَلاَّ تَثْقُلَ قُلُوبُكُمْ فِي خُمَارٍ وَسُكْرٍ وَهُمُومِ الْحَيَاةِ فَيُصَادِفَكُمْ ذَلِكَ الْيَوْمُ بَغْتَةً. *لأَنَّهُ كَالْفَخِّ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الْجَالِسِينَ عَلَى وَجْهِ كُلِّ الأَرْضِ (لوقا 21: 34-35).

وجاء في القرآن: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ" (43 الزخرف: 66). وأيضاً: "....حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَا

حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا...." (6 الأنعام: 31). "بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ" (21 الأنبياء: 40).

• قال يسوع: وَتَكُونُ زَلاَزِلُ عَظِيمَةٌ فِي أَمَاكِنَ وَمَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ. وَتَكُونُ مَخَاوِفُ وَعَلاَمَاتٌ عَظِيمَةٌ مِنَ السَّمَاءِ. (لوقا 21: 11).

وجاء في القرآن: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" (22 الحج: 1) وأيضاً: "إذا رجَّت الأرض رَجًّا، وبُسَّت الجبال بَسَّاً فكانت هباءً مُنبثَّاً." (56 الواقعة: 3-4).

• قال يسوع: وَسَوْفَ تُسَلَّمُونَ مِنَ الْوَالِدِينَ وَالإِخْوَةِ وَالأَقْرِبَاءِ وَالأَصْدِقَاءِ وَيَقْتُلُونَ مِنْكُمْ (لوقا 21: 16). وَسَيُسْلِمُ الأَخُ أَخَاهُ إِلَى الْمَوْتِ وَالأَبُ وَلَدَهُ وَيَقُومُ الأَوْلاَدُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. (مرقس 13: 12).

وجاء في القرآن: "لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...." (60 الممتحنة: 3). وأيضاً: "وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً* يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ* وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْويهِ*" (70 المعارج: 10-13). وأيضاً: "فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ* يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ* وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ* لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ*" (80 عبس: 33-36).

• قال يسوع: لأَنَّهُ يَكُونُ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ ضِيقٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْخَلِيقَةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ. (مرقس 13: 19).

وجاء في القرآن: "....وَكَانَ يَوْماً عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيراً." (25 الفرقان: 26).

• قال يسوع: «وَتَكُونُ عَلاَمَاتٌ فِي الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَعَلَى الأَرْضِ (لوقا 21: 25).

وجاء في القرآن: "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ" (54 القمر: 1).

• قال يسوع: وَأَمَّا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ بَعْدَ ذَلِكَ الضِّيقِ فَالشَّمْسُ تُظْلِمُ وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ (مرقس 13: 24).

وجاء في القرآن: "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ"[34] (81 التكوير: 1). "فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ* وَخَسَفَ الْقَمَرُ* وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ* يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ*" (75 القيامة: 7-10).

• قال يسوع: وَنُجُومُ السَّمَاءِ تَتَسَاقَطُ وَالْقُوَّاتُ الَّتِي فِي السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. (مرقس 13: 25).

وجاء في القرآن: "وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ"[35] (81 التكوير: 2). "إِذَا السَّمَاء انفَطَرَتْ* وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ* وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ*" (82 الانفطار: 2-3).

• قال يسوع: وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَالْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ الأَيَّامِ لأَنَّهُ يَكُونُ ضِيقٌ عَظِيمٌ عَلَى الأَرْضِ وَسُخْطٌ عَلَى هَذَا الشَّعْبِ (لوقا 21: 23).

وجاء في القرآن: "يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" (22 الحج: 2).

• قال يسوع: هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً مَتَى رَأَيْتُمْ هَذِهِ الأَشْيَاءَ صَائِرَةً فَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ قَرِيبٌ (لوقا 21: 31). اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَمْضِي هَذَا الْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ. (مرقس 13: 30).

وجاء في القرآن: ".... فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيباً" (17 الإسراء: 51). "....وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ" (42 الشورى: 17). "إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً* وَنَرَاهُ قَرِيباً*" (70 المعارج: 6-7).

• قال يسوع: *وَحِينَئِذٍ يُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً فِي سَحَابٍ بِقُوَّةٍ كَثِيرَةٍ وَمَجْدٍ *فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلاَئِكَتَهُ وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ. (مرقس 13: 26-27). .... وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. (متَّى 24: 30).

وجاء في القرآن: "هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللّهِ تُرْجَعُ الأمُورُ." (2 البقرة: 210). "كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً* وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً*." (89 الفجر: 21-22). "وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاء بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلاً" (25 الفرقان: 25).

• قال يسوع: *«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. *وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ *فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ. *ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.... «ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنِ الْيَسَارِ: اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلاَعِينُ إِلَى النَّارِ الأَبَدِيَّةِ الْمُعَدَّةِ لإِبْلِيسَ وَمَلاَئِكَتِهِ... *فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ (متَّى 25: 31-46).

وجاء في القرآن: "ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ* أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ* عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ*" (90 البلد: 17-20). وأيضاً: "فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ* وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ* وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ*

أوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ*...... وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ* فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ* وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ* وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ* وَمَاء مَّسْكُوبٍ*...... وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ* لاَّ بَارِدٍ وَلاَ كَرِيمٍ*...... وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* فَسَلاَمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ* وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ* فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ* وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ*" (56 الواقعة: 8-94). وأيضاً: "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ* إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ* فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُونَ* عَنِ الْمُجْرِمِينَ* مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ[36]* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ*" (74 المدَّثر: 38-44).

• قال يسوع: *لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ *فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ (يوحنا 15: 28-29).

وجاء في القرآن: "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ* وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ*" (22 الحج: 56-57).

• قال يسوع: *«كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأُرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهاً. *وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوباً بِالْقُرُوحِ *وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ. *فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضاً وَدُفِنَ *فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ *فَنَادَى: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمُ ارْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبَعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هَذَا اللهِيبِ. *فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ وَكَذَلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. *وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ (لوقا 16: 19-26).

وجاء في القرآن: "وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاء أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ" (7 الأعراف: 50).

خارج هذا الخطاب الآخروي ليسوع، هنالك مشاهد آخروية في سفر الرؤيا، آخر أسفار العهد الجديد البالغ عددها سبعة وعشرون سفراً، تستحق التوقف عندها من أجل المقارنة مع القرآن الكريم، على الرغم من أنها لم ترد على لسان يسوع.

ونبدأ بنفخة البوق، أو الصور، التي تفتتح أحداث اليوم الأخير:

• سفر الرؤيا: *ثُمَّ إِنَّ السَّبْعَةَ الْمَلاَئِكَةَ الَّذِينَ مَعَهُمُ السَّبْعَةُ الأَبْوَاقُ تَهَيَّأُوا لِكَيْ يُبَوِّقُوا. *فَبَوَّقَ الْمَلاَكُ الأَوَّلُ، فَحَدَثَ بَرَدٌ وَنَارٌ مَخْلُوطَانِ بِدَمٍ، وَأُلْقِيَا إِلَى الأَرْضِ، فَاحْتَرَقَ ثُلْثُ الأَشْجَارِ وَاحْتَرَقَ كُلُّ عُشْبٍ أَخْضَرَ (8: 6-7).

وورد في القرآن: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ" (39 الزُمُر: 68). "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ" (36 يس: 51).

• سفر الرؤيا: *ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ الْخَامِسُ، فَرَأَيْتُ كَوْكَباً قَدْ سَقَطَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَأُعْطِيَ مِفْتَاحَ بِئْرِ الْهَاوِيَةِ. *فَفَتَحَ بِئْرَ الْهَاوِيَةِ، فَصَعِدَ دُخَانٌ مِنَ الْبِئْرِ كَدُخَانِ أَتُونٍ عَظِيمٍ، فَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ وَالْجَوُّ مِنْ دُخَانِ الْبِئْرِ. *وَمِنَ الدُّخَانِ خَرَجَ جَرَادٌ عَلَى الأَرْضِ،..... *وَفِي تِلْكَ الأَيَّامِ سَيَطْلُبُ النَّاسُ الْمَوْتَ وَلاَ يَجِدُونَهُ (9: 1-6).

وجاء في القرآن: "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ* يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ* رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ*" (44 الدخان: 10-12).

• سفر الرؤيا: ثُمَّ بَوَّقَ الْمَلاَكُ السَّابِعُ، فَحَدَثَتْ أَصْوَاتٌ عَظِيمَةٌ فِي السَّمَاءِ قَائِلَةً: «قَدْ صَارَتْ مَمَالِكُ الْعَالَمِ لِرَبِّنَا وَمَسِيحِهِ، فَسَيَمْلِكُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (11: 15).

وجاء في القرآن: "....قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّوَرِ...." (6 الأنعام: 73). "يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لاَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (40 غافر: 16). "....وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ" (69 الحاقَّة: 17).

• سفر الرؤيا: وَالسَّمَاءُ انْفَلَقَتْ كَدَرْجٍ مُلْتَفٍّ، وَكُلُّ جَبَلٍ وَجَزِيرَةٍ تَزَحْزَحَا مِنْ مَوْضِعِهِمَا (6: 14).

وجاء في القرآن: "فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاء فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ" (55 الرحمن: 37). "إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ* وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ* وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ* وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ*" (84 الانشقاق: 1-4). "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ* وَحُمِلَتِ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً* فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ* وَانشَقَّتِ السَّمَاء فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ*" (69 الحاقَّة: 13-16). "يَوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً" (73 المزَّمل: 14). "يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاء مَوْراً* وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْراً*" (52 الطور: 9-10).

• سفر الرؤيا: وَرَأَيْتُ الأَمْوَاتَ صِغَاراً وَكِبَاراً وَاقِفِينَ أَمَامَ اللهِ، وَانْفَتَحَتْ أَسْفَارٌ. وَانْفَتَحَ سِفْرٌ آخَرُ هُوَ سِفْرُ الْحَيَاةِ، وَدِينَ الأَمْوَاتُ مِمَّا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي الأَسْفَارِ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ (20-12).

وجاء في القرآن: "وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً* اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً*" (17 الإسراء: 13-14). وأيضاً: "....وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاء

وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ...." (39 الزُمر: 69).

• سفر الرؤيا: *ثُمَّ مَتَى تَمَّتِ الأَلْفُ السَّنَةِ يُحَلُّ الشَّيْطَانُ مِنْ سِجْنِهِ، *وَيَخْرُجُ لِيُضِلَّ الأُمَمَ الَّذِينَ فِي أَرْبَعِ زَوَايَا الأَرْضِ: جُوجَ وَمَاجُوجَ، لِيَجْمَعَهُمْ لِلْحَرْبِ، الَّذِينَ عَدَدُهُمْ مِثْلُ رَمْلِ الْبَحْرِ. *فَصَعِدُوا عَلَى عَرْضِ الأَرْضِ، وَأَحَاطُوا بِمُعَسْكَرِ الْقِدِّيسِينَ وَبِالْمَدِينَةِ الْمَحْبُوبَةِ، فَنَزَلَتْ نَارٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مِنَ السَّمَاءِ وَأَكَلَتْهُمْ.... (20: 7-10).

وجاء في القرآن: "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ* وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ*" (21 الأنبياء: 96-97).

بعد هذه الجولة في التصورات الآخروية في كل من الإنجيل والقرآن، نعود إلى أقوال يسوع في الأناجيل الأربعة. ونبدأ بأحد الأمثال التي اعتاد يسوع صياغة تعاليمه من خلالها، وهو الأسلوب الذي اتبعه القرآن الكريم أيضاً.

• *..... «هُوَذَا الزَّارِعُ قَدْ خَرَجَ لِيَزْرَعَ *وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ بَعْضٌ عَلَى الطَّرِيقِ فَجَاءَتِ الطُّيُورُ وَأَكَلَتْهُ. *وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَمَاكِنِ الْمُحْجِرَةِ حَيْثُ لَمْ تَكُنْ لَهُ تُرْبَةٌ كَثِيرَةٌ فَنَبَتَ حَالاً إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عُمْقُ أَرْضٍ. *وَلَكِنْ لَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ جَفَّ. *وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الشَّوْكِ فَطَلَعَ الشَّوْكُ وَخَنَقَهُ. *وَسَقَطَ آخَرُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ فَأَعْطَى ثَمَراً بَعْضٌ مِئَةً وَآخَرُ سِتِّينَ وَآخَرُ ثَلاَثِينَ. *مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ» *فَتَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ وَقَالُوا لَهُ: «لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ؟» *فَأَجَابَ: «لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَأَمَّا لِأُولَئِكَ فَلَمْ يُعْطَ (متّى 13: 3-11).

وجاء في القرآن: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَـذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ" (2 البقرة: 26).

• مِنْ أَجْلِ هَذَا أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَالٍ لأَنَّهُمْ مُبْصِرِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَسَامِعِينَ لاَ يَسْمَعُونَ وَلاَ يَفْهَمُونَ. (متّى 13: 13).

وجاء في القرآن: "...لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ...." (7 الأعراف: 179).

• قال يسوع: *«يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَخَذَهَا إِنْسَانٌ وَزَرَعَهَا فِي حَقْلِهِ *وَهِيَ أَصْغَرُ جَمِيعِ الْبُزُورِ. وَلَكِنْ مَتَى نَمَتْ فَهِيَ أَكْبَرُ الْبُقُولِ وَتَصِيرُ شَجَرَةً حَتَّى إِنَّ طُيُورَ السَّمَاءِ تَأْتِي وَتَتَآوَى فِي أَغْصَانِهَا»

(متَّى 13: 31-32).

وجاء في القرآن: "مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ.... مَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ[37] فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ...." (48 الفتح: 29).

• قال يسوع: لأَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلاَثَةٌ بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسَطِهِمْ (متَّى 18: 20).

وجاء في القرآن: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا...." (58 المجادلة: 7).

• قال يسوع: "لا تدينوا كي لا تدانوا. اغفروا يُغفر لكم." (لوقا 6: 37). *فَإِنَّهُ إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلاتِهِمْ يَغْفِرْ لَكُمْ أَيْضاً أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ. *وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ لاَ يَغْفِرْ لَكُمْ أَبُوكُمْ أَيْضاً زَلَّاتِكُمْ. (متَّى 6: 14-15).

وجاء في القرآن: "....وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (64 التغابن: 14). "....وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (24 النور: 22). "....فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ....*.... وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ*" (42 الشورى: 40-43). ".... وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" (3 آل عمران: 134).

• قال يسوع: *«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. *وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ.... (متَّى 5: 43-44).

وجاء في القرآن: "وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (41 فصّلت: 34).

• قال يسوع: « لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هَذَا الْعَالَمِ حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ» (يوحنا 9: 39).

وجاء في القرآن: "....فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (22 الحج: 46). "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ* خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ*" (2 البقرة: 6-7).

• قال يسوع: *لأَنَّهُ مَا مِنْ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً رَدِيّاً وَلاَ شَجَرَةٍ رَدِيَّةٍ تُثْمِرُ ثَمَراً جَيِّداً. *لأَنَّ كُلَّ شَجَرَةٍ تُعْرَفُ مِنْ ثَمَرِهَا. فَإِنَّهُمْ لاَ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ تِيناً وَلاَ يَقْطِفُونَ مِنَ الْعُلَّيْقِ عِنَباً. *اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ (لوقا 6: 43-45).

وورد في القرآن: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء* تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا....* وَمَثلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ*" (14 إبراهيم: 24-26).

• *احْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ... *وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُعَرِّفْ شِمَالَكَ مَا تَفْعَلُ يَمِينُكَ... (متَّى 6: 1-4).

وجاء في القرآن: "إِن تُبْدُواْ الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاء فَهُوَ خَيْرٌ لُّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ" (2 البقرة: 271).

• قال يسوع: *«وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ! *وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. (متَّى 6: 5-6).

وجاء في القرآن: "....وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً" (4 النساء: 142).

• قال يسوع: *«لَكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ قُدَّامَ النَّاسِ فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ الدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ! *وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ (متَّى 23: 13-14).

وجاء في القرآن: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ* كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ*" (5 المائدة: 78-79).

• قال يسوع: «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!» *فَتَحَيَّرَ التَّلاَمِيذُ مِنْ كَلاَمِهِ. فَقَالَ يَسُوعُ أَيْضاً: «يَا بَنِيَّ مَا أَعْسَرَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ! *مُرُورُ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ!» (مرقس 10: 23-25).

وجاء في القرآن: "....لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ...." (7 الأعراف: 40).

• قال يسوع: *وَحِينَ تَدْخُلُونَ الْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ *فَإِنْ كَانَ الْبَيْتُ مُسْتَحِقّاً فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقّاً فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ. (متَّى 10: 12-13).

وجاء في القرآن: "....فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ

عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً...." (24 النور: 61).

• قال يسوع: وَإِنْ أَعْثَرَتْكَ يَدُكَ فَاقْطَعْهَا. خَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ أَقْطَعَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَمْضِيَ إِلَى جَهَنَّمَ إِلَى النَّارِ الَّتِي لاَ تُطْفَأُ (مرقس 9: 43)

وجاء في القرآن: "إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِماً فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيى" (20 طه: 74).

• قال يسوع: *تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. *هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى (متَّى 22: 37-38).

وجاء في القرآن: "....وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبّاً لِّلّهِ...." (2 البقرة: 165).

• قال يسوع: لأَنِّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ (يوحنا 12: 49).... وَالْكلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 14: 24).

وجاء في القرآن: "وَمَا يَنطِقُ[38] عَنِ الْهَوَى* إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى* عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى*" (53 النجم: 3-5).

• قال يسوع: تَأَمَّلُوا الْغِرْبَانَ: أَنَّهَا لاَ تَزْرَعُ وَلاَ تَحْصُدُ وَلَيْسَ لَهَا مَخْدَعٌ وَلاَ مَخْزَنٌ وَاللهُ يُقِيتُهَا. كَمْ أَنْتُمْ بِالْحَرِيِّ أَفْضَلُ مِنَ الطُّيُورِ! (لوقا 12: 24).

وجاء في القرآن: "وَكَأَيِّن مِن دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ...." (29 العنكبوت: 60).

• قال يسوع: *وَإِنْ أَقْرَضْتُمُ الَّذِينَ تَرْجُونَ أَنْ تَسْتَرِدُّوا مِنْهُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ؟ فَإِنَّ الْخُطَاةَ أَيْضاً يُقْرِضُونَ الْخُطَاةَ لِكَيْ يَسْتَرِدُّوا مِنْهُمُ الْمِثْلَ. *بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئاً فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيماً وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ (لوقا 6: 34-35).

وجاء في القرآن: "وَإِن كَانَ[39] ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ[40] خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (2 البقرة: 280).

• قال يسوع: *«حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ. *وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ وَخَمْسٌ جَاهِلاَتٍ. *أَمَّا الْجَاهِلاَتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتاً *وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتاً فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. *وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. *فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ: هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ فَاخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ! *فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولَئِكَ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. *فَقَالَتِ الْجَاهِلاَتُ لِلْحَكِيمَاتِ: أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. *فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ: لَعَلَّهُ لاَ يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ بَلِ اذْهَبْنَ إِلَى الْبَاعَةِ وَابْتَعْنَ لَكُنَّ. *فِيمَا

هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ الْعَرِيسُ وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ وَأُغْلِقَ الْبَابُ. *أَخِيراً جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضاً قَائِلاَتٍ: يَا سَيِّدُ يَا سَيِّدُ افْتَحْ لَنَا. *فَأَجَابَ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ: إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ. *فَاسْهَرُوا إِذاً لأَنَّكُمْ لاَ تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلاَ السَّاعَةَ الَّتِي يَأْتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ (متَّى 25: 1-13).

وجاء في القرآن: "يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ* يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ....*" (57 الحديد: 13-14).

• قال يسوع:.... تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ (متَّى 25: 34).

وجاء في القرآن: "قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ" (23 المؤمنون: 1) "أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ*" (23 المؤمنون: 10-11). "....وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (7 الأعراف: 43). "تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً" (19 مريم: 63).

• قال يسوع: *إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي النَّهَارِ لاَ يَعْثُرُ لأَنَّهُ يَنْظُرُ نُورَ هَذَا الْعَالَمِ *وَلَكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَمْشِي فِي اللَّيْلِ يَعْثُرُ لأَنَّ النُّورَ لَيْسَ فِيهِ (يوحنا 11: 9-10).

وجاء في القرآن: "أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا...." (6 الأنعام: 122).

• قال يسوع: أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فلاَ يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ (يوحنا 8: 12).

وجاء في القرآن: "اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...." (24 النور: 35).

• قال يسوع: أَنَا قَدْ جِئْتُ نُوراً إِلَى الْعَالَمِ حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ (يوحنا 12: 46).

وجاء في القرآن: "هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...." (57 الحديد: 9).

• قال يسوع: وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا لأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ (متَّى 23: 3).

وجاء في القرآن: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ*" (61 الصف: 2-3).

• قال يسوع لليهود: *وَتَقُولُونَ: لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ الأَنْبِيَاءِ! *فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ.... *لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ.... *يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاء (متَّى 23: 30-37).

وجاء في القرآن: "لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُواْ وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ" (5 المائدة: 70). "....ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقّ...." (3 آل عمران: 112). "....أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ" (2 البقرة: 87).

• قال يسوع: لأَنَّهُ مَاذَا يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ؟ (مرقس 8: 36).

وجاء في القرآن: "....قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" (39 الزمر: 15). "أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ" (11 هود: 21).

• قال يسوع: *لأَنَّهُ جَاءَ يُوحَنَّا لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. *جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ. وَالْحِكْمَةُ تَبَرَّرَتْ مِنْ بَنِيهَا» (متى 11: 18-19).

وجاء في القرآن: "وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلاَ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً" (25 الفرقان: 7).

• وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتاً أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ.... حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ (متى 19: 29).

وجاء في القرآن: "مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً...." (2 البقرة: 245)

7

موت يسوع

لقرون عديدة أخذت مسألة موت يسوع على الصليب الحيز الأكبر من الجدال اللاهوتي بين المسلمين والمسيحيين. فاللاهوت المسيحي يضع مسألة موت يسوع على الصليب في مركز البؤرة من العقيدة. ويقول، اعتماداً على وضوح نصوص الأناجيل، إن يسوع قد أسلم الروح بعد ظهر يوم الجمعة الحزينة، ثم قام من بين الأموات في صبيحة اليوم الثالث، يوم الأحد؛ وبعد أن ظهر للتلاميذ عدة مرات، وتناول معهم الطعام ليثبت لهم حقيقة بعثه بجسده، ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الآب في انتظار اليوم الأخير عندما يعود على سحاب المجد ليدين العالم. أما علم التفسير الإسلامي، فيقول اعتماداً على تفسير وتأويل الآيات القرآنية المتعلقة بوفاة عيسى، إن عيسى لم يمت على الصليب، لأن الله أنجاه من مكيدة اليهود وجنَّبه الموت على أيديهم، فرفعه إليه حياً بجسده في انتظار عودته في اليوم الأخير ليقتل الدجَّال ويجعل العالم كله مِلَّةً واحدةً.

فإلى أي حدّ تختلف الروايتان الإنجيلية والقرآنية، إذا نحن تفحصناهما بدقة وفق منهج استقرائي لا يصدر عن المواقف الفكرية المسبقة، لا سيما فيما يتعلق بتفسير آيات القرآن الكريم التي لم يفلح علم التفسير في اعتقادي حتى الآن في حل إشكالاتها بقدر ما زادها غموضاً؟

موت يسوع في الرواية الإنجيلية:

سوف نتتبع فيما يلي مشاهد موت يسوع اعتماداً على الأناجيل الإزائيَّة الثلاثة متَّى ومرقس ولوقا، مبتدئين من انتهاء المحاكمة وسوق يسوع إلى الصلب:

*فَأَخَذَ عَسْكَرُ الْوَالِي يَسُوعَ إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَجَمَعُوا عَلَيْهِ كُلَّ الْكَتِيبَةِ *فَعَرَّوْهُ وَأَلْبَسُوهُ رِدَاءً قِرْمِزِيّاً *وَضَفَرُوا إِكْلِيلاً مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَقَصَبَةً فِي يَمِينِهِ. وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!»

*وَبَصَقُوا عَلَيْهِ وَأَخَذُوا الْقَصَبَةَ وَضَرَبُوهُ عَلَى رَأْسِهِ. *وَبَعْدَ مَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ نَزَعُوا عَنْهُ الرِّدَاءَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ وَمَضَوْا بِهِ لِلصَّلْبِ. *وَفِيمَا هُمْ خَارِجُونَ وَجَدُوا

إِنْسَاناً قَيْرَوَانِيّاً اسْمُهُ سِمْعَانُ فَسَخَّرُوهُ لِيَحْمِلَ صَلِيبَهُ[41].*وَلَمَّا أَتَوْا إِلَى مَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ جُلْجُثَةُ وَهُوَ الْمُسَمَّى «مَوْضِعَ الْجُمْجُمَةِ» *أَعْطَوْهُ خَلاًّ مَمْزُوجاً بِمَرَارَةٍ لِيَشْرَبَ. وَلَمَّا ذَاقَ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَشْرَبَ. *وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا.... *حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ. *وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ *قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». *وَكَذَلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: *«خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا». إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! *قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللَّهِ فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللَّهِ!». *وَبِذَلِكَ أَيْضاً كَانَ اللِّصَّانِ اللَّذَانِ صُلِبَا مَعَهُ يُعَيِّرَانِهِ. *وَمِنَ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ (الثانية عشر ظهراً) كَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى كُلِّ الأَرْضِ إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ (الثالثة بعد الظهر). *وَنَحْوَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي إِيلِي لَمَا شَبَقْتَنِي» (أَيْ: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟) *فَقَوْمٌ مِنَ الْوَاقِفِينَ هُنَاكَ لَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «إِنَّهُ يُنَادِي إِيلِيَّا». *وَلِلْوَقْتِ رَكَضَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ إِسْفِنْجَةً وَمَلأَهَا خَلاًّ وَجَعَلَهَا عَلَى قَصَبَةٍ وَسَقَاهُ. *وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَقَالُوا: «اتْرُكْ. لِنَرَى هَلْ يَأْتِي إِيلِيَّا يُخَلِّصُهُ». *فَصَرَخَ يَسُوعُ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ. *وَأَمَّا قَائِدُ الْمِئَةِ وَالَّذِينَ مَعَهُ يَحْرُسُونَ يَسُوعَ فَلَمَّا رَأَوُا الزَّلْزَلَةَ وَمَا كَانَ خَافُوا جِدّاً وَقَالُوا: «حَقّاً كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّهِ». *وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدِمْنَهُ *وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي. *وَلَمَّا كَانَ الْمَسَاءُ جَاءَ رَجُلٌ غَنِيٌّ مِنَ الرَّامَةِ اسْمُهُ يُوسُفُ - وَكَانَ هُوَ أَيْضاً تِلْمِيذاً لِيَسُوعَ. *فَهَذَا تَقَدَّمَ إِلَى بِيلاَطُسَ وَطَلَبَ جَسَدَ يَسُوعَ. فَأَمَرَ بِيلاَطُسُ حِينَئِذٍ أَنْ يُعْطَى الْجَسَدُ. *فَأَخَذَ يُوسُفُ الْجَسَدَ وَلَفَّهُ بِكَتَّانٍ نَقِيٍّ *وَوَضَعَهُ فِي قَبْرِهِ الْجَدِيدِ الَّذِي كَانَ قَدْ نَحَتَهُ فِي الصَّخْرَةِ ثُمَّ دَحْرَجَ حَجَراً كَبِيراً عَلَى بَابِ الْقَبْرِ وَمَضَى. *وَكَانَتْ هُنَاكَ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى جَالِسَتَيْنِ تُجَاهَ الْقَبْرِ. (متى 27: 27-61)

*وَبَعْدَ السَّبْتِ عِنْدَ فَجْرِ أَوَّلِ الأُسْبُوعِ جَاءَتْ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ الأُخْرَى لِتَنْظُرَا الْقَبْرَ. *وَإِذَا زَلْزَلَةٌ عَظِيمَةٌ حَدَثَتْ لأَنَّ مَلاَكَ الرَّبِّ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ وَجَاءَ وَدَحْرَجَ الْحَجَرَ عَنِ الْبَابِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ. *وَكَانَ مَنْظَرُهُ كَالْبَرْقِ وَلِبَاسُهُ أَبْيَضَ كَالثَّلْجِ. *فَمِنْ خَوْفِهِ ارْتَعَدَ الْحُرَّاسُ وَصَارُوا كَأَمْوَاتٍ. *فَقَالَ الْمَلاَكُ لِلْمَرْأَتَيْنِ: «لاَ تَخَافَا أَنْتُمَا فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكُمَا تَطْلُبَانِ يَسُوعَ الْمَصْلُوبَ. *لَيْسَ هُوَ هَهُنَا لأَنَّهُ قَامَ كَمَا قَالَ. هَلُمَّا انْظُرَا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ الرَّبُّ مُضْطَجِعاً فِيهِ. *وَاذْهَبَا سَرِيعاً قُولاَ لِتَلاَمِيذِهِ إِنَّهُ قَدْ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ. هَا هُوَ يَسْبِقُكُمْ إِلَى الْجَلِيلِ. هُنَاكَ تَرَوْنَهُ. هَا أَنَا قَدْ قُلْتُ لَكُمَا» *فَخَرَجَتَا سَرِيعاً مِنَ الْقَبْرِ بِخَوْفٍ وَفَرَحٍ عَظِيمٍ رَاكِضَتَيْنِ لِتُخْبِرَا تَلاَمِيذَهُ (متى 28: 1-8)

(متَّى الإصحاحين 27-28، ومرقس الإصحاحين 15-16، ولوقا الإصحاحين 23-24)، وعقب ظهوره الأخير للتلاميذ، يقول لوقا: وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ (لوقا 24: 51).

موت عيسى في الرواية القرآنية:

لدينا ستة مواضع في القرآن الكريم تتحدث عن موت عيسى. وسوف نوردها فيما يلي مع ما ارتأيناه في تفسيرها:

1- وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً" (19 مريم: 33).

استخدم القرآن الكريم التعبير نفسه في الحديث عن النبي يحيى (المعمدان)، حيث ورد في سورة مريم: "وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً" (19 مريم: 15). وبما أن يحيى قد عاش ومات مثل سائر بني البشر، فإن عيسى أيضاً قد عاش ومات بعد أن استوفى أجله الطبيعي. ولا يوجد لا في هذه الآية ولا في غيرها من آيات القرآن أي إشارة ظاهرة أو مبطنة إلى رفع عيسى إلى السماء بجسده العنصري قبل الموت، أو إلى موته المستقبلي في نهاية الزمن عقب قدومه الثاني، على ما شاع بين المفسرين.

2- "مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ..." (5 المائدة: 75).

استخدم القرآن التعبير نفسه في وصف النبيﷺ عندما خاطب أصحابه قائلاً: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ (آل عمران: 144) والمقصود هنا نفي التوهم بأن مكانة أي إنسان عند الله يمكن أن تحول بينه وبين الموت. وفي موضع آخر خاطب الله رسوله قائلاً: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ" (39 الزمر: 30). فمحمد سوف يموت كما مات غيره من الأنبياء، ومنهم المسيح ابن مريم.

ثم أردف تعالى قائلاً: وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ (المائدة: 75) يعني بذلك أن حياتهما الجَسَدانية التي تحتاج إلى الطعام سوف تنقطع لا محالة، لأن كل من يأكل الطعام سوف يؤول إلى موت. ولذلك خاطب تعالى رسوله في موضع آخر فقال له: "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ....* وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَّ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ*" (21 الأنبياء: 8). أي إن كل من سبق محمد من الأنبياء كان عرضة للموت، ولم يخلد منهم أحداً بما في ذلك ابن مريم.

3- "لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَآلُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (5 المائدة: 17).

إن الله هو الكائن الوحيد الذي لا يموت، وله القدرة على إهلاك المسيح، لأن المسيح ليس إلهاً، وهو ميت لا محالة مثل رجال الله الآخرين.

4- "وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ....* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ*" (5 المائدة: 116-117).

يسأل الله هنا عيسى سؤال العارف عندما يقول له: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟" فيجيبه عيسى: "ما قلتُ لهم إلا ما أمرتني أن اعبدوا الله ربي وربكم. وكنتُ شهيداً عليهم ما دمتُ فيهم، فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيب عليهم". إن صيغة الماضي التي يستخدمها عيسى بقوله: "توفيتني" تدل على أن وفاته قد حصلت في زمن الناس السابق لا في زمن رجوعه الثاني. ونلاحظ هنا التقابل بين الجملتين "ما دمت فيهم" و "لما توفيتني"، الذي يدل على أن عيسى كان مسؤولاً عن اعتقادات جماعته مادام معهم، ولكن عندما توفاه الله انقطعت مسؤولية الرقابة عليهم، وهو لم يزل غافلاً عما جرى لهم منذ أن توفي إلى ساعة الخطاب المذكور.

وقد ورد في الحديث الشريف حديثاً يشبِّه فيه الرسول نفسه بعيسى في موقفه من جماعته، حيث يقول: "يؤخذ بناس من أصحابي ذات الشمال فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم بعدك فأقول كما قال العبد الصالح عيسى بن مريم: (...وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*). (5 المائدة: 17-18)

5- "إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ" (3 آل عمران: 55).

هنا نأتي إلى القضية المركزية في مسألة موت عيسى، ألا وهي بعثه بعد موته ورفعه بجسده القائم من بين الأموات إلى السماء. ولكن قبل أن نأتي إلى بسط تفسيرنا لهذه الآية، لا بد من التذكير ببعض عناصر الرواية الإنجيلية. فقد تنبأ يسوع أثناء حياته بموته وقيامته في اليوم الثالث.. *وَفِيمَا هُمْ يَتَرَدَّدُونَ فِي الْجَلِيلِ قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «ابْنُ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ *فَيَقْتُلُونَهُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (متَّى 17: 22-23). وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ (مرقس 8: 31). وخلال مشهد المحاكمة قال يسوع في ارتفاعه إلى السماء بعد قيامته: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ (متَّى 26: 64). وأيضاً: *مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ (لوقا 22: 69). وبعد موته على الصليب وقيامته وظهوره للتلاميذ يقول مرقس في ارتفاعه إلى السماء: ثُمَّ إِنَّ الرَّبَّ

بَعْدَمَا كَلَّمَهُمُ ارْتَفَعَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَلَسَ عَنْ يَمِينِ اللَّهِ (مرقس 16: 19). ويقول لوقا: *وَأَخْرَجَهُمْ خَارِجاً إِلَى بَيْتِ عَنْيَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ وَبَارَكَهُمْ. *وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمُ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ (لوقا 24: 50-51).

هناك ثلاثة آراء رئيسة تداولها المفسرون فيما يخص هذه الآية. الرأي الأول لم يلقَ تأييد معظم المفسرين، ومفاده أن الله قد أمات عيسى مدة ثلاثة أيام ثم بعثه من الموت بعد ذلك (وقال بعضهم ثلاث ساعات فقط). وهذا الرأي يقترب كثيراً من وقائع الرواية الإنجيلية. أما الرأي الثاني فيقول إن الوفاة المذكورة هنا هي وفاة النوم لا وفاة الموت، والتي يشير إليها تعالى بقوله: "وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ..." (6 الأنعام: 60). وعلى ذلك يكون الله قد رفع عيسى إلى السماء بجسده العنصري وهو نائم، وخلصه من كيد بني إسرائيل. وأما الرأي الثالث، فيرى أن في قوله تعالى: "مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ" نوعاً من التقديم والتأخير، وأن المقصود هو: إني رافعك إلى السماء ثم مميتك بعد إنزالي إياك إلى الدنيا في نهاية الزمن.

وفي الحقيقة، إن هذه الآية هي من الآيات الواضحة التي لا تتطلب التأويل للتوصل إلى حقيقة معناها. فالنص يقول: "مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ"، أي مميتك أولاً ثم رافعك إليَّ. ولا مجال هنا لافتراض التقديم والتأخير، أو افتراض وفاة النوم. وبما أن الموتى لا يرفعون إلى السماء بل يسقطون ولا يقومون، فمن المنطقي أن نفترض حدوث البعث بين الوفاة والرفع. فالله قد بعث عيسى من بين الأموات ثم أصعده إليه بجسده القائم من الموت، في انتظار قدومه الثاني في نهاية الزمن، وبذلك تتطابق العناصر الرئيسة في الروايتين الإنجيلية والقرآنية، وهي الموت والبعث والرفع.

6- "فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ[42] وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً* وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً* وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً* وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً*" (4 النساء: 155-159).

لقد طرح هذا المقطع على المفسرين إشكاليات لم يوفقوا إلى حلها. فقد اعتقدوا أن مؤدَّى جملة "وما قتلوه وما صلبوه" هو أن عيسى لم يمتْ، وأنه ما زال إلى اليوم حياً في السماء. وهذا استنتاج غير منطقي، لأن نفي القتل والصلب لا ينفي الموت مطلقاً، وإنما يقرر عدم حدوث الموت بواسطة القتل أو الصلب؛ وهذان السببان ليسا الوحيدين لحدوث الموت. فقد يحصل الموت عن طريق الشيخوخة أو المرض أو الغرق أو غير ذلك من الأسباب. وفي الحقيقة، فإن ما تود هذه الجملة قوله: إن المسيح لم يمتْ قتلاً ولا صلباً على يد اليهود، وإن الله لم يكن ليسمح لمسيحه أن يموت على يد قتلة الأنبياء

بهذه الطريقة الشنيعة، فأنقذه من مكرهم.

وفيما يتعلق بجملة "ولكن شُبِّه لهم" فقد اعتقد المفسرون أن الضمير المستتر بعد "شُبِّه" يعود إلى المسيح، فجعلوه أولاً المُشبه به، واعتقدوا أن المُشبَّه المقتول مكانه صار على هيئته وشكله، وأن هذا المشبه هو المقتول والمصلوب. وكانت لهم في ذلك آراء شتَّى. فالبعض يقول إن الله ألقى شبه المسيح على خائنه يهوذا الإسخريوطي الذي صُلب بدلاً عنه، لا سيما أن يهوذا قد اختفى بعد خيانته. وقالت الأناجيل إنه قتل نفسه ندماً على ما فعل. والبعض يقول إن عيسى لمَّا أحس باقتراب الجند للقبض عليه، قال لتلاميذه: يا معشر الحواريين، أيكم يحب أن يكون رفيقي في الجنة حتى يُشَبَّه للقوم في صورتي فيقتلوه في مكاني؟ فقال واحد منهم: أنا يا روح الله. قال: فاجلس في مكاني. فجلس فيه، ورُفع عيسى عليه السلام، فدخلوا عليه فأخذوه وصلبوه وشُبه لهم به.

والرأي الذي نراه هو أن الضمير المستتر (نائب الفاعل) بعد كلمة "شُبِّه" إنما يعود على القتل والصلب. فلقد شُبه للناس صلب المسيح وموته على الصليب. وبما أن فريقاً من المسيحيين، وهم الغنوصيون ينفون موت المسيح على الصليب، ويقولون إن موته قد "شُبِّه" للناس الذين ظنوا أنهم يرون المسيح مصلوباً وما هو بالمصلوب، فقد أردف تعالى قائلاً: وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ (سورة النساء:157) أي إن الذين اختلفوا في مسألة موته على الصليب لفي شك من ذلك، وما يتبعون إلا ظنونهم. والحقيقة هي أن اليهود "ما قتلوه يقيناً"، أي متأكدين من ذلك، وإنما رفعه الله إليه. وهذا الرفع قد حصل بعد موت يسوع موتاً طبيعياً بعد أن استوفى أجله، على ما قلناه في تفسير الآية السابقة: "إني متوفيك ورافعك إليَّ"؛ أي مُصعدك إليَّ بعد موتك وبعثك.

وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً (سورة النساء:159) أي لا يموت يهودي من أهل الكتاب قبل أن يؤمن بعيسى عند قدومه الثاني، عندما يجعل الأديان كلها ملّة واحدة تؤمن بإله واحد. ذلك أن رجوع عيسى هو من علامات وأشراط "الساعة" على ما يقوله تعالى في موضع آخر: "وَإِنَّهُ (أي عيسى) لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا" (سورة الزخرف:61).

ومع ذلك، تبقى في النص فجوات لا نستطيع ردمها إلا باتباع الظن. والنص القرآني لا يقدم لنا أي معونة في جهدنا العقيم هذا. فكيف تراءى للناس موت يسوع على الصليب بينما كان في مكان آخر؟ كيف أنجاه ربه من الصلب وبأي طريقة؟ أين كان عيسى بعد نجاته من الصلب؟ أين توفي ومتى؟ أسئلة لا يمكننا محاولة الإجابة عنها إلا بالخروج عن المنهج الذي اتبعناه حتى الآن، وهو منهج المقارنة الحيادية الموضوعية. كل ما يمكننا قوله، هو أنه باستثناء واقعة الموت على الصليب، فإن الروايتين الإنجيلية والقرآنية تتفقان

في عناصرهما الأخرى. فعيسى قد مات في الرواية القرآنية كما مات في الرواية الإنجيلية، ثم إنه بُعث من بين الأموات ورفع بجسده إلى السماء. وهو سيأتي في آخر الزمن كعلامة من علامات الساعة.

على أنه لا بد من الإشارة إلى الشبه الواضح بين موت عيسى الذي تراءى للناس على غير حقيقته في الرواية القرآنية، ومفهوم الموت الشبحي للمسيح في الكتابات الغنوصية التي تقول إن موت المسيح قد تراءى للناس وما هو بالحقيقة الفعلية. وبعض هذه الكتابات يستخدم فكرة إلقاء شبه يسوع على شخص آخر صُلب في مكانه. نقرأ في أحد نصوص نجع حمادي المعروف بعنوان "أطروحة شيت الكبير" على لسان يسوع: "فاعلم إذاً أني لم أُسلَّم إلى أيديهم كما ظنوا، ولم أتألم أبداً... لم أمتْ في الحقيقة وإنما في المظهر فقط... لم أتجرع الخل والمرار كما رأوني أفعل، بل هو شخص آخر. لم أكن من ضربوه بالعصي، بل هو شخص آخر. لم أكن من وضعوا إكليل الشوك على رأسه، بل هو شخص آخر. ولقد سخرتُ في الأعالي من جهلهم ومن تبجحهم"[43]. وفي نص "أعمال يوحنا" نجد التلميذ يوحنا الحبيب يلجأ إلى جبل الزيتون بعد أن أسلم يسوع إلى الصلب، وهناك يظهر له يسوع ويقول له: "بالنسبة لهم هناك في الأسفل، أنا مصلوب في أورشليم، وأتجرع الخل والمرار وأُطعن بالحراب... ولكنني لست ذلك المعلق على الصليب، ولم أعانِ أياً من تلك الآلام"[44].

8

ناسوت عيسى

1- عيسى النبي

تؤكد الرواية القرآنية وبإصرار شديد على الطبيعة البشرية لـ عيسى، وذلك بأكثر من صيغة وأكثر من موضع في القرآن. ولكنها تلخص كل جوانب هذه الطبيعة في الآية 75 من سورة المائدة: "مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ". وأكل الطعام هو الميزة التي تفرق بين الكائنات البشرية والكائنات الروحانية المتفوقة التي لا تطلب الطعام ولا تحتاجه.

هذه الصورة البشرية ليسوع هي التي تطالعنا في الأناجيل الإزائيَّة الثلاثة: متَّى ومرقس ولوقا. فيسوع كان ينتمي إلى أسرة متواضعة، تقيم في بلدة متواضعة تدعى الناصرة، لم تُذكر في المصادر التاريخية والجغرافية إلا بعد عدة قرون من حياة يسوع. وكان رب هذه الأسرة يعمل نجاراً، ومارس ابنه يسوع هذه المهنة أيضاً، وكان مساعداً لأبيه في ورشته. وقد أشار مؤلف إنجيل مرقس إلى ذلك، عندما تعجب أهل الناصرة من حكمته لما مارس تعليمه بينهم لأول مرة، فقالوا: أَلَيْسَ هَذَا هُوَ النَّجَّارَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأَخَا يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَيَهُوذَا وَسِمْعَانَ؟ أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ هَهُنَا عِنْدَنَا؟» فَكَانُوا يَعْثُرُونَ بِهِ. (مرقس 6: 3). أما مؤلف إنجيل متَّى، فقد قال: *أَلَيْسَ هَذَا ابْنَ النَّجَّارِ؟ أَلَيْسَتْ أُمُّهُ تُدْعَى مَرْيَمَ وَإِخْوَتُهُ يَعْقُوبَ وَيُوسِي وَسِمْعَانَ وَيَهُوذَا؟ *أَوَلَيْسَتْ أَخَوَاتُهُ جَمِيعُهُنَّ عِنْدَنَا؟ فَمِنْ أَيْنَ لِهَذَا هَذِهِ كُلُّهَا؟ (متَّى 13: 55-56).

من هذه الآيات الواردة عند مرقس ومتَّى، نفهم أن أسرة يسوع كانت أسرة كبيرة تضم إلى جانب يسوع أربعة من الأخوة ذكرتهم المصادر الرسمية بأسمائهم، وعدداً من الأخوات لم تحدد عددهن، بينما قالت المصادر المنحولة إنهما اثنتان. وفيما يخص هؤلاء الإخوة يرى بعض المفسرين أنهم لم يكونوا إخوة يسوع بالفعل، وإنما أولاد خالته أو أولاد عمته، لأن هؤلاء كانوا يُدعون بالإخوة أيضاً وفق التقليد العبري. بينما يرى آخرون أنهم كانوا أشقاء يسوع، وذلك اعتماداً على قول متَّى إن يوسف لم يعرف مريم بعد حملها من الروح القُدُس حتى وضعت ابنها البكر (متَّى 1: 24-25). وهذا يترك الاحتمال قائماً في أنه قد عرفها بعد ذلك وأنجبت له إخوة يسوع. وقد ورد في بعض المصادر

المنحولة أن هؤلاء الإخوة هم أولاد يوسف من زواج سابق؛ فقد جاء في كتاب "تاريخ يوسف النجار" أن زوجة يوسف ماتت وتركت له أربعة أولاد ذكور، هم: يهوذا ويوستيوس ويعقوب وسمعان، وابنتان هما: ليسيا وليديا.

وكأي إنسان طبيعي آخر، فقد كان يسوع مقبلاً على الحياة ويستمتع بالمأكل والمشرب، وهي الصورة التي تقدمها لنا قصة عرس قانا الذي دُعي إليه يسوع مع أمه وتلاميذه. وكان يتكئ ليأكل مع الشرائح الدنيا من الشعب. نقرأ في إنجيل متّى: *وَبَيْنَمَا هُوَ مُتَّكِئٌ فِي الْبَيْتِ إِذَا عَشَّارُونَ وَخُطَاةٌ كَثِيرُونَ قَدْ جَاءُوا وَاتَّكَأُوا مَعَ يَسُوعَ وَتَلاَمِيذِهِ. *فَلَمَّا نَظَرَ الْفَرِّيسِيُّونَ قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ: «لِمَاذَا يَأْكُلُ مُعَلِّمُكُمْ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» *فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى (متّى 9: 10-12). وقد كان خصومه يأخذون عليه سلوكه الطبيعي هذا، ويتهمونه بالميل إلى الأكل والشرب ولذائذ الحياة. ولهذا قال لهم: *جَاءَ يُوحَنَّا لاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ فَيَقُولُونَ: فِيهِ شَيْطَانٌ. *جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ فَيَقُولُونَ: هُوَذَا إِنْسَانٌ أَكُولٌ وَشِرِّيبُ خَمْرٍ مُحِبٌّ لِلْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ (متّى 11: 18-19).

وكان الطِيب من متع الدنيا التي حُببت إلى يسوع، على ما تبينه قصة المرأة التي ضمخته بالعطر الفاخر، والتي رويت بأكثر من شكل في الأناجيل، ومنها رواية يوحنا:

*ثُمَّ قَبْلَ الْفِصْحِ بِسِتَّةِ أَيَّامٍ أَتَى يَسُوعُ إِلَى بَيْتِ عَنْيَا حَيْثُ كَانَ لِعَازَرُ الْمَيْتُ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ. *فَصَنَعُوا لَهُ هُنَاكَ عَشَاءً. وَكَانَتْ مَرْثَا تَخْدِمُ وَأَمَّا لِعَازَرُ فَكَانَ أَحَدَ الْمُتَّكِئِينَ مَعَهُ. *فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ[45] مَناً مِنْ طِيبِ نَارِدِينٍ خَالِصٍ كَثِيرِ الثَّمَنِ وَدَهَنَتْ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَمَسَحَتْ قَدَمَيْهِ بِشَعْرِهَا[46] فَامْتَلأَ الْبَيْتُ مِنْ رَائِحَةِ الطِّيبِ. *فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْ تلاَمِيذِهِ وَهُوَ يَهُوذَا سِمْعَانُ الإِسْخَرْيُوطِيُّ الْمُزْمِعُ أَنْ يُسَلِّمَهُ: *«لِمَاذَا لَمْ يُبَعْ هَذَا الطِّيبُ بِثلاَثَمِئَةِ دِينَارٍ وَيُعْطَ لِلْفُقَرَاءِ؟» *قَالَ هَذَا لَيْسَ لأَنَّهُ كَانَ يُبَالِي بِالْفُقَرَاءِ بَلْ لأَنَّهُ كَانَ سَارِقاً وَكَانَ الصُّنْدُوقُ عِنْدَهُ وَكَانَ يَحْمِلُ مَا يُلْقَى فِيهِ. *فَقَالَ يَسُوعُ: «اتْرُكُوهَا. إِنَّهَا لِيَوْمِ تَكْفِينِي قَدْ حَفِظَتْهُ *لأَنَّ الْفُقَرَاءَ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ وَأَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مَعَكُمْ فِي كُلِّ حِينٍ» (يوحنا 12: 1-8). اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: حَيْثُمَا يُكْرَزْ بِهَذَا الإِنْجِيلِ فِي كُلِّ الْعَالَمِ يُخْبَرْ أَيْضاً بِمَا فَعَلَتْهُ هَذِهِ تَذْكَاراً لَهَا (متى 26: 13).

ولقد تمتع يسوع بكل الطبائع الإنسانية الإيجابية والسلبية التي للبشر. فقد كان يُظهر عواطف الشفقة والحنو التي كانت تدفعه لمد يد العون إلى المرضى والممسوسين، والاختلاط بالمنبوذين، على ما يُظهر هذا المشهد من إنجيل مرقس: *فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِياً وَقَائِلاً لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي!» *فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ فَاطْهُرْ» (مرقس 1: 40-41).

إلى جانب هذه العواطف الإيجابية، فإن عواطف أخرى سلبية كانت

توجه سلوكه أحياناً. فلطالما أظهر التأفف ونفاذ الصبر تجاه تلاميذه الذين كانوا لا يفهمون بسهولة كل تعاليمه. فعندما قال للفريسيين مَثَله المعروف: لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ خَارِجِ الإِنْسَانِ إِذَا دَخَلَ فِيهِ يَقْدِرُ أَنْ يُنَجِّسَهُ لَكِنَّ الأَشْيَاءَ الَّتِي تَخْرُجُ مِنْهُ هِيَ الَّتِي تُنَجِّسُ الإِنْسَانَ (مرقس7:15) سأله تلاميذه عن مغزى المثل بعد انفضاض الجمع، فقال لهم: أَفَأَنْتُمْ أَيْضاً هَكَذَا غَيْرُ فَاهِمِينَ. ثم شرع يشرح لهم مغزى المَثَل. ولطالما احتدم غضباً على محاوريه من مثقفي اليهود مستخدماً أقذع الكلمات: ......*وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُوراً مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. *هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضاً: مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَاراً وَلَكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْماً! *وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ.... (متّى 23: 27-33). أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا (يوحنا 8: 44).

ولم ينجُ تلاميذه أنفسهم من ثورات غضبه، على ما نرى في هذا المشهد الذي رسمه مرقس لمشادَّة وقعت بين يسوع وبطرس: *وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. *وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. *فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ» (مرقس 8: 31-33). ونقرأ عند مرقس أيضاً: *وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَداً لِكَيْ يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ. *فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذَلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللَّهِ (مرقس 10: 13-14). وأيضاً: *ثُمَّ دَخَلَ أَيْضاً إِلَى الْمَجْمَعِ وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. *فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. *فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسَطِ!» *ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. *فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ حَزِيناً عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى. *فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ (مرقس 3: 1-6).

ويتجلى غضب يسوع في أوضح أشكاله في مشهد طرد الصيارفة والباعة من باحة الهيكل: *وَكَانَ فِصْحُ الْيَهُودِ قَرِيباً فَصَعِدَ يَسُوعُ إِلَى أُورُشَلِيمَ *وَوَجَدَ فِي الْهَيْكَلِ الَّذِينَ كَانُوا يَبِيعُونَ بَقَراً وَغَنَماً وَحَمَاماً وَالصَّيَارِفَ جُلُوساً. *فَصَنَعَ سَوْطاً مِنْ حِبَالٍ وَطَرَدَ الْجَمِيعَ مِنَ الْهَيْكَلِ اَلْغَنَمَ وَالْبَقَرَ وَكَبَّ دَرَاهِمَ الصَّيَارِفِ وَقَلَّبَ مَوَائِدَهُمْ (يوحنا 2: 13-15). وفي قصة لعنه للتينة العجفاء، يُعبِّر يسوع عن غضب مختلط بنزق ونفاذ صبر: *وَفِي الصُّبْحِ إِذْ كَانَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ جَاعَ *فَنَظَرَ شَجَرَةَ تِينٍ عَلَى الطَّرِيقِ وَجَاءَ إِلَيْهَا فَلَمْ يَجِدْ فِيهَا شَيْئاً إِلاَّ وَرَقاً فَقَطْ. فَقَالَ لَهَا: «لاَ يَكُنْ مِنْكِ ثَمَرٌ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ». فَيَبِسَتِ التِّينَةُ فِي الْحَالِ (متّى 21: 18-19).

كما عبَّر يسوع عن عواطف إنسانية أصيلة تتعلق بجزع الموت. فعندما أحس بدنو ساعته صلى للآب لكي يجيز كأس المنية عنه: *وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ وَتَبِعَهُ أَيْضاً تَلاَمِيذُهُ. *وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». *وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى *قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». *وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. *وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ (لوقا 22: 39-44). كما عبَّر عن ذروة اليأس الإنساني عندما صرخ قبل أن يُسلم الروح على الصليب:... إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ (متَّى 27: 46).

فإذا عدنا إلى الرواية القرآنية، نجد أنها تُعبِّر عن ناسوت عيسى من خلال ثلاثة ألقاب. فقد وصفته بالنبي، وبالرسول، وبعبد الله. وجميع هذه الألقاب تجد سنداً لها في أسفار العهد الجديد، وليست ابتكاراً قرآنياً. وسنبدأ بعيسى النبي:

"قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً...*" (19 مريم: 30-31).

في الرواية الإنجيلية وصف يسوع نفسه بالنبي. فعندما أظهر أهل الناصرة استخفافهم به ولم يؤمنوا بتعاليمه، لم يستطع إظهار معجزاته بينهم بسبب قلة إيمانهم، وقال:...«لَيْسَ نَبِيٌّ بِلاَ كَرَامَةٍ إِلاَّ فِي وَطَنِهِ وَفِي بَيْتِهِ». (متَّى 13: 54-57). وفي رواية لوقا للحادثة نفسها، يعقد يسوع مقارنة بين ما جرى له في الناصرة، وما جرى للنبي إيليا وللنبي أليشع، اللذين أظهرا معجزاتهما بعيداً عن موطنيهما: *وَبِالْحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ أَرَامِلَ كَثِيرَةً كُنَّ فِي إِسْرَائِيلَ فِي أَيَّامِ إِيلِيَّا حِينَ أُغْلِقَتِ السَّمَاءُ مُدَّةَ ثَلاَثِ سِنِينَ وَسِتَّةِ أَشْهُرٍ لَمَّا كَانَ جُوعٌ عَظِيمٌ فِي الأَرْضِ كُلِّهَا *وَلَمْ يُرْسَلْ إِيلِيَّا إِلَى وَاحِدَةٍ مِنْهَا إِلاَّ إِلَى أَرْمَلَةٍ إِلَى صِرْفَةِ صَيْدَاءَ. *وَبُرْصٌ كَثِيرُونَ كَانُوا فِي إِسْرَائِيلَ فِي زَمَانِ أَلِيشَعَ النَّبِيِّ وَلَمْ يُطَهَّرْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ إِلاَّ نُعْمَانُ السُّرْيَانِيُّ» (لوقا 4: 25-27).

وقد وصفه الآخرون أيضاً بالنبي، وقرنوه بيوحنا المعمدان: *فَسَمِعَ هِيرُودُسُ الْمَلِكُ لأَنَّ اسْمَهُ صَارَ مَشْهُوراً. وَقَالَ: «إِنَّ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانَ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ وَلِذَلِكَ تُعْمَلُ بِهِ الْقُوَّاتُ». *قَالَ آخَرُونَ: «إِنَّهُ إِيلِيَّا». وَقَالَ آخَرُونَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ أَوْ كَأَحَدِ الأَنْبِيَاءِ». *وَلَكِنْ لَمَّا سَمِعَ هِيرُودُسُ قَالَ: «هَذَا هُوَ يُوحَنَّا الَّذِي قَطَعْتُ أَنَا رَأْسَهُ. إِنَّهُ قَامَ مِنَ الأَمْوَاتِ!» (مرقس 6: 14-16). وعندما سأل يسوع تلاميذه عما يقول الناس أنه هو: فَأَجَابُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ. وَآخَرُونَ إِيلِيَّا. وَآخَرُونَ إِنَّ نَبِيّاً مِنَ الْقُدَمَاءِ قَامَ» (لوقا 9:19). وعندما أقام يسوع الشاب الميت في بلدة نايين: فَأَخَذَ الْجَمِيعَ خَوْفٌ وَمَجَّدُوا اللهَ قَائِلِينَ: «قَدْ قَامَ فِينَا نَبِيٌّ عَظِيمٌ وَافْتَقَدَ اللهُ شَعْبَهُ» (لوقا 7: 16). *وَلَمَّا دَخَلَ أُورُشَلِيمَ ارْتَجَّتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا قَائِلَةً: «مَنْ هَذَا؟» *فَقَالَتِ الْجُمُوعُ: «هَذَا يَسُوعُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ نَاصِرَةِ الْجَلِيلِ» (متَّى 21: 10-11). وقال الفريسيون ورؤساء الكهنة لأحد

محاوريهم وكان مؤمناً بيسوع: «أَلَعَلَّكَ أَنْتَ أَيْضاً مِنَ الْجَلِيلِ؟ فَتِّشْ وَانْظُرْ! إِنَّهُ لَمْ يَقُمْ نَبِيٌّ مِنَ الْجَلِيلِ» (يوحنا 7: 52). وقالت له المرأة السامرية التي طلب منها عند البئر شربة ماء: يَا سَيِّدُ أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ! (يوحنا 4: 19). وعندما قبل يسوع العطر من المرأة الخاطئة، قال صاحب البيت في نفسه: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيّاً لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ» (لوقا 7: 39). وعندما فتح الأعمى عينيه قالوا له: «مَاذَا تَقُولُ أَنْتَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ فَتَحَ عَيْنَيْكَ؟» فَقَالَ: «إِنَّهُ نَبِيٌّ» (يوحنا 9: 17). وفي سفر أعمال الرُسُل يقرن بطرس الرسول يسوع بموسى، مقتبساً من العهد القديم قول موسى:...إِنَّ نَبِيّاً مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ فِي كُلِّ مَا يُكَلِّمُكُمْ بِهِ (أعمال 3: 22).

وعندما يستخدم النص الإنجيلي كلمة "النبي" عوضاً عن "نبي"، فإنه يشير بذلك إلى النبي الذي سيبعث في آخر الأزمنة عند حلول يوم الرب، والذي سيتجسد فيه إيليا النبي الذي رُفع حياً إلى السماء، على ما تفيد نبوءة سفر ملاخي: *هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ *فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ (ملاخي 4: 5-6). *وَهَذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا حِينَ أَرْسَلَ الْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلاَوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ: «مَنْ أَنْتَ؟» *فَاعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ وَأَقَرَّ أَنِّي لَسْتُ أَنَا الْمَسِيحَ. *فَسَأَلُوهُ: «إِذاً مَاذَا؟ إِيلِيَّا أَنْتَ؟» فَقَالَ: «لَسْتُ أَنَا». «أَلنَّبِيُّ أَنْتَ؟» فَأَجَابَ: «لاَ» (يوحنا 1: 19-21). ولهذا أيضاً أرسل يوحنا المعمدان من سجنه إلى يسوع يسأله، وقد اعتقد أنه النبي الآتي: *أَنْتَ هُوَ الآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ؟» *وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ شَفَى كَثِيرِينَ مِنْ أَمْرَاضٍ وَأَدْوَاءٍ وَأَرْوَاحٍ شِرِّيرَةٍ وَوَهَبَ الْبَصَرَ لِعُمْيَانٍ كَثِيرِينَ. *فَأَجَابَ يَسُوعُ: «اذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا رَأَيْتُمَا وَسَمِعْتُمَا: إِنَّ الْعُمْيَ يُبْصِرُونَ وَالْعُرْجَ يَمْشُونَ وَالْبُرْصَ يُطَهَّرُونَ وَالصُّمَّ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَقُومُونَ وَالْمَسَاكِينَ يُبَشَّرُونَ (لوقا 7: 20-22). وإلى هذه الشخصية أيضاً أشار إنجيل يوحنا عندما وضع على لسان الذين رأوا معجزة تكثير الخبز والسمك: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» (يوحنا 6: 14).

وكما كان أنبياء العهد القديم يتنبؤون حين تحل عليهم روح الرب، كذلك كانت بعض أحوال يسوع. فقد قال أمام المجتمعين في مجمع الناصرة: *«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ (لوقا 4: 18). وفي موضع آخر نقرأ عن تلك الحالة: وَفِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَهَلَّلَ يَسُوعُ بِالرُّوحِ وَقَالَ: «أَحْمَدُكَ أَيُّهَا الآبُ رَبُّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لأَنَّكَ أَخْفَيْتَ هَذِهِ عَنِ الْحُكَمَاءِ وَالْفُهَمَاءِ وَأَعْلَنْتَهَا لِلأَطْفَالِ. نَعَمْ أَيُّهَا الآبُ لأَنْ هَكَذَا صَارَتِ الْمَسَرَّةُ أَمَامَكَ» (لوقا 10: 21). وهو لم يشرع في كرازته إلا بعد حلول روح الرب عليه. وعلى حد قول يوحنا المعمدان: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ الرُّوحَ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ مِنَ السَّمَاءِ فَاسْتَقَرَّ عَلَيْهِ (يوحنا 1: 32).

إن إطلاق لقب النبي على يسوع كان له ما يسوّغه من وجهة نظر الذين شهدوا أعماله ومعجزاته. فهذه الأعمال كانت تنسج على غرار أعمال أنبياء العهد القديم الكبار من أمثال إيليا وأليشع، ولم تكن بالجديدة على التقوى الدينية للمنطقة. فالنبي إيليا أنزل ناراً من السماء أكلت جنود ملك السامرة (الملوك الثاني 1: 9-11)؛ وأنزل من السماء مطراً أنهى بها فترة جفاف طويلة (الملوك الأول 18)؛ وعندما كان يعتزل في البرية كانت الغربان تأتي له بالطعام (الملوك الأول 17: 2-6). وعندما أقام لدى امرأة أرملة في بلدة صرفة زمن المجاعة، كانت أوعية الدقيق والزيت تمتلئ كلما نفذت. ولما مات ابن هذه الأرملة أعاده إيليا إلى الحياة (الملوك الأول 17: 10-24)؛ وعندما أراد عبور نهر الأردن مع تلميذه أليشع، ضرب الماء بردائه فانشق ومشى الاثنان على اليابسة (الملوك الثاني 2: 7-8). وبعد ذلك ارتفع إيليا إلى السماء مثلما ارتفع يسوع، وجاءت مركبة من نار تجرّها خيول من نار فأصعدته على جناح العاصفة حياً إلى السماء (الملوك الثاني 2: 11-12). ومن أعمال أليشع أنه جعل الحديد يطفو على سطح الماء (الملوك الثاني 6: 5-7)؛ وزاد زيت المرأة التي توفي زوجها حديثاً، حتى إنها ملأت منه كل أوعية المنزل واستعارت أوعية من الجيران أيضاً، فباعته وقضت ديون زوجها (الملوك الثاني 4: 1-7)؛ وعندما كان في ضيافة أسرة في بلدة شونم، مات ابنهم الوحيد فأعاده إلى الحياة (الملوك الثاني 4: 8-37)؛ وجاءه رجل بعشرين رغيفاً فأطعم منها مئة شخص وزاد عنهم (الملوك الثاني 4: 42-43)؛ وكان يشفي من المرض عن طريق غمر المريض في ماء الأردن (الملوك الثاني 5: 8-14). أي إن معجزات يسوع التي بلغت أوجها في إحياء الموتى، كانت في العرف السائد في ذلك الزمن معجزات يجترحها نبي بتأييد من روح الله، لا شخص قادم من العالم الماورائي.

وفي الحقيقة، فإن الطابع النبوي لتعاليم يسوع يبدو لنا واضحاً منذ كرازته الأولى. فكما كان يوحنا المعمدان يكرز بقرب حلول اليوم الأخير قائلاً: تُوبُوا لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّماوَاتِ. (متَّى 3: 1-2)، كذلك كانت الكرازة الأولى ليسوع: *وَبَعْدَ مَا أُسْلِمَ يُوحَنَّا جَاءَ يَسُوعُ إِلَى الْجَلِيلِ يَكْرِزُ بِبِشَارَةِ مَلَكُوتِ اللَّهِ *وَيَقُولُ: «قَدْ كَمَلَ الزَّمَانُ وَاقْتَرَبَ مَلَكُوتُ اللَّهِ فَتُوبُوا وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ» (مرقس 1: 14-15). أي إنه اعتبر رسالته مكملة لرسالة يوحنا النبوية، الذي كان يُعمد من أجل التوبة، ومغفرة الخطايا، ويبشر بقرب حلول ملكوت الله.

ولقد حاز ملكوت السماء والمتطلبات الأخلاقية لدخوله على القسم الأعظم من تعاليم يسوع في الأناجيل الإزائيَّة الثلاثة متَّى ومرقس ولوقا؛ حيث ورد تعبير "ملكوت الله" أو "ملكوت السماوات" نحو ثمانين مرة، الأمر الذي أسبغ على رسالة يسوع طابعاً آخروياً طاغياً. وحتى بعد قيامته من بين الأموات، بقيت تعاليمه تدور حول هذا المفهوم، على ما نفهم من سفر أعمال الرسل الذي قال مؤلفه إن يسوع بقي يظهر لتلاميذه مدة أربعين يوماً وهو يتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله (أعمال 1: 1-3).

أخيراً، فإن لقب النبي لم يكن غائباً عن الأناجيل المنحولة التي ذكرته أكثر من مرة، ومن بينها ما ورد في إنجيل العبرانيين، الذي تداولته الشيع المسيحية - اليهودية، مثل الإبيونيين والنصارى، وهو إنجيل ضائع بقيت منه شذرات أوردها المؤلفون المسيحيون، ومنها هذه الشذرة التي تصف لحظة خروج يسوع من ماء العماد، وحلول الروح القدس عليه: "وحدث عندما خرج يسوع من الماء أن مَعين الروح القدس هبط واستقر عليه، وقال له: "أي بُني. من بين كل الأنبياء كنت أنتظر قدومك لتكون فيك مسرتي".

9

ناسوت عيسى

2- عيسى الرسول/عبدالله

عيسى الرسول:

"وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ...." (61 الصفّ: 6). "مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ...." (5 المائدة: 75). "وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ* وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ....*" (3 آل عمران: 47-48).

تؤكد هذه الآيات أن عيسى هو مجرد إنسان اختصه الله بالنبوة والرسالة، شأنه في ذلك شأن الرسل السابقين واللاحقين عليه. ولكن الله فضّله على هؤلاء الرسل، فجعله "آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" من خلال واقعة الميلاد العذري، وأيّده بروح القدس: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...." (2 البقرة: 253).

لم ترد صفة الرسول لـ عيسى في العهد الجديد إلا مرة واحدة، وذلك في رسالة بولس إلى العبرانيين: *مِنْ ثَمَّ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْقِدِّيسُونَ، شُرَكَاءُ الدَّعْوَةِ السَّمَاوِيَّةِ، لاَحِظُوا رَسُولَ اعْتِرَافِنَا وَرَئِيسَ كَهَنَتِهِ الْمَسِيحَ يَسُوعَ، *حَالَ كَوْنِهِ أَمِيناً لِلَّذِي أَقَامَهُ (الله)، كَمَا كَانَ مُوسَى أَيْضاً فِي كُلِّ بَيْتِهِ (العبرانيين 3: 1-2). وتعلق الترجمة الكاثوليكية الجديدة على هذا المقطع بقولها: "يسوع هو رسول الله، أرسله ليكون معلماً لهم ومخلّصاً. وهو حبر لأنه الوسيط بين الله وبينهم".

على أن يسوع قد أشار إلى نفسه عدة مرات على أنه مرسل من قبل الله لينطق بكلمته بين الناس، على ما تبينه المقتبسات التالية: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ (لوقا4: 18). مَشِيئَةَ الآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 5: 30) *....الأَعْمَالَ الَّتِي أَعْطَانِي الآبُ لِأُكَمِّلَهَا هَذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي. *وَالآبُ نَفْسُهُ الَّذِي أَرْسَلَنِي يَشْهَدُ لِي (يوحنا 5: 36-37).

هَذَا هُوَ عَمَلُ اللَّهِ: أنْ تُؤْمِنُوا بِالّذِي هُوَ أرْسَلَهُ (يوحنا 6: 29). *فَتَعَجَّبَ الْيَهُودُ قَائِلِينَ: «كَيْفَ هَذَا يَعْرِفُ الْكُتُبَ وَهُوَ لَمْ يَتَعَلَّمْ؟» *أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي. *إِنْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَعْمَلَ مَشِيئَتَهُ يَعْرِفُ التَّعْلِيمَ هَلْ هُوَ مِنَ اللَّهِ أَمْ أَتَكَلَّمُ أَنَا مِنْ نَفْسِي. *مَنْ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ يَطْلُبُ مَجْدَ نَفْسِهِ وَأَمَّا مَنْ يَطْلُبُ مَجْدَ الَّذِي أَرْسَلَهُ فَهُوَ صَادِقٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمٌ. (يوحنا 7: 15-18). وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ (يوحنا 7: 28). فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضاً: «سَلاَمٌ لَكُمْ. كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ أُرْسِلُكُمْ أَنَا» (يوحنا 20: 21).

إن الرسول باعتباره حلقة وصل بين الله والبشر، لا يتكلم من عنده، وإنما ينقل كلمة الله ورسالته إلى الناس. ويسوع يتحدث عن وضعه الرسولي هذا باعتباره ناقلاً للوحي الإلهي في هذه المقتبسات: لأَنّي لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنْ نَفْسِي لَكِنَّ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ أَعْطَانِي وَصِيَّةً: مَاذَا أَقُولُ وَبِمَاذَا أَتَكَلَّمُ (يوحنا 12: 49)... وَالْكَلاَمُ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ لِي بَلْ لِلآبِ الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 14: 24). أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كلاَمَكَ وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ (يوحنا 17: 14). أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذَلِكَ تَقْبَلُونَهُ (يوحنا 5: 43). لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ (يوحنا 5: 19). الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 12: 44).

عبد الله:

يدعى عيسى في القرآن بعبد الله، وذلك بمعنى المستسلم له، المقدم فروض الطاعة له، المنفّذ لمشيئته: "قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً" (19 مريم: 30). "لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْداً لِّلّهِ وَلاَ الْمَلآئِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ..." (4 النساء: 172). "إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ" (43 الزخرف: 64). "إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ." (43 الزخرف: 59).

وقد استخدم القرآن، بهذا المعنى، صفة العبد لجميع الأنبياء: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا" (18 الكهف: 1). "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً" (25 الفرقان: 1). "وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" (38 ص: 30). "ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً" (17 الإسراء: 3). "اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (38 ص: 17).

كما أشار كتاب العهد القديم أيضاً. بهذه الصفة إلى الأنبياء الكتابيين: *وَاخْتَارَ دَاوُدَ عَبْدَهُ وَأَخَذَهُ مِنْ حَظَائِرِ الْغَنَمِ. *مِنْ خَلْفِ الْمُرْضِعَاتِ أَتَى بِهِ لِيَرْعَى يَعْقُوبَ شَعْبَهُ وَإِسْرَائِيلَ مِيرَاثَهُ (مزمور 78: 70-71). يَا ذُرِّيَّةَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدِهِ يَا بَنِي يَعْقُوبَ مُخْتَارِيهِ (المزمور 105: 6). أَرْسَلَ مُوسَى عَبْدَهُ وَهَارُونَ

الّذِي اخْتَارَهُ (المزمور 105: 26)....وَالْحَلْفَ الْمَكْتُوبَ فِي شَرِيعَةِ مُوسَى عَبْدِ اللَّهِ لأَنَّنَا أَخْطَأْنَا إِلَيْهِ (دانيال 9: 11).

لم يوصف يسوع بعبد الله في أسفار العهد الجديد، ولكن لما كانت صفة العبد مشتقة من العبادة والطاعة لله، فقد كان يسوع بهذا المعنى عبداً لله، نراه منصرفاً إلى الصلاة والعبادة في معزل عن تلاميذه، وفي كل ظرف دقيق من ظروف حياته. والمقتبسات التالية تظهر تشديد الأناجيل على كون يسوع رجل صلاة:

*وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضاً. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ *وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ.... (لوقا 3: 21-22). وَفِي الصُّبْحِ بَاكِراً جِدّاً قَامَ وَخَرَجَ وَمَضَى إِلَى مَوْضِعٍ خَلاَءٍ وَكَانَ يُصَلِّي هُنَاكَ (مرقس 1: 35). *وَلِلْوَقْتِ أَلْزَمَ تَلاَمِيذَهُ أَنْ يَدْخُلُوا السَّفِينَةَ وَيَسْبِقُوا إِلَى الْعَبْرِ إِلَى بَيْتِ صَيْدَا حَتَّى يَكُونَ قَدْ صَرَفَ الْجَمْعَ. *وَبَعْدَمَا وَدَّعَهُمْ مَضَى إِلَى الْجَبَلِ لِيُصَلِّيَ. *وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ كَانَتِ السَّفِينَةُ فِي وَسَطِ الْبَحْرِ وَهُوَ عَلَى الْبَرِّ وَحْدَهُ. (مرقس 6: 45-47) *....فَاجْتَمَعَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ لِكَيْ يَسْمَعُوا وَيُشْفَوْا بِهِ مِنْ أَمْرَاضِهِمْ. *وَأَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْتَزِلُ فِي الْبَرَارِي وَيُصَلِّي (لوقا 5: 15-16) *....أَخَذَ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبَ وَصَعِدَ إِلَى جَبَلٍ لِيُصَلِّيَ. *وَفِيمَا هُوَ يُصَلِّي صَارَتْ هَيْئَةُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرَةً وَلِبَاسُهُ مُبْيَضّاً لاَمِعاً. *وَإِذَا رَجُلاَنِ يَتَكَلَّمَانِ مَعَهُ وَهُمَا مُوسَى وَإِيلِيَّا (لوقا 9: 28-30). وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي فِي مَوْضِعٍ لَمَّا فَرَغَ قَالَ وَاحِدٌ مِنْ تَلاَمِيذِهِ: «يَا رَبُّ عَلِّمْنَا أَنْ نُصَلِّيَ كَمَا عَلَّمَ يُوحَنَّا أَيْضاً تَلاَمِيذَهُ» (لوقا 11: 1).

من هذه المقتبسات نلاحظ أن يسوع كان على الدوام يصلي منفرداً وبعيداً عن الناس، وبطريقة لا تشبه الصلاة الطقسية اليهودية. فصلاته كانت توحداً صوفياً بالله، عن طريق التأمل والمعرفة الباطنية، لا عن طريق القرابين الحيوانية، والمحارق التي كان اليهود يصعدونها على مذبح الهيكل. ولا يوجد في الأناجيل ما يدل على أن يسوع قد صلّى في الهيكل اليهودي، أو أنه مارس طقس القرابين الحيوانية. وعندما علّم تلاميذه الصلاة المسيحية: *"أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. *لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ...."(متى 6: 9-10)، نصحهم بالصلاة الانفرادية في خلوتهم بعيداً عن الأعين، عندما قال لهم: وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ (متّى 6: 6).

في آخر صلاة له قبل أن يلقى القبض عليه، عبَّر يسوع أفضل تعبير عن وعيه لعلاقته بالآب، التي تميزت بالطاعة المطلقة والخضوع للمشيئة الربانية: *وَخَرَجَ وَمَضَى كَالْعَادَةِ إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ وَتَبِعَهُ أَيْضاً تَلاَمِيذُهُ. *وَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَكَانِ قَالَ لَهُمْ: «صَلُّوا لِكَيْ لاَ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ». *وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى *قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِتَكُنْ لاَ إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ». *وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ

السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. *وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ. *ثُمَّ قَامَ مِنَ الصَّلاَةِ وَجَاءَ إِلَى تَلاَمِيذِهِ فَوَجَدَهُمْ نِيَاماً مِنَ الْحُزْنِ. *فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا أَنْتُمْ نِيَامٌ؟ قُومُوا وَصَلُّوا لِئَلاَّ تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (لوقا 22: 39-46).

لقد وضع يسوع نفسه رهن المشيئة الإلهية، وأطاع حتى الموت، موت الصليب، على حد تعبير بولس الرسول في رسالته إلى أهالي فيليبي 2: 8، مستحقاً بذلك لقب "البار" الذي يُطلقه عليه سفر أعمال الرسل، بمعنى "التقي" و "الصالح": "وَلَكِنْ أَنْتُمْ[47] أَنْكَرْتُمُ الْقُدُّوسَ الْبَارَّ[48] وَطَلَبْتُمْ أَنْ يُوهَبَ لَكُمْ رَجُلٌ قَاتِلٌ[49] (أعمال 3: 14). وفي خطبة استيفانوس الذي رجمه اليهود وكان أول شهيد في المسيحية، يقول: ...... *أَيُّ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَضْطَهِدْهُ آبَاؤُكُمْ وَقَدْ قَتَلُوا الَّذِينَ سَبَقُوا فَأَنْبَأُوا بِمَجِيءِ الْبَارِّ الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ صِرْتُمْ مُسَلِّمِيهِ وَقَاتِلِيهِ (أعمال 7: 51-52). ويقول حنانيا لبولس في دمشق بعد أن أعاد إليه بصره: إِلَهُ آبَائِنَا انْتَخَبَكَ لِتَعْلَمَ مَشِيئَتَهُ وَتُبْصِرَ الْبَارَّ وَتَسْمَعَ صَوْتاً مِنْ فَمِهِ (أعمال 22: 14).

ولعلنا واجدين أوضح صورة ليسوع كعبد لله، في الصلة التي عقدتها الأناجيل بين شخصية "العبد البار" في كتاب العهد القديم وشخصية يسوع. وهذا العبد البار عبارة عن شخصية ضبابية تظهر على ما يبدو نحو نهاية الأزمنة، واقترنت تدريجياً بشخصية مسيح العهد القديم، مع فارق كبير، وهو أن العبد البار لا يسير في طريق الانتصارات العسكرية، بل يحيا حياة الطاعة الأمينة، فيأخذ على عاتقه وهو البريء ثقل خطايا الشعب، ويخلصهم بفضل ما يتكبده من آلام. وهو إلى ذلك ينشر العدل في الأرض ويحمل البشرى للمساكين.

نقرأ في سفر إشعياء على لسان إله العهد القديم: *هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. *لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. *قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. *لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ وَتَنْتَظِرُ الْجَزَائِرُ شَرِيعَتَهُ. *هَكَذَا يَقُولُ اللَّهُ الرَّبُّ خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَنَاشِرُهَا بَاسِطُ الأَرْضِ وَنَتَائِجِهَا مُعْطِي الشَّعْبِ عَلَيْهَا نَسَمَةً وَالسَّاكِنِينَ فِيهَا رُوحاً. *أَنَا الرَّبَّ قَدْ دَعَوْتُكَ بِالْبِرِّ فَأُمْسِكُ بِيَدِكَ وَأَحْفَظُكَ وَأَجْعَلُكَ عَهْداً لِلشَّعْبِ وَنُوراً لِلأُمَمِ *لِتَفْتَحَ عُيُونَ الْعُمْيِ لِتُخْرِجَ مِنَ الْحَبْسِ الْمَأْسُورِينَ مِنْ بَيْتِ السِّجْنِ الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ (إشعياء 42: 1-7).

وفي موضع آخر من سفر إشعياء، نجد هذا العبد البار يتحدث عن نفسه بألفاظ مشابهة: *رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَعْصِبَ مُنْكَسِرِي الْقَلْبِ لأُنَادِيَ لِلْمَسْبِيِّينَ بِالْعِتْقِ وَلِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ. *لأُنَادِيَ بِسَنَةٍ مَقْبُولَةٍ لِلرَّبِّ وَبِيَوْمِ انْتِقَامٍ لإِلَهِنَا (إشعياء 61: 1-2).

وقد قرن يسوع نفسه بهذا العبد البار الذي يتحدث عنه سفر إشعياء عندما: *وَجَاءَ إِلَى النَّاصِرَةِ حَيْثُ كَانَ قَدْ تَرَبَّى. وَدَخَلَ الْمَجْمَعَ حَسَبَ عَادَتِهِ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَامَ لِيَقْرَأَ *فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوباً فِيهِ: *«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ولِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ *وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ». *ثُمَّ طَوَى السِّفْرَ وَسَلَّمَهُ إِلَى الْخَادِمِ وَجَلَسَ. وَجَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْمَجْمَعِ كَانَتْ عُيُونُهُمْ شَاخِصَةً إِلَيْهِ. *فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هَذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ». (أي تم في شخص يسوع). (لوقا 4: 16-21).

ونقرأ أيضاً في سفر إشعياء عن العبد البار: *هُوَذَا عَبْدِي يَعْقِلُ يَتَعَالَى وَيَرْتَقِي وَيَتَسَامَى جِدّاً. *كَمَا انْدَهَشَ مِنْكَ كَثِيرُونَ. كَانَ مَنْظَرُهُ كَذَا مُفْسَداً أَكْثَرَ مِنَ الرَّجُلِ وَصُورَتُهُ أَكْثَرَ مِنْ بَنِي آدَمَ. *هَكَذَا يَنْضِحُ أُمَماً كَثِيرِينَ. مِنْ أَجْلِهِ يَسُدُّ مُلُوكٌ أَفْوَاهَهُمْ لأَنَّهُمْ قَدْ أَبْصَرُوا مَا لَمْ يُخْبَرُوا بِهِ وَمَا لَمْ يَسْمَعُوهُ فَهِمُوهُ (إشعياء 52: 13-15). *مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ *نَبَتَ قُدَّامَهُ كَفَرْخٍ وَكَعِرْقٍ مِنْ أَرْضٍ يَابِسَةٍ لاَ صُورَةَ لَهُ وَلاَ جَمَالَ فَنَنْظُرَ إِلَيْهِ وَلاَ مَنْظَرَ فَنَشْتَهِيهِ. *مُحْتَقَرٌ وَمَخْذُولٌ مِنَ النَّاسِ رَجُلُ أَوْجَاعٍ وَمُخْتَبِرُ الْحُزْنِ وَكَمُسَتَّرٍ عَنْهُ وُجُوهُنَا مُحْتَقَرٌ فَلَمْ نَعْتَدَّ بِهِ. *لَكِنَّ أَحْزَانَنَا حَمَلَهَا وَأَوْجَاعَنَا تَحَمَّلَهَا. وَنَحْنُ حَسِبْنَاهُ مُصَاباً مَضْرُوباً مِنَ اللَّهِ وَمَذْلُولاً. *وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا (53: 1-5).

ولقد قرن يسوع نفسه بهذا العبد البار المتألم الذي سكب للموت نفسه، عندما ابتدأ يُعلم تلاميذه بأن: وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. (مرقس 8: 31). كما توقع أن يُحصى مع أثمة كما أحصي العبد البار مع أثمة في سفر إشعياء أعلاه، عندما قال: لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَتِمَّ فِيَّ أَيْضاً هَذَا الْمَكْتُوبُ: وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ (لوقا 22: 37). وعندما صُلب عن يمين ويسار يسوع اثنان من اللصوص، استحضر إنجيل مرقس الآية إياها من سفر إشعياء وقال: ..... *فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ» (مرقس 15: 27-28).

وكما إن هذا العبد البار يحمل خطيئة الناس ويخلصهم من آثامهم، كذلك هو يسوع الذي يعني اسمه "خلاص يهوه"، والذي قال فيه الملاك عندما جاء يوسف بالبشارة: *«يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. *فَسَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (متّى 1: 20-21).

والعبد البار الذي قال فيه إشعياء في المقتبس السابق إنه: كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. والذي جعل نفسه ذبيحة إثم، هو يسوع أيضاً كما يراه مؤلف إنجيل يوحنا الذي أطلق عليه لقب "حَمَل الله". فعندما رأى يوحنا المعمدان يسوع لأول مرة أشار إليه قائلاً: هُوَذَا

حَمَلُ اللَّهِ الّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ (يوحنا 1: 29). وكاستكمال لرمزية "حمل الله" فقد جعل مؤلف إنجيل يوحنا موت يسوع بعد ظهر اليوم السابق لعيد الفصح اليهودي، أي في الوقت نفسه الذي كان اليهود يريقون دم حمل عيد الفصح من أجل مغفرة الخطايا، مؤسساً بذلك للفكرة التي نضجت فيما بعد في اللاهوت المسيحي عن معنى موت يسوع باعتباره تحريراً للإنسانية من الخطيئة ومن الموت.

وفي المزمور 22، لدينا صورة نابضة بالحياة للعبد البار المتألم: *إِلَهِي! إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي بَعِيداً عَنْ خَلاَصِي عَنْ كَلاَمِ زَفِيرِي؟... *أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ كَثِيرَةٌ. أَقْوِيَاءُ بَاشَانَ اكْتَنَفَتْنِي. *فَغَرُوا عَلَيَّ أَفْوَاهَهُمْ كَأَسَدٍ مُفْتَرِسٍ مُزَمْجِرٍ. *كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ. انْفَصَلَتْ كُلُّ عِظَامِي. صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي....*لأَنَّهُ قَدْ أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ. جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. *أُحْصِي كُلَّ عِظَامِي وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَيَتَفَرَّسُونَ فِيَّ. *يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ (مزمور 22: 1-18).

نلاحظ من قراءة هذا المزمور أن مؤلفي الأناجيل قد عقدوا ثلاث مقارنات بين هذا العبد البار المتألم ويسوع المسيح. فيسوع ينطق قبل أن يلفظ الروح بالعبارة نفسها الواردة في مطلع المزمور: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟ (مرقس 15: 34). ويدا يسوع ورجلاه تثقبان من أجل تثبيته على الصليب، مثلما ثقبت يدا ورجلا العبد البار... وبعد أن عرى الجنود يسوع وسمروه على الصليب: وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا: مَاذَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ؟ (مرقس 15: 24)، مثلما اقترع خصوم العبد البار على ثيابه. وفي هذا الموضع يضيف إنجيل يوحنا: لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «اقْتَسَمُوا ثِيَابِي بَيْنَهُمْ وَعَلَى لِبَاسِي أَلْقَوْا قُرْعَةً» (يوحنا 19: 24).

ويُجري مؤلف إنجيل يوحنا عدداً آخر من المقارنات بين مقاطع من العهد القديم يُفهم منها إشارة إلى العبد البار، وما حدث ليسوع وهو على الصليب. فعندما قال يسوع "أنا عطشان"، وضع الجنود اسفنجة مبللة بالخل ورفعوها على قضيب فأدنوها من فمه؛ فلما ذاق يسوع الخل قال: ... «قَدْ أُكْمِلَ». وَنَكَّسَ رَأْسَهُ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ (يوحنا 19:30). ويوحنا هنا يشير إلى ما ورد في المزمور 69: وَيَجْعَلُونَ فِي طَعَامِي عَلْقَماً وَفِي عَطَشِي يَسْقُونَنِي خَلاًّ (69: 21). وعندما سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقان المصلوبين من أجل التعجيل بموتهم، جاء الجنود وكسروا ساقي اللص الأول والثاني: «*وَأَمَّا يَسُوعُ فَلَمَّا جَاءُوا إِلَيْهِ لَمْ يَكْسِرُوا سَاقَيْهِ لأَنَّهُمْ رَأَوْهُ قَدْ مَاتَ. *لَكِنَّ وَاحِداً مِنَ الْعَسْكَرِ طَعَنَ جَنْبَهُ بِحَرْبَةٍ وَلِلْوَقْتِ خَرَجَ دَمٌ وَمَاءٌ (يوحنا 19: 33-34). وهنا يعلق يوحنا قائلاً: *لأَنَّ هَذَا كَانَ لِيَتِمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «عَظْمٌ لاَ يُكْسَرُ مِنْهُ». *وَأَيْضاً يَقُولُ كِتَابٌ آخَرُ: «سَيَنْظُرُونَ إِلَى الَّذِي طَعَنُوهُ». (يوحنا 19: 36-37) ويوحنا يشير هنا إلى المزمور 34: *كَثِيرَةٌ هِيَ بَلاَيَا الصِّدِّيقِ وَمِنْ جَمِيعِهَا يُنَجِّيهِ الرَّبُّ. *يَحْفَظُ جَمِيعَ عِظَامِهِ. وَاحِدٌ مِنْهَا لاَ يَنْكَسِرُ (19-20). كما يشير أيضاً إلى ما ورد

في سفر زكريا: فَيَنْظُرُونَ إِلَيَّ الّذِي طَعَنُوهُ وَيَنُوحُونَ عَلَيْهِ كَنَائِحٍ عَلَى وَحِيدٍ لَهُ (زكريا 12: 10).

ناسوت عيسى

3- يسوع الرب/المعلّم

لقد عبَّرت الرواية القرآنية عن ناسوت عيسى بجملة بليغة مختصرة، عندما قالت إنه وأمه "كانا يأكلان الطعام". ثم أسبغت عليه ألقاباً تضعه في زمرة الشخصيات الدينية الإنسانية، التي أقامها الله وسيطاً بينه وبين بني الإنسان لإبلاغهم رسالته، فهو "نبي" و "رسول" و "عبد الله". وقد بيَّنَّا أن هذه الألقاب ليست من ابتكار القرآن، وإنما تم إطلاقها من قبلُ على يسوع في أسفار العهد الجديد.

ولسوف نلتفت الآن إلى معالجة لقب إشكالي انفرد به العهد الجديد، وهو لقب "الرب". فعلى الرغم من أن معظم الناس يعتقدون بأن هذا اللقب يُعبِّر عن "لاهوت" يسوع وطبيعته الفائقة، حيث تختلط في أذهانهم كلمة "الرب" بكلمة "الإله"، إلا أنني سوف أحاول فيما يلي تبيين الطبيعة الحقيقية للقب، من أجل إظهار عكس الاعتقاد الشائع.

تنبع إشكالية لقب "الرب" في ذهن القارئ العربي للعهد الجديد، من أن هذه الكلمة وتنويعاتها (ربي، ربكم... إلخ) قد استُخدمت في القرآن للإشارة إلى الله تعالى في نحو 400 آية من آيات الكتاب، الأمر الذي جعلها مرادفة لكلمة الإله لدى معظم الناس. أما المعنى القاموسي لها فيدل على السيد، والمالك، والقيم، والمنعم، والمدبر. أي إنها من حيث الأصل تتضمن معنى السيادة والسلطان في العلاقات الاجتماعية، ثم انعكست على العلاقة بين الإله والبشر، باعتباره السيد الأعلى، والسلطان المطلق على العالم الإنساني والطبيعي. فالربوبية والحالة هذه هي مصطلح دنيوي جرى عكسه على العالم الميتافيزيقي، للإشارة إلى نوع العلاقة القائمة على السيادة والسلطان بين عالم الألوهة وعالم الإنسان. وينجم عن ذلك أن الكائن القدسي هو رب من حيث صلته بالخليقة، وإله من حيث طبيعته المفارقة للعالم. إن الإله هو رب بالضرورة، ولكن ليس كل رب إلهاً، لأن كل صاحب سلطان على الأرض هو رب بمعنى ما (رب الأسرة، رب العمل، وما إلى ذلك)، ولكن الإله هو الكائن الذي تنتهي عنده سلسلة الربوبية، وما من رب بعده.

ولدينا في اللغة العربية أيضاً كلمة أخرى تتضمن معنى السيادة والسلطان في العلاقات الاجتماعية، ولكنها استُخدمت في وصف العلاقة بين الله ومخلوقاته، وهي كلمة "المولى". وبصيغة المخاطبة نقول "مولاي" و "مولانا"، بمعنى سيدنا وولي أمرنا. والكلمة تستخدم عادةً لمخاطبة ذوي الشأن الرفيع في المجتمع، مثل الملوك والأمراء والسلاطين، كما يستخدمها العبيد في التوجه بالخطاب إلى أسيادهم، ولكنها وردت في القرآن في معرض مخاطبة المؤمنين لله تعالى: "...رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا... وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" (2 البقرة: 286).

ونحن إذا نظرنا إلى كلمة "الرب" في اللغات الساميَّة الأخرى، نجدها تحمل المعنى نفسه، ويمكن لنا ترجمتها إما بالسيد أو بالرب. فكلمة "بعل" في اللهجات الكنعانية تعني "السيد"، أرضياً كان أم سماوياً، ومثلها كلمة "آدون"، لذلك كان إله الخصب "هدد" يلقب إما بالبعل أو بآدون، ومن الأخيرة جاءت التسمية "أدونيس" التي أطلقها الإغريق على الإله السوري. وفي الآرامية والسريانية والعبرية يجري استخدام كلمة "أدون" وكلمة "مار" بمعنى السيد أو الرب. فكان ملوك آرام يُخاطبون بلقب "ماري"، أي ربي وسيدي. وكان العبرانيون يكتبون اسم إلههم في أسفارهم المقدسة "يهوه"، ولكنهم في قراءتهم لهذه الأسفار كانوا يلفظون الاسم "أدون" أو "مار" تهيباً من التلفظ باسم الجلالة. وفي الإشارة إلى إلههم كانوا يقولون "أدوناي" أي ربي وسيدي، ويقولون أيضاً "ماري" بالمعنى نفسه. ولا أدلَّ على الأصل الدنيوي لهذه الصيغة في الخطاب، من أنها كانت تُستخدم لإظهار الاحترام للشخصيات المتميزة. فقد عثر في فلسطين على مقابر تعود إلى الحقبة الهيلينستية، وفيها نقوش يدعو فيها الابن أباه المتوفى "آبا ماري" أي ربي أبي. وكان يهود بابل الذين أنتجوا التلمود البابلي يدعون المعلمين الدينيين بلقب "مار"، بينما استخدم اليهود الفلسطينيين لقب "رابون" أو "رابان" المستمدة من كلمة "رب" العبرانية، التي تدل على شخص في موقع السلطة. وقد استخدم السريان المسيحيون أيضاً كلمة "مار" كلقب للشخصيات الروحية المتميزة، فقالوا: مار جاورجيوس، ومار إلياس، ومار سمعان، وما إلى ذلك.

في الترجمات اليونانية لكتاب العهد القديم، استخدم المترجمون كلمة "كوريوس - Kurios" اليونانية، والتي تعني "السيد"، كمقابل للكلمة العبرانية "مار" أو "أدون". أما الترجمات العربية فقد استخدمت كلمة "رب" أحياناً وكلمة "سيد" أحياناً أخرى، بينما التزمت الترجمات الإنكليزية كلمة "لورد - Lord".

مزودين بهذه الخلفية العامة، نستطيع الآن فهم أبعاد كلمة "رب" في الترجمات العربية للعهد الجديد. ففي اللغة الأصلية لأسفار العهد الجديد، وهي اليونانية القديمة، استخدم المؤلفون كلمة "كوريوس - Kurios"، أي السيد والرب، كلقب استخدمه التلاميذ والغرباء في مخاطبة يسوع. ولننظر

الآن إلى نماذج من خطاب الغرباء ليسوع ممن لم يكونوا يرون فيه إلا رجلاً مباركاً أو نبياً من الأنبياء، وإلى الكيفية التي تعاملت بها الترجمات العربية مع هذه الكلمة. فعندما تقدم منه أحد المجذومين طالباً الشفاء قال له: «يَا سَيِّدُ[50] إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي» (لوقا 5: 12). وعندما رجاه ضابط روماني أن يشفي غلامه قال له: يَا سَيِّدُ[51] لَسْتُ مُسْتَحِقّاً أَنْ تَدْخُلَ تَحْتَ سَقْفِي لَكِنْ قُلْ كَلِمَةً فَقَطْ فَيَبْرَأَ غُلاَمِي. (متّى 8: 8). وعندما رفض يسوع أن يشفي ابن امرأة كنعانية من نواحي صيدا وقال لها: *... «دَعِي الْبَنِينَ أَوَّلاً يَشْبَعُونَ لأَنَّهُ لَيْسَ حَسَناً أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلاَبِ». *فَأَجَابَتْ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ! وَالْكِلاَبُ أَيْضاً تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فُتَاتِ الْبَنِينَ» (مرقس 7: 27-28). وعندما رجاه خادم ملك الجليل أن يشفي ابنه ألح عليه قائلاً: «يَا سَيِّدُ (كوريوس) انْزِلْ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ ابْنِي» (يوحنا 4: 49). وعندما طلب من المرأة السامرية عند البئر شربة ماء، قالت: له وهي لا تعرف من هو: يَا سَيِّدُ (كوريوس) أَرَى أَنَّكَ نَبِيٌّ (يوحنا 4: 19).

نلاحظ من هذه المقتبسات أن كلمة كوريوس اليونانية ليست أكثر من صيغة مهذبة لمخاطبة شخص رفيع المقام، ولا أدل على ذلك من أن بعض اليهود اليونانيين قد استخدموها في خطاب فيلبُس أحد رُسُل يسوع: *وَكَانَ أُنَاسٌ يُونَانِيُّونَ مِنَ الَّذِينَ صَعِدُوا لِيَسْجُدُوا فِي الْعِيدِ. *فَتَقَدَّمَ هَؤُلاَءِ إِلَى فِيلُبُّسَ الَّذِي مِنْ بَيْتِ صَيْدَا الْجَلِيلِ وَسَأَلُوهُ: «يَا سَيِّدُ (كوريوس) نُرِيدُ أَنْ نَرَى يَسُوعَ» (يوحنا 12: 20-21).

في جميع المواضع التي يخاطب فيها الغرباء يسوع، عمدت الترجمات العربية إلى استخدام كلمة "سيد" كمقابل لكلمة "كوريوس". ولكن عندما نأتي إلى المواضع التي يخاطب فيها الرسل والتلاميذ يسوع نجد أن الترجمات قد استخدمت كلمة "الرب" كمقابل للكلمة اليونانية نفسها. بينما حافظت الترجمات الإنكليزية على كلمة "لورد" في الحالتين. وإليكم بعض النماذج: *وَبَعْدَ ذَلِكَ عَيَّنَ الرَّبُّ (كوريوس) سَبْعِينَ آخَرِينَ أَيْضاً وَأَرْسَلَهُمُ اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ أَمَامَ وَجْهِهِ إِلَى كُلِّ مَدِينَةٍ وَمَوْضِعٍ حَيْثُ كَانَ هُوَ مُزْمِعاً أَنْ يَأْتِيَ.... *فَرَجَعَ السَّبْعُونَ بِفَرَحٍ قَائِلِينَ: «يَا رَبُّ (كوريوس) حَتَّى الشَّيَاطِينُ تَخْضَعُ لَنَا بِاسْمِكَ» (لوقا 10: 1 و 17). وعندما كان مركب بطرس يغرق في البحر ويسوع معه، ناداه: «اخْرُجْ مِنْ سَفِينَتِي يَارَبُّ (كوريوس) لأَنِّي رَجُلٌ خَاطِئٌ» (لوقا 5: 8). وقال له تلميذاه يعقوب ويوحنا بعد أن منعهما أهل قرية سامرية من الدخول: يَا رَبُّ (كوريوس) أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضاً؟ (لوقا9:54). وفي سفر أعمال الرسل عندما ظهر للتلاميذ بعد قيامته سألوه: يَا رَبُّ (كوريوس) هَلْ فِي هَذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟ (أعمال 1: 6). وعندما نادى يسوع بولس من البرق على الطريق إلى دمشق وقال له: .... *...«شَاوُلُ شَاوُلُ لِمَاذَا تَضْطَهِدُنِي؟» *فَسَأَلَهُ: «مَنْ أَنْتَ يَا سَيِّدُ؟» فَقَالَ الرَّبُّ (كوريوس): أَنَا يَسُوعُ الَّذِي أَنْتَ تَضْطَهِدُهُ (أعمال 9: 3-5).

على أن لقب الرب عندما يُطلق على يسوع القائم من بين الأموات، يتخذ أبعاداً أكثر سمواً، لأن الله قد جعله مسيحاً وسيداً على العالم: فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً وَمَسِيحاً» (أعمال 2: 36). وبالمعنى نفسه يقول بولس: لأَنَّهُ لِهَذَا مَاتَ الْمَسِيحُ وَقَامَ وَعَاشَ لِكَيْ يَسُودَ عَلَى الأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ (رومية 14: 9). وأيضاً: *لِذَلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضاً، وَأَعْطَاهُ اسْماً فَوْقَ كُلِّ اسْمٍ *لِكَيْ تَجْثُوَ بِاسْمِ يَسُوعَ كُلُّ رُكْبَةٍ مِمَّنْ فِي السَّمَاءِ وَمَنْ عَلَى الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الأَرْضِ، *وَيَعْتَرِفَ كُلُّ لِسَانٍ أَنَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ هُوَ رَبٌّ لِمَجْدِ اللهِ الآبِ (فيليبي 2: 9-11). أي إن ربوبية يسوع تأتي من إعلان الله له سيداً على العالم بعد أن رفعه إليه. وفي موضع آخر يجعل بولس نفسه أكثر وضوحاً عندما يرسم خطاً فاصلاً بين الألوهية التي لله والربوبية التي ليسوع القائم من بين الأموات: لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ (الرسالة الأولى إلى أهالي كورنثوس 8: 6).

يسوع المعلم:

يتصل لقب "المعلم" الذي تطلقه الأناجيل على يسوع بلقب الرب أو السيد، فكلاهما يدل على رجل في موقع السلطة الدينية. وقد كان المعلمون الدينيون اليهود، كما أسلفنا، ينادون بلقب "رابون" أو "رابان" وبصيغة المخاطبة "رابي". وقد وردت الكلمة في القرآن بصيغة الجمع "ربانيون": "لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ.... الآية" (5 المائدة: 63). وقد قرن يسوع بين كلمة المعلم وكلمة الرب أو السيد، عندما قال لتلاميذه: .....*أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّماً وَسَيِّداً وَحَسَناً تَقُولُونَ لأَنِّي أَنَا كَذَلِكَ. *فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ (يوحنا 13: 12-14).

وقد خاطب التلاميذ يسوع بهذا اللقب في العديد من المناسبات. فعندما شارف مركبهم على الغرق، أيقظوه قائلين: «يَا مُعَلِّمُ يَا مُعَلِّمُ إِنَّنَا نَهْلِكُ!» (لوقا 8: 24). وأيضاً: فَقَالَ يُوحَنَّا: «يَا مُعَلِّمُ رَأَيْنَا وَاحِداً يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ بِاسْمِكَ فَمَنَعْنَاهُ لأَنَّهُ لَيْسَ يَتْبَعُ مَعَنَا» (لوقا 9: 49). والكلمة اليونانية التي يستخدمها النص الأصلي لهذا الغرض هي "epistata" التي تعني أستاذ أو معلم، ولكنه أحياناً يستخدم الكلمة العبرانية "رابي" ثم يفسرها باليونانية، على ما ورد في إنجيل يوحنا عندما خاطب التلميذان يسوع قائلين *«رَبِّي (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ[52]) أَيْنَ تَمْكُثُ؟» *فَقَالَ لَهُمَا: تَعَالَيَا وَانْظُرَا (يوحنا 1: 38-39). وأيضاً: "فالتفتت (المجدلية) وقالت له: «رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ (يوحنا 20:16).

ولكن ما يميز يسوع عن الربانيين اليهود، هو أنه لم يستمد سلطته التعليمية ومعارفه من الدراسة الطويلة على يد فقهاء في الدين معترف بهم،

بل إن هذه المعارف تأتيه وحياً من الله: تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلّذِي أرْسَلَنِي (يوحنا 7: 16). ولذلك قال له نيقوديموس أحد المعلمين الفريسيين: «يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّماً لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ» (يوحنا 3:2). لهذا فإن تعاليم يسوع تخلو من الاستشهاد بآيات من كتاب العهد القديم وتقديم تفسيرات لها، على طريقة الربانيين اليهود، وسلطة تعليمه لا تأتي من سلطة الكتاب، وإنما من السلطة الروحية التي يتمتع بها يسوع بتأييد من الآب. ولذلك بُهت الناس من تعليمه ... لأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُهُمْ كَمَنْ لَهُ سُلْطَانٌ وَلَيْسَ كَالْكَتَبَةِ (مرقس 1: 22). وقالوا:...«مَا هَذَا؟ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ؟ لأَنَّهُ بِسُلْطَانٍ يَأْمُرُ حَتَّى الأَرْوَاحَ النَّجِسَةَ فَتُطِيعُهُ!» (مرقس 1: 27).

وعلى عكس الأسلوب التقليدي الجامد للربانيين، الذي يعتمد المقولات الجاهزة التي نقلوها عن أساتذتهم، فقد تميز أسلوب يسوع بطابع غير رسمي يعتمد التشابيه الحيوية والأمثال القصيرة التي يسوقها بلغة شعرية. ولم يكن مستقراً في مكان واحد يقصد الناس إليه ليتعلموا، بل كان هو الذي يقصد الناس متنقلاً من مكان إلى آخر: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (متَّى 8: 20).

الطبيعة الفائقة ليسوع

1- مفهوم "المسيح"

الأفكار التأسيسية

في الدراستين السابقتين تحدثنا عن ناسوت عيسى وطبيعته البشرية في كل من الرواية القرآنية والرواية الإنجيلية. وسوف نلتفت الآن إلى الحديث عن الطبيعة الفائقة لـ عيسى، كما تتبدى في أربعة ألقاب إنجيلية هي: المسيح، وابن الله، والابن، وابن الإنسان؛ وفي لقبين قرآنيين هما: روح الله، وكلمة الله. وبما أننا قد وجدنا أن هذه الألقاب الإنجيلية تجد أصولها في كتاب العهد القديم، فسوف نبتدئ بمعالجة لقب "المسيح" انطلاقاً من تصورات العهد القديم حول هذا المفهوم المركزي في المعتقد التوراتي.

"المسيح" أو "المشيح" (وبالآرامية مشيحا) كلمة عبرانية مشتقة من الفعل الثلاثي "مَسَحَ"، والتي تعني كما في العربية التمسيد الرفيق بالكف. وبالمعنى الطقسي التوراتي فإن المسيح هو الممسوح بزيت المعبد المقدس من أجل تبريكه وإسباغ طابع القداسة عليه. هذا الزيت يُحضَّر من زيت الزيتون النقي ممزوجاً بأطياب معينة وفق مقادير خاصة، ويدعى زيت المسحة، ولا يجوز استخدامه في الأغراض الدنيوية. فالمسح الطقسي والحالة هذه هو نوع من شعائر التعدية والعبور (Initiation)، ينقل الشيء أو الشخص الممسوح به من مجال ما للناس إلى مجال ما لله.

أول مسح طقسي بالزيت يصادفنا في كتاب التوراة، هو ما قام به يعقوب في سفر التكوين (28: 10-19) عندما نصب عموداً حجرياً وصب عليه زيتاً في الموضع الذي تراءى له فيه الرب في الحلم، ودعا المكان "بيت إيل" أي بيت الله. وفي سفر الخروج (30: 23-32) يبيِّن الرب لموسى كيفية تجهيز زيت المسحة، ويأمره أن يمسح به تابوت العهد والأدوات الطقسية الأخرى، ويحرم عليه استخدامه إلا في الأغراض الشعائرية. وبعد ذلك يأمره أن يمسح أخاه هارون وبنيه بالزيت ليصبحوا كهنة على إسرائيل. ومنذ ذلك الوقت صار مسح الكهنة طقساً متبعاً. ولدينا مثال واحد عن مسح الأنبياء، وهو ما قام به النبي إيليا عندما مسح تلميذه أليشع نبياً بعده بأمر الرب.

عندما ابتدأ عصر الملوكية، صار طقس المسح بالزيت بمثابة تنصيب رسمي للشخص الذي اختاره الرب لحكم إسرائيل. وكان شاؤل أول من مُسح ملكاً بأمر الرب على يد النبي صموئيل، ودُعي بمسيح الرب. ومن الفقرة التالية في سفر صموئيل الأول، نفهم كيف يحوّل طقس المسح الشخص الممسوح إلى شخص جديد يحل عليه روح الرب، حيث نقرأ: *بَعْدَ ذَلِكَ تَأْتِي إِلَى جِبْعَةِ اللَّهِ حَيْثُ أَنْصَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَيَكُونُ عِنْدَ مَجِيئِكَ إِلَى هُنَاكَ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّكَ تُصَادِفُ زُمْرَةً مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَازِلِينَ مِنَ الْمُرْتَفَعَةِ وَأَمَامَهُمْ رَبَابٌ وَدُفٌّ وَنَايٌ وَعُودٌ وَهُمْ يَتَنَبَّأُونَ. *فَيَحِلُّ عَلَيْكَ رُوحُ الرَّبِّ فَتَتَنَبَّأُ مَعَهُمْ وَتَتَحَوَّلُ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ. *وَإِذَا أَتَتْ هَذِهِ الآيَاتُ عَلَيْكَ فَافْعَلْ مَا وَجَدَتْهُ يَدُكَ لأَنَّ اللَّهَ مَعَكَ (10: 5-7).

بعد أن غضب الرب على شاؤل غادره الروح وحلّ على داود بعد أن مسحه النبي صموئيل ملكاً. وها هو داود يصف علاقته بإلهه بالكلمات التالية: *... «وَحْيُ دَاوُدَ بْنِ يَسَّى، وَوَحْيُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ فِي الْعُلاَ، مَسِيحِ إِلَهِ يَعْقُوبَ، وَمُرَنِّمِ إِسْرَائِيلَ الْحُلْوِ: *رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي (2 صموئيل 23: 1-2). نلاحظ هنا كيف أن مسيح الرب يجمع بين الملوكية الدنيوية وبين النبوة والكهنوت، فهو يكلم الرب ويكلمه، ولسانه ينطق بوحي إلهه، وهو الوسيط بين عالم الألوهة وعالم البشر.

عندما شاخ داود واستلقى على فراش الموت، أوصى بالمُلك من بعده لابنه سليمان بمباركة من الرب. وأمر الكاهن صادوق والنبي ناثان أن يمسحا سليمان ملكاً. وهنا تستمر العلاقة المباشرة بين الرب ومسيحه، وهو يتراءى له في أحلامه ويكلمه من دون وسيط. نقرأ في سفر الملوك الأول: .... *فِي جِبْعُونَ تَرَاءَى الرَّبُّ لِسُلَيْمَانَ فِي حُلْمٍ لَيْلاً. وَقَالَ اللَّهُ: اسْأَلْ مَاذَا أُعْطِيكَ... *فَأَعْطِ عَبْدَكَ قَلْباً فَهِيماً لأَحْكُمَ عَلَى شَعْبِكَ وَأُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ... (1 ملوك 3: 5-12)، وأيضاً: *وَكَانَ لَمَّا أَكْمَلَ سُلَيْمَانُ بِنَاءَ بَيْتِ الرَّبِّ وَبَيْتِ الْمَلِكِ وَكُلَّ مَرْغُوبِ سُلَيْمَانَ الَّذِي سُرَّ أَنْ يَعْمَلَ، *أَنَّ الرَّبَّ تَرَاءَى لِسُلَيْمَانَ ثَانِيَةً كَمَا تَرَاءَى لَهُ فِي جِبْعُونَ. *وَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: قَدْ سَمِعْتُ صَلاَتَكَ وَتَضَرُّعَكَ الَّذِي تَضَرَّعْتَ بِهِ أَمَامِي. قَدَّسْتُ هَذَا الْبَيْتَ الَّذِي بَنَيْتَهُ لأَجْلِ وَضْعِ اسْمِي فِيهِ إِلَى الأَبَدِ، وَتَكُونُ عَيْنَايَ وَقَلْبِي هُنَاكَ كُلَّ الأَيَّامِ. *وَأَنْتَ إِنْ سَلَكْتَ أَمَامِي كَمَا سَلَكَ دَاوُدُ أَبُوكَ بِسَلاَمَةِ قَلْبٍ وَاسْتِقَامَةٍ، وَعَمِلْتَ حَسَبَ كُلِّ مَا أَوْصَيْتُكَ وَحَفِظْتَ فَرَائِضِي وَأَحْكَامِي، *فَإِنِّي أُقِيمُ كُرْسِيَّ مُلْكِكَ عَلَى إِسْرَائِيلَ إِلَى الأَبَدِ كَمَا قُلْتُ لِدَاوُدَ أَبِيكَ (1 ملوك 9: 1-5).

بعد وفاة سليمان وزوال المملكة الواحدة المقدسة، التي انقسمت إلى مملكتين إحداهما عاصمتها السامرة، والأخرى عاصمتها أورشليم، تغير مضمون طقس المسح بالزيت، ولم يعد معبراً عن مشيئة إلهية واختيار سماوي، بل تحول إلى إجراء روتيني يقوم به الكاهن من أجل تنصيب الملك الجديد الذي انتقل إليه المنصب بالوراثة أو بالاغتصاب. وفيما عدا قيام النبي أليشع بمسح القائد العسكري ياهو ملكاً على السامرة بأمر الرب، فإن

مراسم التنصيب كانت تجري في أجواء اعتيادية، وغالباً ما لا يذكر النص الكتابي عنها شيئاً، بل يكتفي بالقول إن فلاناً الملك قد مات ومَلَك مكانه على أورشليم أو السامرة فلان.

على أن كل ملوك السامرة قد حادوا عن الدين القويم وعبدوا الآلهة الفلسطينية التقليدية، وكذلك فعل معظم ملوك أورشليم. وهذا ما خلق لدى أنبياء العهد القديم الذين كانوا يوبّخون ملوكهم بشدة على عدم أمانتهم ليهوه، رجاءً في ملك مثالي قادم ومسيح حقيقي للرب. وشيئاً فشيئاً أخذ مفهوم المسيحانية الملوكية بالتغير، وبدلاً من التغني بفضائل الملك المسيح المعاصر، راحت مزامير العهد القديم وأسفار الأنبياء تتطلع إلى الملك المسيح القادم، وتصف مجده وكفاحه وانتصاراته. وقد تكرس هذا الاتجاه بعد زوال مملكة إسرائيل - السامرة عام 721ق.م، وتحولها إلى ولاية آشورية، ثم زوال مملكة يهوذا عام 578ق.م، وتحولها إلى ولاية بابلية ثم فارسية، وانتهاء ما يدعى بعصر الملوكية في التاريخ العبري، والذي انتهى في كلا المملكتين بعمليات سبي واسعة طالت الشرائح الحرفية والمتعلمة من الشعب. وبذلك تحول مسيح الرب من ملك يحكم على شعب يهوه في الزمن الحاضر، إلى شخصية نبوية رؤيوية سوف تظهر في المستقبل لتعيد العصر الذهبي لإسرائيل، وتجمع شتات المنفيين في الأقطار البعيدة وترجعهم إلى أورشليم.

وبما أن سلالة الملك داود هي التي حكمت في أورشليم منذ وفاة سليمان إلى دمارها على يد البابليين، فإن المسيح القادم سيكون أيضاً من نسل داود، لأن الرب قد أعطى داود عهداً بأن نسله سوف يحكم في أورشليم إلى الأبد: *لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي وَلاَ أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ. *مَرَّةً حَلَفْتُ بِقُدْسِي أَنِّي لاَ أَكْذِبُ لِدَاوُدَ. *نَسْلُهُ إِلَى الدَّهْرِ يَكُونُ وَكُرْسِيُّهُ كَالشَّمْسِ أَمَامِي (المزمور 89:34-36). فهذا المسيح هو غصن جديد ينبت من شجرة نسب داود بن يسّي، على ما نقرأ في سفر إشعياء: *وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ *وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ... (إشعياء 11: 1-2). ونقرأ في سفر إرميا: *هَا أَيَّامٌ تَأْتِي يَقُولُ الرَّبُّ وَأُقِيمُ لِدَاوُدَ غُصْنَ بِرٍّ فَيَمْلِكُ مَلِكٌ وَيَنْجَحُ وَيُجْرِي حَقّاً وَعَدْلاً فِي الأَرْضِ. *فِي أَيَّامِهِ يُخَلَّصُ يَهُوذَا وَيَسْكُنُ إِسْرَائِيلُ آمِناً وَهَذَا هُوَ اسْمُهُ الَّذِي يَدْعُونَهُ بِهِ: الرَّبُّ بِرُّنَا (إرميا 23: 5-6).

هذا المسيح يولد كطفل خارق، له من صفات الآلهة والبشر معاً. نقرأ في سفر إشعياء:

*اَلشَّعْبُ السَّالِكُ فِي الظُّلْمَةِ أَبْصَرَ نُوراً عَظِيماً. الْجَالِسُونَ فِي أَرْضِ ظِلاَلِ الْمَوْتِ أَشْرَقَ عَلَيْهِمْ نُورٌ..... *لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيباً مُشِيراً إِلَهاً قَدِيراً أَباً أَبَدِيّاً رَئِيسَ السَّلاَمِ. *لِنُمُوِّ رِيَاسَتِهِ وَلِلسَّلاَمِ لاَ نِهَايَةَ عَلَى كُرْسِيِّ دَاوُدَ وَعَلَى مَمْلَكَتِهِ لِيُثَبِّتَهَا وَيَعْضُدَهَا بِالْحَقِّ وَالْبِرِّ مِنَ الآنَ إِلَى الأَبَ (إشعياء 9: 2-7). وهناك إشارة واحدة

في الكتاب إلى ولادة هذا الطفل من عذراء: وَلَكِنْ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (إشعياء 7: 14). وهو يدعى رباً وسيداً، ويجلس عن يمين يهوه في آخر الأزمنة ليدين الأمم ويحاكمها وينتقم لشعبه: *قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ... *يَدِينُ بَيْنَ الأُمَمِ مَلأَ جُثَثاً أَرْضاً وَاسِعَةً. سَحَقَ رُؤُوسَهَا (المزمور 110). وهو يولد في مدينة بيت لحم: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (ميخا 5: 2).

وبتأثير الأفكار الزرادشتية التي شاعت في المنطقة عقب استيلاء قورش الفارسي على المنطقة المشرقية ووراثته للإمبراطورية البابلية عام 539ق.م، قامت الأيديولوجيا التوراتية بالمزاوجة بين فكرة المسيح القادم، وفكرة المخلص الزرادشتي. فوفق التعاليم الأصلية لزرادشت، يظهر في آخر الأزمنة مخلص البشرية الذي يقود المعركة الفاصلة الأخيرة ضد الشيطان ورهطه ويقضي عليه. عندها يقوم الله بتدمير العالم القديم الملوث بعناصر الشر، ثم يعمل على تجديده ليغدو فردوساً يعيش فيه الأخيار الصالحون في زمن مفتوح على الأبدية. وفيما بعد أدخلت التطويرات اللاهوتية اللاحقة تنويعات جديدة على فكرة المخلص الزرادشتي؛ فهذا المخلص المدعو ساوشيانط سوف يأتي من نسل زرادشت، عندما تحمل به عذراء تنـزل إلى الاستحمام في بحيرة معينة، حيث تتسرب إلى رحمها بذور زرادشت التي حفظتها الملائكة في البحيرة إلى اليوم الموعود.

لقد أثرت فكرة نهاية الزمن هذه بقوة في فكرة ملكوت الرب القادم إلى الأرض، في الفكر التوراتي، ولكن بعد تحويرها بما يتلاءم مع الأيديولوجيا التوراتية الشوفينية. فإذا كان التاريخ في المفهوم الزرادشتي يسير نحو استئصال الشر من العالم والارتقاء به وبالإنسانية إلى مستقبل ماجد وجليل في الأزمنة الأخيرة، فإن التاريخ في المفهوم التوراتي يسير نحو سيادة الإله يهوه الكاملة على الأرض ليحكمها بنفسه حكماً مباشراً، بعد أن يرسل مسيحه أمامه ليهيئ له الطريق، وليكسر شوكة أعداء إسرائيل ويعيد أمجاد أورشليم الضائعة. وفي هذا يقول النبي ملاخي: *هَئَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي. وَيَأْتِي بَغْتَةً إِلَى هَيْكَلِهِ السَّيِّدُ الَّذِي تَطْلُبُونَهُ وَمَلاَكُ الْعَهْدِ الَّذِي تُسَرُّونَ بِهِ. هُوَذَا يَأْتِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. *وَمَنْ يَحْتَمِلُ يَوْمَ مَجِيئِهِ وَمَنْ يَثْبُتُ عِنْدَ ظُهُورِهِ؟ (ملاخي 3: 1-2). إن مراحل التاريخ السابقة لقيام ملكوت الرب، لا يوجهها صراع الخير والشر كما هو الحال في المعتقد الزرادشتي، بل صراع يهوه ضد الآلهة الأخرى، ومحاولته تنصيب نفسه معبوداً أوحد لدى الشعب الذي اختاره، ثم قيادة هذا الشعب ضد الأمم والشعوب الأخرى لإخضاعها وتحويها إلى خدم وعبيد لدى بني إسرائيل. عند ذلك ينتهي التاريخ ويحل ملكوت يهوه على الأرض، ملكوت يديره بنفسه.

يبتدئ ملكوت الرب بما تدعوه أسفار الأنبياء بيوم الرب. في ذلك اليوم يرسل يهوه إلى الأرض عدداً من الكوارث الطبيعية التي تمهد لهجومه الكاسح. فالسماوات تطوى كدرج من ورق (إشعياء 34: 4). اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَظْلُمَانِ وَالنُّجُومُ تَحْجِزُ لَمَعَانَهَا (يوئيل 3: 15)، والأرض تنسحق وتتشقق وتترنح مثل السكران، وتنفتح عليها ميازيب من الأعالي (إشعياء 24: 17-20)، ويعم الظلام والسحاب والضباب فيمشي الناس كالعمي، وبنار غيرة يهوه تؤكل الأرض (صفنيا 1: 14-18). بعد ذلك يتدخل يهوه شخصياً لإفناء الأمم من أعداء بني إسرائيل، أي كل شعوب الأرض. *فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ كَجَبَّارٍ مُعَيِّطٍ مِنَ الْخَمْرِ. *فَضَرَبَ أَعْدَاءَهُ إِلَى الْوَرَاءِ. جَعَلَهُمْ عَاراً أَبَدِيّاً (مزمور 78: 65-66)، ويجمع إليه الجيوش ويستعرض قواته (إشعياء 13: 3-5)، ويبدأ هجومه بصرخة الحرب المُرَّة (صفنيا 1: 14). بعد ذلك يُعمل السيف في الأمم حتى تمتلئ الأرض بالدماء: *اِقْتَرِبُوا أَيُّهَا الأُمَمُ لِتَسْمَعُوا وَأَيُّهَا الشُّعُوبُ اصْغُوا. لِتَسْمَعِ الأَرْضُ وَمِلْؤُهَا. الْمَسْكُونَةُ وَكُلُّ نَتَائِجِهَا. *لأَنَّ لِلرَّبِّ سَخَطاً عَلَى كُلِّ الأُمَمِ وَحُمُوّاً عَلَى كُلِّ جَيْشِهِمْ. قَدْ حَرَّمَهُمْ دَفَعَهُمْ إِلَى الذَّبْحِ. *فَقَتْلاَهُمْ تُطْرَحُ وَجِيَفُهُمْ تَصْعَدُ نَتَانَتُهَا وَتَسِيلُ الْجِبَالُ بِدِمَائِهِمْ (إشعياء 34: 1-3). بعد ذلك يجمع الرب جميع المنفيين من بني إسرائيل فيعيدهم إلى أرضهم. أما من نجا في يوم الرب من الأمم فلن تكون لهم حياة إلا بالانضمام إلى بني إسرائيل كخدم وعبيد لهم: *وَيَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَنَّ السَّيِّدَ يُعِيدُ يَدَهُ ثَانِيَةً لِيَقْتَنِيَ بَقِيَّةَ شَعْبِهِ... *وَيَرْفَعُ رَايَةً لِلأُمَمِ وَيَجْمَعُ مَنْفِيِّي إِسْرَائِيلَ وَيَضُمُّ مُشَتَّتِي يَهُوذَا مِنْ أَرْبَعَةِ أَطْرَافِ الأَرْضِ... (إشعياء 11: 11-12). *لأَنَّ الرَّبَّ سَيَرْحَمُ يَعْقُوبَ وَيَخْتَارُ أَيْضاً إِسْرَائِيلَ وَيُرِيحُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ فَتَقْتَرِنُ بِهِمِ الْغُرَبَاءُ وَيَنْضَمُّونَ إِلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ. *وَيَأْخُذُهُمْ شُعُوبٌ وَيَأْتُونَ بِهِمْ إِلَى مَوْضِعِهِمْ وَيَمْتَلِكُهُمْ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ فِي أَرْضِ الرَّبِّ عَبِيداً وَإِمَاءً (إشعياء 14: 1-2). *قُومِي اسْتَنِيرِي لأَنَّهُ قَدْ جَاءَ نُورُكِ وَمَجْدُ الرَّبِّ أَشْرَقَ عَلَيْكِ... *وَبَنُو الْغَرِيبِ يَبْنُونَ أَسْوَارَكِ وَمُلُوكُهُمْ يَخْدِمُونَكِ... *لأَنَّ الأُمَّةَ وَالْمَمْلَكَةَ الَّتِي لاَ تَخْدِمُكِ تَبِيدُ وَخَرَاباً تُخْرَبُ الأُمَمُ... *وَبَنُو الَّذِينَ قَهَرُوكِ يَسِيرُونَ إِلَيْكِ خَاضِعِينَ وَكُلُّ الَّذِينَ أَهَانُوكِ يَسْجُدُونَ لَدَى بَاطِنِ قَدَمَيْكِ (إشعياء 60: 1-14).

بعد ذلك تدخل الأرض في حالة فردوسية مهيئة لسعادة بني إسرائيل: *فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ. *بَلْ يَجْلِسُونَ كُلُّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ (ميخا 4: 3-4). *....وَتَقْطُرُ الْجِبَالُ عَصِيراً وَتَسِيلُ جَمِيعُ التِّلاَلِ. *وَأَرُدُّ سَبْيَ شَعْبِي إِسْرَائِيلَ فَيَبْنُونَ مُدُناً خَرِبَةً وَيَسْكُنُونَ وَيَغْرِسُونَ كُرُوماً وَيَشْرَبُونَ خَمْرَهَا وَيَصْنَعُونَ جَنَّاتٍ وَيَأْكُلُونَ أَثْمَارَهَا. *وَأَغْرِسُهُمْ فِي أَرْضِهِمْ وَلَنْ يُقْلَعُوا بَعْدُ مِنْ أَرْضِهِمِ الَّتِي أَعْطَيْتُهُمْ... (عاموس 9: 13-15). في هذا العالم الفردوسي يتحول المسيح المحارب إلى حاكم مسالم ينطق بالحكمة ويحكم بالعدل. ويطالعنا سفر إشعياء بصورة معبرة عن هذا المسيح المسالم: *هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ الْحَقَّ لِلأُمَمِ. *لاَ يَصِيحُ وَلاَ يَرْفَعُ وَلاَ

يُسْمِعُ فِي الشَّارِعِ صَوْتَهُ. *قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ وَفَتِيلَةً خَامِدَةً لاَ يُطْفِئُ. إِلَى الأَمَانِ يُخْرِجُ الْحَقَّ. *لاَ يَكِلُّ وَلاَ يَنْكَسِرُ حَتَّى يَضَعَ الْحَقَّ فِي الأَرْضِ (إشعياء 42: 1-4). *اِبْتَهِجِي جِدّاً يَا ابْنَةَ صِهْيَوْنَ اهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ. هُوَ عَادِلٌ وَمَنْصُورٌ وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ ابْنِ أَتَانٍ. *وَأَقْطَعُ الْمَرْكَبَةَ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْفَرَسَ مِنْ أُورُشَلِيمَ وَتُقْطَعُ قَوْسُ الْحَرْبِ. وَيَتَكَلَّمُ بِـالسَّلاَمِ لِلأُمَمِ وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ (زكريا 9: 9-10). كما تطال هذه الحالة الفردوسية عالم الطبيعة والحيوان: *فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعاً وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. *وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعاً وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْناً. *وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوانِ (إشعياء 11: 6-8).

إلى جانب هاتين الصورتين لمسيح آخر الأزمنة، وهما صورة الملك المنتقم المحارب، وصورة الملك الوديع الذي يدخل أورشليم على حمار، هنالك صورة المسيح المعذَّب المتألم التي ألمحنا إليها في معرض حديثنا عن "العبد البار". ونود أن نضيف إليها هنا هذا الوصف من سفر الحكمة:

"فإنهم بزيغ أفكارهم قالوا في أنفسهم: إن حياتنا قصيرة شقية وليس لممات الإنسان من دواء، ولم يُعلم قط أن أحداً رجع من الجحيم. إنا ولدنا اتفاقاً وسنكون من بعد كأننا لم نكن قط... فتعالوا نتمتع بالطيبات الحاضرة ونبتدر منافع الوجود ما دمنا في الشبيبة... لِنَجُرْ على الفقير ولا نشفق على الأرملة و لا نهاب شيبة الشيخ كثير الأيام... ولنكمن للصِّدِّيق (مسيح الرب)، فإنه ثقيل علينا يقاوم أعمالنا ويُقرِّعنا على مخالفتنا للناموس؛ يزعم أن عنده علم الله ويسمي نفسه ابن الرب. وقد صار لنا عذولاً حتى على أفكارنا، بل منظره ثقيل علينا لأن سيرته تخالف سيرة الناس، وسبله تباين سبلهم... فلننظر هل أقواله حق، ولنختبر كيف تكون عاقبته، فإنه إن كان الصِّدِّيق ابن الله فهو ينصره وينقذه من أيدي مقاوميه. فلنمتحنه بالشتم و العذاب حتى نعلم حلمه ونختبر صبره، ولنقض عليه بأقبح ميتة فإنه سيُفتقد كما يزعم. هذا ما ارتأوه فضلُّوا لأن شرهم أعماهم فلم يدركوا أسرار الله." (سفر الحكمة 2: 1-22).

الطبيعة الفائقة ليسوع

2- مفهوم "المسيح"

في الأسفار غير القانونية

في أواسط القرن الثاني قبل الميلاد اكتملت عملية تحرير الأسفار التوراتية، التي اعتُبرت فيما بعد قانونية. وبذلك تم إغلاق باب الوحي، وأخذ الكتاب شكله النهائي تقريباً، على الرغم من أن هذه الأسفار لم تُجْمَع في كتاب واحد، وإنما بقيت على شكل لفائف متفرِّقة حتى عام 90م عندما أقرها مجمع يمنيا الكهنوتي، واعتبرها وحدها أسفاراً ملهمة، إلا أن اختتام عملية التحرير على المستوى الرسمي لم يكن ليغلق باب الإلهام الديني في عالم هيلنستي موحد تتمازج فيه تيارات ثقافية متعددة في حقبة تعد من أخصب حقب التاريخ الحضاري للمنطقة المشرقية. فمنذ القرن الثاني قبل الميلاد نشطت حركة إبداع ديني داخل الديانة اليهودية تُعتبر بمثابة استمرار للفكر النبوئي والرؤيوي التوراتي، استمرت بزخم قوي حتى نهاية القرن الثاني الميلادي، وأنتجت عدداً كبيراً من الأسفار غير القانونية التي بقيت على هامش النص القانوني الرسمي. ولكن على الرغم من وضعها الثانوي هذا، فإن هذه التركة الدينية قد مارست تأثيراً لا يقل عن تأثير الأسفار القانونية. فقد كان لها أعمق الأثر في ظهور الفرقة الفريسية التي ظهرت في القرن الأول قبل الميلاد، وفي الفكر التلمودي الذي بدأ بالتبلور بعد دمار أورشليم الأخير على يد الرومان عام 135م وبناء مدينة رومانية في موقعها تحت اسم إيليا كابيتولينا. كما كان لها تأثير في مؤلفي الأناجيل لا يقل عن تأثير الأسفار النبوئية الرؤيوية القانونية. وبشكل خاص فيما يتعلق بمفهوم المسيح، ومفهوم ابن الإنسان، ومفهوم ابن الله. وسوف نختار فيما يلي من هذه الأسفار بعضاً من أهم المقاطع ذات الصلة بمفهوم المسيح.

في سفر عزرا الرابع، تَعرِض لعزرا سبع رؤىً متتابعة، وهو في مدينة بابل التي سيق إليها مسبيو يهوذا، يناجي فيها ربه ويطرح عدداً من الأسئلة عن أصل الشر في العالم، ومصير إسرائيل والبشرية، فتأتيه الأجوبة وصولاً إلى إبلاغه بأن الساعة قريبة، وسوف تأتي في ميعاد دقيق محسوب عند رب

العالمين. فكما لا يستطيع رحم المرأة الاحتفاظ بالجنين عندما يحل الشهر التاسع ويأتي المخاض، كذلك الأرض التي أُتْخِمَتْ بالموتى منذ بدء الخليقة سوف تلفظهم عندما تأتي ساعة مخاضها في اليوم الأخير. ولهذه الساعة علاماتها: ففي ذلك الوقت يتملك الناس ذعر عظيم، وتغيب سبل الحق، ويُفقد الإيمان في الأرض. الشمس تشرق في الليل والقمر يطلع في النهار، والدم ينبثق من الأشجار، والنجوم تغير مجراها وتتساقط على الأرض؛ تتشقق الأرض عبر المساحات الواسعة، وتندلع نيران لا تنطفئ؛ تجف الحقول وتفرغ، ويختلط ماء الأرض الحلو بمائها المالح؛ يقوم الأصدقاء والأخوة ضد بعضهم ويتقاتلون بضراوة؛ يُفقد الرشد والتفكير السليم، وتنسحب الحكمة إلى مخبئها فلا يجدها أحد؛ عمل الناس لا يعطي ثماراً، وكدُّهم يذهب هباءً. بعد هذه العلامات يظهر المسيح ليُقيم مملكته على الأرض:

"هو ذا يوم يأتي بعد ظهور الإشارات التي أنبأتك عنها، فتظهر المدينة التي لا أثر لها الآن، ويُكشف عن الأرض غير المنظورة الآن. عندها سيرى عجائبي كل من نجا من الكوارث التي أخبرتك بها. عندها سيظهر المسيح وكل الذين معه، وسينعم الذين بقوا مدة أربعمئة سنة. ثم يموت المسيح وكل ذي نسمة حياة معه، ويعود العالم إلى الصمت البدئي مدة سبعة أيام، كما كانت حالته قبل البدايات. بعد ذلك يستيقظ العالم النائم ويتلاشى منه ما هو قابل للفساد...فتلفظ الأرض الأجساد الثاوية فيها، وتُخرج ردهات المطهر ما عُهد إليها من أرواح، ويظهر العلي مستوياً على عرش الدينوية... عندها تتعرى هاوية العذاب، ويبرز في مقابلها مقام النعيم؛ يُكشف عن أتون الجحيم، ويبرز في مقابله الفردوس المقيم."

وفي موضع آخر هناك وصف حي لقدوم المسيح وقتاله للأمم:

"بعد سبعة أيام عرضت لي رؤيا جديدة وأنا نائم في الليل. لقد هبَّت من البحر ريح عاصفة دفعت أمامها أمواجاً عاتية. فنظرت ورأيت من قلب الريح شكل إنسان يطلع من وسط البحر؛ ثم نظرت ورأيت ذلك الإنسان يطير مع الغيوم في الأعالي، وأينما أدار وجهه حدثت رجّة ورجفة، وكلما هدر صوته ذاب سامعوه مثلما يذوب الشمع المسخن. ثم رأيت حشوداً تهب من جهات الرياح الأربعة لتقاتل الرجل الطالع من البحر.

ولكنه اقتطع جبلاً عظيماً بيده وقذفه عليهم، فتملَّك الذعر تلك الحشود التي تجمعت للقتال، ولكنها عزمت على الهجوم. فلما رأى اقترابها منه لم يرفع يداً ولم يمسك بحربة أو سلاح، ولكنه أطلق من فمه زفيراً نارياً ومن لسانه عاصفة من الشرر، فامتزج الاثنان في تيار ملتهب انصب على الحشود المهاجمة، فأتت عليهم جميعاً، ولم يبقَ في مكان تجمعاتهم سوى الغبار والرماد وروائح الدخان. ثم رأيت الرجل يهبط من الجبل ويدعو إليه حشداً آخر هادئاً ومسالماً، فتقاطر إليه أناس بعضهم فرح وبعضهم حزين وبعضهم يرسف في الأغلال"[53].

يطلب عزرا تفسير رؤياه فيأتيه الجواب:

"إن الرجل الذي رأيته طالعاً من البحر هو الذي أخفاه العلي عصوراً عديدة، وبه سيُخلِّص خليقته ويقود من بقي منها. أما عن التيار الناري الذي يخرج من فمه وعدم حمله لحربة أو لسلاح، وتدميره مع ذلك للحشود التي تجمعت لقتاله، فإليك بيان ذلك: سوف يأتي يوم أعدَّه العلي لتخليص سكان الأرض، ولكن يتبلبلون ويقومون لقتال بعضهم، مدينة ضد مدينة وبلد ضد بلد، وشعب ضد شعب. عندما يحصل ذلك وتظهر العلامات التي أخبرتُك بها سابقاً، يظهر ابني مثلما رأيتَه في هيئة رجل يخرج من البحر، عندها سيترك الجميع قتال بعضهم ويتجمعون لقتاله، ولكنه سوف يقف على ذروة جبل صهيون ويوبخ الأمم المحتشدة على سوء أفعالها، فتأتي كلماته على شكل تيار ناري ويعذبهم بما يستحقون، ثم يدمرهم بلا جهد بواسطة الشريعة التي هي مثل النار. أما الحشد المسالم الذي رأيتَ الرجل يدعوه ويجمعه إليه، فإنهم الأسباط العشرة التي سباها وأخرجها من ديارها ملك آشور شلمنصر في أيام ملكها هوشع". بعد ذلك يسأل عزرا عن مغزى طلوع الرجل من البحر، فيأتيه جواب العلي: "كما إنه لا أحد يستطيع اكتناه ما في أعماق البحر، كذلك لا أحد على الأرض يستطيع رؤية ابني ومن برفقته إلا عندما يأتي يومه ووقته".

نلاحظ في هذا المقطع المقتبس عن سفر عزرا الرابع، ظهور فكرة جديدة تتعلق بالوجود السابق للمسيح قبل تجسده على الأرض، وذلك في قول العلي لعزرا: "هو الذي أخفاه العلي عصوراً عديدة". ولكن هذا الوجود السابق ليس وجوداً فعلياً، بل هو أقرب إلى وجود الفكرة في عقل الخالق، أو إلى وجود المثال في عالم المثل في الفلسفة الأفلاطونية.

وفي النص المعروف بعنوان "وصايا الأسباط" لدينا أكثر من إشارة إلى الملك المسيح المنتظر. ففي وصية شمعون هنالك إشارة إلى مسيحَين لا إلى مسيح واحد: الأول مسيح كهنوتي يأتي من نسل لاوي، والثاني مسيح سياسي من نسل داود. يقول شمعون في آخر وصيته لأولاده: "والآن يا أولادي أطيعوا لاوي ويهوذا ولا تعلوا أنفسكم فوق هذين السبطين، لأن الرب سيبعث من لاوي كاهناً أعظم، ومن يهوذا ملكاً فيه من خصائص الإله والإنسان معاً، وهو الذي سيخلص الأمم ويخلص شعب إسرائيل".

وفي وصية لاوي نقرأ عن هذا المسيح الكاهن في رؤيا لاوي التي قصَّها على أولاده: "... ثم غلبني النوم فرأيت جبلاً عالياً رأيت نفسي على ذروته، والسماوات انفتحت، وملاك من عند الرب تكلم معي وقال: لاوي، ادخل. فعرجت إلى السماء الأولى حيث رأيت مياه الأعالي معلقة، ثم عرجت إلى الثانية فرأيتها أشد لمعاناً وأكثر بريقاً، ولم يكن لارتفاعها من نهاية، فقلت للملاك: لماذا هي على هذه الحال؟ فقال: لا تعجب لما رأيت لأنك سترى سماوات بعدها أشد منها لمعاناً وأكثر بريقاً؛ وعندما ترتقي إلى هناك فإنك

ستقف قريباً من الرب، وتكون كاهناً له تنقل أسراره إلى البشر، وسوف تعلن لهم عن الذي يوشك يحرر إسرائيل. فمن خلالك وخلال يهوذا سيتراءى الرب للبشر ويخلّص بنفسه كل الشعوب... نجمةُ سيسطع في السماء مثل نجم ملك، فيشعل نار المعرفة مثلما تضيء الشمس النهار، ويمحو الظلمات كلها تحت السماء... سوف يفتح أبواب الفردوس، ويزيل السيف الذي يحرسه منذ خروج آدم. سيعطي الأبرار ليأكلوا من شجرة الحياة ويحلّ روح القداسة عليهم؛ سيقيد الشيطان بالأغلال ويعطي السلطة لأبنائه فيطؤون الأرواح الشريرة بأقدامهم. وسيفرح الرب بأبنائه إلى الأبد".

وفي وصية يهوذا نقرأ: "لأجلكم سوف يبرز كوكب من يعقوب، ويقوم رجل من نسلي مثل شمس العدل، مطهراً من الخطيئة، سائراً مع الناس باللطف والعدل. ستنفتح السماوات من فوقه ويحلّ عليه الروح بركة من الآب القدوس... إنه غصن الرب العلي، ونبع الحياة للبشرية... ومن الغصن سيطلع قضيب العدل من أجل الشعوب، فيحاكم وينقذ كل الذين يذكرون الرب، فيكونون شعباً واحداً للرب ولغة واحدة للجميع، وستختفي روح الشيطان لأنه سيرمى إلى النار الأبدية. الذين ماتوا في الحزن سيقومون في الفرح، والذين ماتوا في الفقر لأجل الرب سوف يبعثون في الغنى. أيائل يعقوب سوف تجري في فرح، ونسور إسرائيل سوف تطير في حبور. ولكن الخطاة سيبكون، وستمجِّد الأمم كلها الرب إلى الأبد".

ولعل الصلوات تُظهر أكثر من غيرها تطلعات الناس إلى ظهور المخلص: الملك ابن داود. ولدينا العديد من الأمثلة على هذه الصلوات في مخطوطات البحر الميت وفي النص المعروف بعنوان "مزامير سليمان"، ومنها هذا المزمور المعبِّر، وهو المزمور رقم 17، الذي نقتبس فيما يلي بعض سطوره:

تحنن يا رب، وابعث إليهم ملكهم ابن داود

في الوقت المعلوم لديك، ليحكم على عبدك إسرائيل

وامنحه القوة لكي يسحق الحكام الفاسدين

ويجمع إليه شعباً مقدساً ليحكمه بالعدل

ويجعل الأمم الوثنية تحت نيره فتخدمه

لن يكون هنالك ظلم بينهم في أيامه

فالكل قديسون وملكهم هو الملك مسيح الرب

كما وترسخ الاعتقاد بأن الزمن الأخير سوف يُفتتح بعودة النبي إيليا الذي رُفع إلى السماء حياً بجسده (الملوك الثاني 2: 1-11)، وذلك استناداً

إلى ما ورد في سفر التثنية من قول يهوه لموسى: أُقِيمُ لهُمْ نَبِيّاً مِنْ وَسَطِ إِخْوَتِهِمْ مِثْلكَ وَأَجْعَلُ كَلامِي فِي فَمِهِ فَيُكَلِّمُهُمْ بِكُلِّ مَا أُوصِيهِ بِهِ (التثنية 18: 18)، وإلى ما ورد في سفر ملاخي: *هَئَنَذَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيَّ قَبْلَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ *فَيَرُدُّ قَلْبَ الآبَاءِ عَلَى الأَبْنَاءِ وَقَلْبَ الأَبْنَاءِ عَلَى آبَائِهِمْ (ملاخي 4: 5-6). واعتقدت طوائف معينة، ومنها الأسينيون، بأن إيليا هو المسيح الكهنوتي الذي سيظهر قبل المسيح الداودي. وبناء على هذا الاعتقاد فقد جرى تفسير بعض المزامير بما يخدم ذلك. فقد جاء في المزمور 43: أَرْسِلْ نُورَكَ وَحَقَّكَ هُمَا يَهْدِيَانِنِي وَيَأْتِيَانِ بِي إِلَى جَبَلِ قُدْسِكَ وقد فُسّرت كلمة "حقك" على أنها إشارة إلى نبي آخر الأزمنة أو المسيح الكهنوتي، وفُسّرت كلمة نورك على أنها إشارة إلى المسيح الداودي.

هذا وقد ساعدت الأوضاع العامة في فلسطين أثناء الفترة الانتقالية من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول الميلادي، على إلهاب الاعتقاد بأن نهاية التاريخ وشيكة، وأن مسيح آخر الأزمنة قد قارب على الظهور. فقد وقعت فلسطين تحت الحكم الروماني عام 63 ق.م، وتم إلغاء استقلال الدولة اليهودية التي أقامتها الأسرة المكابية بعد ثورة عارمة على الملوك السلوقيين الذين مارسوا الاضطهاد الديني على اليهود، وحاولوا تحويل هيكل أورشليم من مكان لعبادة الإله يهوه إلى مكان لعبادة الإله جوبيتر. وبعد مدة من عدم الاستقرار السياسي وتبديل أشكال الحكم في فلسطين، وتنظيماتها الإدارية، عيَّن الرومان هيرودُس الكبير ملكاً على مقاطعة اليهودية، وأتبعوا لحكمه كامل فلسطين وشرقي الأردن. وقد حكم هيرودُس منطقته بقبضة من حديد منذ عام 37ق.م إلى عام 4ق.م. ينتمي هيرودُس إلى الذخيرة السكانية النبطية - الأدومية، ولهذا حمل لقب "هيرود العربي". وقد ورث الديانة اليهودية عن أبيه أنيباتر الذي تهوّد لأسباب سياسية تتعلق بوضعه كوزير في بلاط آخر ملك مكابي. لهذا لم ينظر هيرودُس إلى نفسه كيهودي مثلما لم يعتبره اليهود واحداً منهم. كان محباً للثقافة اليونانية - الرومانية، وحاول قدر استطاعته إضفاء الطابع اليوناني على أورشليم وعلى المدن الفلسطينية. وعلى الرغم من إعادة بنائه لهيكل أورشليم وجعله واحداً من أضخم المعابد في المنطقة المشرقية، إلا أن توجهه العالمي قد دفعه إلى رعاية الأديان الأخرى وبناء المعابد لآلهتها. اشتهر هيرودُس بالقسوة والطغيان، ولقي اليهود من قسوته وطغيانه ما لم تلقه بقية شعوب المنطقة. فقد كره ضيق الأفق عند اليهود، وعدم رغبتهم في التحديث والانفتاح على العالم، وكره الأصولية اليهودية، وحارب تنظيماتها وأعدم ما لا يحصى من أتباعها. وعندما كان على فراش الموت لم يتورع عن محاكمة وإحراق عشرات الأصوليين الذين أنزلوا عن بوابة المعبد شكلاً منحوتاً للنسر الروماني رمز الإمبراطورية.

عادت مقاطعة اليهودية بعد وفاة هيرودُس إلى الحكم الروماني

المباشر، وصارت تدار من قبل حكام رومانيين يرفعون تقاريرهم إلى والي سوريا المقيم في دمشق. ومع تلاشي حلم الاستقلال اليهودي، وزيادة وطأة الضرائب التي تفرضها روما، ترسخ الاعتقاد بأن نهاية التاريخ أمست وشيكة. وراحت جماعات من المهووسين الدينيين تبشر بحلول ملكوت الرب وقرب اليوم الذي ينتقم فيه من أعداء إسرائيل. بينما انتقلت جماعات أخرى من الزهاد والمتنسكين إلى البوادي لتصوم وتصلي باستمرار في انتظار ولادة مخلص إسرائيل المنتظر، وراح الجميع يعيد قراءة وتفسير نبوءات الكتاب المقدس، ويطابق بين علامات نهاية الأزمنة الواردة فيها وما يجري على الساحة في الوقت الحاضر. وبشكل خاص، فقد جرى على نطاق واسع تفسير نبوءة دانيال بخصوص مجيء المسيح وساعته، حيث نقرأ على لسان جبرائيل في خطابه لدانيال: سَبْعُونَ أُسْبُوعاً قُضِيَتْ عَلَى شَعْبِكَ وَعَلَى مَدِينَتِكَ الْمُقَدَّسَةِ لِتَكْمِيلِ الْمَعْصِيَةِ وَتَتْمِيمِ الْخَطَايَا وَلِكَفَّارَةِ الإِثْمِ وَلِيُؤْتَى بِـالْبِرِّ الأَبَدِيِّ وَلِخَتْمِ الرُّؤْيَا وَالنُّبُوَّةِ وَلِمَسْحِ قُدُّوسِ الْقُدُّوسِينَ (دانيال 9: 24)، على أنها تحدد المدة المنقضية منذ صدور أمر الملك قورش الفارسي بعودة سبي يهوذا إلى بلادهم عام 539ق.م. وفسرت كلمة "سبعين" على أنها سبعون سنة، وكلمة "أسبوع" على أنها الرقم 7. وعليه فإن تعبير "سبعون أسبوعاً" يعني: 70×7=490 سنة. وبناءً على ذلك فإن ولادة الطفل الذي تحدث عنه النبي إشعياء عندما قال: لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْناً وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ...(إشعياء 9: 6) ستحدث عام 49ق.م، أو بعده بقليل.

في هذا المناخ الفكري والنفسي، الذي لم يكن وقفاً على اليهود فقط بل على الطوائف الدينية الأخرى التي كانت متأثرة بالأفكار الزرادشتية عن نهاية الزمن، جاءت ولادة يسوع نحو عام 6ق.م، أثناء الهزيع الأخير من حكم هيرود الكبير.

13

الطبيعة الفائقة ليسوع

3- مفهوم "المسيح"

في العهد الجديد

- في البحثين السابقين عرضنا الأفكار التأسيسية لمفهوم المسيح في الثقافة التي نشأ فيها يسوع ومؤلّفو الأناجيل، وخرجنا بعدّة مظاهر لهذا المفهوم وهي:

1- الملك الذي مسحه الرب لحكم مملكة إسرائيل.

2- المسيح الداودي السياسي الذي يرسله الرب لجمع شتات المنفيين من آل إسرائيل، ويعيد أمجاد دولتهم القديمة، وينتقم من أعدائهم.

3- المسيح الكهنوتي الذي يُبعث في آخر الأزمنة ليصلح الدين وينشر تقوى الرب مجدداً.

4- المسيح المتألم، عبد يهوه، الذي يحمل خطايا الناس ويخلصهم من آثامهم.

فأي من هذه المظاهر كان غالباً على تفكير مؤلّفي الأناجيل؟ وكيف حاولوا أن يثبتوا أن يسوع هو المسيح؟ وما هو موقف يسوع من هذا اللقب؟

في قصص الميلاد لدى كلٍّ من متّى ولوقا تظهر صورة خافتة للمسيح الداودي من خلال ابتكار المؤلفين سلسلة نسب تعود بيسوع إلى الملك داود، ومن خلال توكيدهم ولادة يسوع في بيت لحم، وذلك تحقيقاً للنبوءات الكتابية القديمة التي تقول إن المسيح يولد في هذه المدينة لا في غيرها (ميخا 5: 2). من خلال قصة الميلاد العذري التي تعيد إنتاج مقطع إشعياء المشهور: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ» (إشعياء 7: 14). وتبدو صورة هذا المسيح الداودي أكثر وضوحاً لدى لوقا، عندما يضع على لسان الملاك الذي جاء بالبشارة إلى مريم قوله: *وَهَا أَنْتِ

سَتَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً وَتُسَمِّينَهُ يَسُوعَ. *هَذَا يَكُونُ عَظِيماً وَابْنَ الْعَلِيِّ يُدْعَى وَيُعْطِيهِ الرَّبُّ الإِلَهُ كُرْسِيَّ دَاوُدَ أَبِيهِ *وَيَمْلِكُ عَلَى بَيْتِ يَعْقُوبَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَكُونُ لِمُلْكِهِ نِهَايَةٌ». (لوقا 1: 31-33). ومتّى بدوره يفتتح إنجيله بـالقول: "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود"، معتبراً النسب الداودي ليسوع مسألة مفروغاً منها منذ البداية.

إلى جانب هذه الشهادات التي تقدم بها الإنجيليـون أنفسهم بخصوص المسيح الداودي، فـقد عـمدوا إلى وضع اللقب على لسان الآخرين. *وَفِيمَا يَسُوعُ مُجْتَازٌ مِنْ هُنَاكَ تَبِعَهُ أَعْمَيَانِ يَصْرَخَانِ وَيَقُولاَنِ: «ارْحَمْنَا يَا ابْنَ دَاوُدَ»...... *حِينَئِذٍ لَمَسَ أَعْيُنَهُمَا قَائِلاً: «بِحَسَبِ إِيمَانِكُمَا لِيَكُنْ لَكُمَا». *فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا. فَانْتَهَرَهُمَا يَسُوعُ قَائِلاً: «انْظُرَا لاَ يَعْلَمْ أَحَدٌ!» (متّى 9: 27-30). *حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. *فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ.... (متّى 12: 22-23). *ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ مِنْ هُنَاكَ وَانْصَرَفَ إِلَى نَوَاحِي صُورَ وَصَيْدَاءَ. *وَإِذَا امْرَأَةٌ كَنْعَانِيَّةٌ خَارِجَةٌ مِنْ تِلْكَ التُّخُومِ صَرَخَتْ إِلَيْهِ: «ارْحَمْنِي يَا سَيِّدُ يَا ابْنَ دَاوُدَ. ابْنَتِي مَجْنُونَةٌ جِدّاً». (متّى 15: 21-22). *وَلَمَّا اقْتَرَبَ مِنْ أَرِيحَا كَانَ أَعْمَى جَالِساً عَلَى الطَّرِيقِ يَسْتَعْطِي. *فَلَمَّا سَمِعَ الْجَمْعَ مُجْتَازاً سَأَلَ: «مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هَذَا؟» *فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ مُجْتَازٌ. *فَصَرَخَ: «يَا يَسُوعُ ابْنَ دَاوُدَ ارْحَمْنِي!» (لوقـا 18: 35-38).

وعندما دخل يسوع إلى أورشليم هتفت له الجماهير على أنه ابن داود: *وَالْجَمْعُ الأَكْثَرُ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَاناً مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ. *وَالْجُمُوعُ الَّذِينَ تَقَدَّمُوا وَالَّذِينَ تَبِعُوا كَانُوا يَصْرَخُونَ: «أُوصَنَّا[54] لاِبْنِ دَاوُدَ! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ! (متّى 21: 8-9). وفي هذا الموضع يضيف مرقس: مُبَارَكَةٌ مَمْلَكَةُ أَبِينَا دَاوُدَ الآتِيَةُ بِاسْمِ الرَّبِّ! أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي! (مرقس 11: 10). أما يوحنّا فيقول: «أُوصَنَّا! مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يوحنّا 12: 13).

ويقترن لقب المسيح بلقب "ملك اليهود" و "ملك إسرائيل"، حـيـث يـتـخـذ لـقـب "ملك اليهود" طابعاً سياسياً، و "ملك إسرائيل" طابعاً دينياً. وقد استخدم خـصـوم يسوع لقب "الملك" أو "ملك اليهود" بالمعنى السياسي المرافق له. فعندما ألـقى اليهود القبض على يسوع وأتوا به إلى الحاكم الروماني اشتكوا منه قائلين: *.... «إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». *فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟»... (لوقا 23: 1-3). *فَصَرَخَ الْجَمْعُ وَابْتَدَأُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يَفْعَلَ كَمَا كَانَ دَائِماً يَفْعَلُ لَهُمْ. *فَأَجَابَهُمْ بِيلاَطُسُ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ أُطْلِقَ لَكُمْ مَلِكَ الْيَهُودِ؟» (مرقس 15: 8-9). وَكَانُوا يَجْثُونَ قُدَّامَهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ بِهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» (متّى 27: 29). *وَكَتَبَ بِيلاَطُسُ عُنْوَاناً وَوَضَعَهُ عَلَى الصَّلِيبِ. وَكَانَ مَكْتُوباً: «يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ مَلِكُ الْيَهُودِ». *فَقَرَأَ هَذَا

الْعُنْوَانَ كَثِيرُونَ مِنَ الْيَهُودِ.... *فَقَالَ رُؤَسَاءُ كَهَنَةِ الْيَهُودِ لِبِيلاَطُسَ: «لاَ تَكْتُبْ: مَلِكُ الْيَهُودِ بَلْ: إِنَّ ذَاكَ قَالَ أَنَا مَلِكُ الْيَهُودِ». (يوحنّا 19: 19-21). أما لقب ملك إسرائيل فقد استخدمه أتباع يسوع بالمعنى الديني المرافق له. قال له التلميذ نثنائيل: «يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» (يوحنّا 1: 49).

على أن السياق العام للأناجيل الأربعة لا يدل على أن يسوع كان ذا مطمع سياسي، أو أنه كان مطالباً بعرش داود، أو أنه كان يعدّ لثورة ضد الحكم الروماني، على ما تظهره القصة التالية: *ثُمَّ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ قَوْماً مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ وَالْهِيرُودُسِيِّينَ لِكَيْ يَصْطَادُوهُ بِكَلِمَةٍ. *فَلَمَّا جَاءُوا قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَلاَ تُبَالِي بِأَحَدٍ لأَنَّكَ لاَ تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ. أَيَجُوزُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ أَمْ لاَ؟ نُعْطِي أَمْ لاَ نُعْطِي؟» *فَعَلِمَ رِيَاءَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ: «لِمَاذَا تُجَرِّبُونَنِي؟ اِيتُونِي بِدِينَارٍ لأَنْظُرَهُ». *فَأَتَوْا بِهِ. فَقَالَ لَهُمْ: «لِمَنْ هَذِهِ الصُّورَةُ وَالْكِتَابَةُ؟» فَقَالُوا لَهُ: «لِقَيْصَرَ». *فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلَّهِ لِلَّهِ». فَتَعَجَّبُوا مِنْهُ. (مرقس 12: 13-17).

وبعد معجزة تكثير الخبز والسمك: *فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ الآيَةَ الَّتِي صَنَعَهَا يَسُوعُ قَالُوا: «إِنَّ هَذَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ النَّبِيُّ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ!» *وَأَمَّا يَسُوعُ فَإِذْ عَلِمَ أَنَّهُمْ مُزْمِعُونَ أَنْ يَأْتُوا وَيَخْتَطِفُوهُ لِيَجْعَلُوهُ مَلِكاً انْصَرَفَ أَيْضاً إِلَى الْجَبَلِ وَحْدَهُ (يوحنا 6: 14-15).

وقد اتسم موقف يسوع من قبول لقب المسيح بالتردد وعدم الوضوح، لا سيما في الأناجيل الإزائية الثلاثة. فقد كان يُخرس الشياطين التي يخرجها من أجساد الممسوسين عندما كانت تتعرف عليه على أنه المسيح ولا يدعها تتكلم: فَشَفَى كَثِيرِينَ كَانُوا مَرْضَى بِأَمْرَاضٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَخْرَجَ شَيَاطِينَ كَثِيرَةً وَلَمْ يَدَعِ الشَّيَاطِينَ يَتَكَلَّمُونَ لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ. (مرقس 1: 34).

وَكَانَتْ شَيَاطِينُ أَيْضاً تَخْرُجُ مِنْ كَثِيرِينَ وَهِيَ تَصْرُخُ وَتَقُولُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ!» فَانْتَهَرَهُمْ وَلَمْ يَدَعْهُمْ يَتَكَلَّمُونَ لأَنَّهُمْ عَرَفُوهُ أَنَّهُ الْمَسِيحُ (لوقا 4: 41). وعندما قال له بطرس أنت المسيح لم يجبه بنعم أو لا، وإنما نهى تلاميذه أن يقولوا لأحد أنه المسيح: *ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَتَلاَمِيذُهُ إِلَى قُرَى قَيْصَرِيَّةِ فِيلُبُّسَ. وَفِي الطَّرِيقِ سَأَلَ تَلاَمِيذَهُ: «مَنْ يَقُولُ النَّاسُ إِنِّي أَنَا؟» *فَأَجَابُوا: «يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانُ وَآخَرُونَ إِيلِيَّا وَآخَرُونَ وَاحِدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ». *فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ: «أَنْتَ الْمَسِيحُ!» *فَانْتَهَرَهُمْ كَيْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ عَنْهُ. *وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. *وَقَالَ الْقَوْلَ عَلاَنِيَةً فَأَخَذَهُ بُطْرُسُ إِلَيْهِ وَابْتَدَأَ يَنْتَهِرُهُ. *فَالْتَفَتَ وَأَبْصَرَ تَلاَمِيذَهُ فَانْتَهَرَ بُطْرُسَ قَائِلاً: «اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ لأَنَّكَ لاَ تَهْتَمُّ بِمَا لِلَّهِ لَكِنْ بِمَا لِلنَّاسِ». (مرقس 8: 27-33). إن عتاب بطرس

ليسوع هنا ناجم عن سببين: الأول عدم اعتراف يسوع صراحة بأنه المسيح اليهودي المنـتـظر، وهي الصورة التي كانت في ذهـن بطرس تـمـامـاً عندما وصـفـه بالمسيح؛ والثاني عدم قبول بطرس لاستبدال فكرة المسيح المنتظر المنتصر بفكرة المسيح المتألم الذي يُرفض من الناس ثم يُقتل. ولـهـذا ثـارت ثـائرة يـسـوع واتـهـمـه بـعـدم الـفـهم وبـأنه يماشي عامة الناس في تصوراتهم عن المسيح.

فإذا انتقلنا إلى إنجيل لوقا في روايته للحادثة نفسها نجد روايته قريبة من رواية مرقس مع حذف اعتراض بطرس: *فَقَالَ لَهُمْ: «وَأَنْتُمْ مَنْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا؟» فَأَجَابَ بُطْرُسُ: «مَسِيحُ اللهِ». *فَانْتَهَرَهُمْ وَأَوْصَى أَنْ لاَ يَقُولُوا ذَلِكَ لأَحَدٍ *قَائِلاً: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيراً وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلُ وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (لوقا 9: 20-22). أما متّى فيستبدل المشادة التي حـصلت بين يسوع وبطرس بمديح مطول يوجهه يسوع إلى بطرس بعد اعترافه بـأنـه الـمـسـيـح: *فَأَجَابَ سِمْعَانُ بُطْرُسُ: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ». *فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «طُوبَى لَكَ يَا سِمْعَانُ بْنَ يُونَا إِنَّ لَحْماً وَدَماً لَمْ يُعْلِنْ لَكَ لَكِنَّ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ...... *حِينَئِذٍ أَوْصَى تَلاَمِيذَهُ أَنْ لاَ يَقُولُوا لأَحَدٍ إِنَّهُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ. (متّى 16: 13-20). ونحن هنا أمام تناقض واضح لا يمكن تفسيره إلا بأن مقطع المديح هنا هو مداخلة لاحقة من شأنها التخفيف من صدمة القـارئ مـن عـدم رغبة يسوع في توكيد أنه المسيح.

وحده إنجيل يوحنا يضع على لسان يسوع إجابة مباشرة تـفيد قبوله للقب المسيح دون تردد. ففي حواره مع المرأة السامرية عندما طلب منها شربة ماء عند البئر قالت لـه: *قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: «أَنَا أَعْلَمُ أَنَّ مَسِيَّا الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمَسِيحُ يَأْتِي. فَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُخْبِرُنَا بِكُلِّ شَيْءٍ». *قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا الَّذِي أُكَلِّمُكِ هُوَ» (يوحنا 4: 25-26). وعندما كان يتمشى في رواق الهيكل: «*فَاحْتَاطَ بِهِ الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «إِلَى مَتَى تُعَلِّقُ أَنْفُسَنَا؟ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا جَهْراً». *أَجَابَهُمْ يَسُوعُ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ (يوحنا 10: 24-25). ومسيحانية يسوع عند يوحـنـا كانت بادية لمن له عينان للنظر. فقد تعرف عليه يوحنا المعمدان عندما نظـره مـقـبلاً إليه فقال: وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هَذَا هُوَ ابْنُ اللَّهِ (يوحنا 1: 34). والتلـمـيــذ أندراوس تعرف على يسوع منذ أول لقاء، ومضى إلى أخيه سمعان بطـرس وقال لــه: "«قَدْ وَجَدْنَا مَسِيَّا» (اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: الْمَسِيحُ)» (يوحنا 1: 41). وقالت له مرتا أخت لعازر الذي أقامه من بين الأموات: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الآتِي إِلَى الْعَالَمِ» (يوحنا 11: 27).

وفي يوم المحاكمة، عندما كان الكاهن الأعلى أو الحاكم الروماني يسأل يسوع: أأنت المسيح؟ أو: أأنت ملك اليهود؟ كان يتقدم بإجابة غامضـة. وغالـبـاً ما يـقـول: أنـت تقول ذلك، أو أنت قلت. نقرأ عند لوقا: *وَلَمَّا كَانَ

النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ *قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ *وَإِنْ سَأَلْتُ لاَ تُجِيبُونَنِي وَلاَ تُطْلِقُونَنِي. *مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ». *فَقَالَ الْجَمِيعُ: «أَفَأَنْتَ ابْنُ اللهِ؟» فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ تَقُولُونَ إِنِّي أَنَا هُوَ» (لوقا 22: 66-70). وعند متّى: *فَقَامَ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ: «أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ؟ مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هَذَانِ عَلَيْكَ؟» *وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتاً. فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟» *قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». (متّى 26: 62-64). مرقس وحده بين الإزائـيـيـن جـعـــل يسوع يجيب رئيس الكهنة إجابة مباشرة: *فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ أَيْضاً: «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» *فَقَالَ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ. وَسَوْفَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً فِي سَحَابِ السَّمَاءِ» (مرقس 14:61-62). على أننا هنا لا يجـب أن نقلل من قيمة شهادات مخطوطات قديمة لإنجيل مرقس تضع على لـسـان يـسـوع الإجابة الغامضة: "أنت تقول ذلك". الأمر الذي يدل على وجود لمسـة تحـريـر لاحقة على إنجيل مرقس في هذا الموضع.

بعد استجواب يسوع في دار رئيس الكهنة واتهامه بالتجديف، يجري تقييده وسوقـه إلـى الـحـاكـم الـروماني بـيـلاطُس. وفـي دار الـولايـة يـجري الـحـوار بـيـن بيلاطس ويـسـوع. نقرأ في إنجيل متّى: فَوَقَفَ يَسُوعُ أَمَامَ الْوَالِي. فَسَأَلَهُ الْوَالِي: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ». (متّى 27: 11). ونـقـرأ في إنجيل مرقس: فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَأَجَابَ: «أَنْتَ تَقُولُ». (مرقس 15: 2). ونـقـرأ فـي إنـجـيـل لوقا: *فَقَامَ كُلُّ جُمْهُورِهِمْ وَجَاءُوا بِهِ إِلَى بِيلاَطُسَ *وَابْتَدَأُوا يَشْتَكُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «إِنَّنَا وَجَدْنَا هَذَا يُفْسِدُ الأُمَّةَ وَيَمْنَعُ أَنْ تُعْطَى جِزْيَةٌ لِقَيْصَرَ قَائِلاً: إِنَّهُ هُوَ مَسِيحٌ مَلِكٌ». *فَسَأَلَهُ بِيلاَطُسُ: «أَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» فَأَجَابَهُ: «أَنْتَ تَقُولُ». (لوقا 23: 1-3). في إنجيل يوحنّا يعطي يسوع إجابة أكـثـر تـفصيلاً: *......ثُمَّ دَخَلَ بِيلاَطُسُ أَيْضاً إِلَى دَارِ الْوِلاَيَةِ وَدَعَا يَسُوعَ وَقَالَ لَهُ: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» *أَجَابَهُ يَسُوعُ: «أَمِنْ ذَاتِكَ تَقُولُ هَذَا أَمْ آخَرُونَ قَالُوا لَكَ عَنِّي؟» *أَجَابَهُ بِيلاَطُسُ: «أَلَعَلِّي أَنَا يَهُودِيٌّ؟ أُمَّتُكَ وَرُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَسْلَمُوكَ إِلَيَّ. مَاذَا فَعَلْتَ؟» *أَجَابَ يَسُوعُ: «مَمْلَكَتِي لَيْسَتْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ. لَوْ كَانَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هَذَا الْعَالَمِ لَكَانَ خُدَّامِي يُجَاهِدُونَ لِكَيْ لاَ أُسَلَّمَ إِلَى الْيَهُودِ. وَلَكِنِ الآنَ لَيْسَتْ مَمْلَكَتِي مِنْ هُنَا». *فَقَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «أَفَأَنْتَ إِذاً مَلِكٌ؟» أَجَابَ يَسُوعُ: «أَنْتَ تَقُولُ إِنِّي مَلِكٌ. لِهَذَا قَدْ وُلِدْتُ أَنَا وَلِهَذَا قَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ لأَشْهَدَ لِلْحَقِّ. كُلُّ مَنْ هُوَ مِنَ الْحَقِّ يَسْمَعُ صَوْتِي». *قَالَ لَهُ بِيلاَطُسُ: «مَا هُوَ الْحَقُّ؟». وَلَمَّا قَالَ هَذَا خَرَجَ أَيْضاً إِلَى الْيَهُودِ وَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا لَسْتُ أَجِدُ فِيهِ عِلَّةً وَاحِدَةً (يوحنّا 18: 33-38).

نلاحظ من قول بيلاطس لليهود، في هذا المقتبس الأخير من يوحنّا:

"أنا لست أجد فـيـه علّة"، أن إجابة يسوع عن سؤال الآخرين عمّا إذا كان المسيح أو ملك اليهود بقولـه: "أنت تقول ذلك" لا تتضمن معنى الموافقة بأي حال من الأحوال. والحقيقة هي أن بيلاطس لو استشف الموافقة من يسوع وقبوله للقب المسيح أو ملك اليهود لاتـهـمه بالشغب السياسي وعـدم الولاء للإمبراطور. ولكن مجرى سير المحاكمة وهـزالة الأدلة التي قدمها اليهود على قيام يسوع بالتحريض السياسي، قد أوضحت عدم وجود أساس لهذه التهمة. فلا الأدلة كانت كافية لإدانتـه، ولا إجـابـاتـه عن أسئلة الكاهن الأعلى والحاكم الروماني كانت كافية أيضاً. فإجابته المقتضبة "أنـت تقول ذلك" إنما تضمر جملة أخرى بعدها هي: "لا أنا". وهـذا ما دعا بيلاطس إلى التعاطف معه ومـحـاولـة إخـلاء سبيله. ففي روايات الأناجيل الإزائية الثلاثة، إلى جانب رواية يوحنا، يقول بيلاطس إنه لم يجد في الأدلة ما يستوجـب الحـكـم على يسوع. يقول لوقا: *فَدَعَا بِيلاَطُسُ رُؤَسَاءَ الْكَهَنَةِ وَالْعُظَمَاءَ وَالشَّعْبَ *وَقَالَ لَهُمْ: «قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هَذَا الإِنْسَانَ كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ. وَهَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هَذَا الإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ (لـوقا: 23: 13-14). ويـقـول مرقس: فَسَأَلَهُمْ بِيلاَطُسُ: «وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ؟» فَازْدَادُوا جِدّاً صُرَاخاً: «اصْلِبْهُ!» (مرقس 15: 14). ويقول متّى: *قَالَ لَهُمْ بِيلاَطُسُ: «فَمَاذَا أَفْعَلُ بِيَسُوعَ الَّذِي يُدْعَى الْمَسِيحَ؟» قَالَ لَهُ الْجَمِيعُ: «لِيُصْلَبْ!» *فَقَالَ الْوَالِي: «وَأَيَّ شَرٍّ عَمِلَ؟» فَكَانُوا يَزْدَادُونَ صُرَاخاً قَائِلِينَ: «لِيُصْلَبْ!» *فَلَمَّا رَأَى بِيلاَطُسُ أَنَّهُ لاَ يَنْفَعُ شَيْئاً بَلْ بِالْحَرِيِّ يَحْدُثُ شَغَبٌ أَخَذَ مَاءً وَغَسَلَ يَدَيْهِ قُدَّامَ الْجَمْعِ قَائِلاً: «إِنِّي بَرِيءٌ مِنْ دَمِ هَذَا الْبَارِّ. أَبْصِرُوا أَنْتُمْ». *فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا» (متّى 27: 22-25).

ولكن إذا كان يسوع قد ادعى المسيحانية، فكيف كانت فكرته عن المسيح؟ وما هي مضامين اللقب بالنسبة إليه؟ هذا ما سوف نتعامل معه في البحث التالي.

الطبيعة الفائقة ليسوع

4- يسوع ابن الإنسان

لقد كان تردد يسوع في قبول لقب المسيح، ولقب ملك اليهود، نابعاً من التداعيات السياسية لهذين اللقبين، وارتباطهما بالمطامح الاستقلالية لليهود الذين كانوا ينتظرون مسيحاً داودياً يعيد أمجاد مملكة إسرائيل القديمة ويحارب أعداءها. ولكن هذا التردد لم يكن يعني أن يسوع لم يكن مدركاً لدوره المسيحي كمخلّص للبشرية، بل على العكس: لقد كان مسيحاً ولكن ليس الذي يتطلع إليه اليهود، ولذلك فقد اختار لقباً يتطابق وطبيعة مهمته ورسالته وهو "ابن الإنسان"، الذي يحمل مضامين لاهوتية لا صلة لها بالهموم السياسية والنزاعات القومية. وفي كل مرة كان يُسأل عما إذا كان هو المسيح المنتظر، كان يصرف نظر سائله عن لقب المسيح إلى اللقب الذي كان يفضله وهو"ابن الإنسان". ونحن إذا أردنا أن نفهم حق الفهم ما الذي كان يسوع يعنيه من وراء هذا اللقب، علينا أن ننظر إلى أصوله في الأسفار التوراتية، القانونية منها وغير القانونية.

الأفكار التأسيسية:

تعود التصورات الخاصة بـ "ابن الإنسان"، سواء في أسفار العهد الجديد أم في الأسفار التوراتية غير القانونية، إلى الصورة الحية التي رسمها له سفر دانيال في العهد القديم، وهو آخر الأسفار القانونية من حيث تاريخ التدوين (160ق.م). ففي الإصحاح السابع من هذا السفر تعرِضُ لدانيال الحكيم رؤيا وهو في بابل، يرى فيها أربعة وحوش مخيفة تمثل إمبراطوريات العالم القوية الأربع وهي: بابل وميديا وفارس واليونان. يلي ذلك مشهد يجلس فيه الرب للقضاء على هيئة رجل أبيض الشعر متقدم في السن: *كُنْتُ أَرَى أَنَّهُ وُضِعَتْ عُرُوشٌ وَجَلَسَ الْقَدِيمُ الأَيَّامِ. لِبَاسُهُ أَبْيَضُ كَالثَّلْجِ وَشَعْرُ رَأْسِهِ كَالصُّوفِ النَّقِيِّ وَعَرْشُهُ لَهِيبُ نَارٍ وَبَكَرَاتُهُ نَارٌ مُتَّقِدَةٌ. *نَهْرُ نَارٍ جَرَى وَخَرَجَ مِنْ قُدَّامِهِ. أُلُوفُ أُلُوفٍ تَخْدِمُهُ وَرَبَوَاتُ رَبَوَاتٍ وُقُوفٌ قُدَّامَهُ (دانيال 7: 9-10). بعد ذلك يحكم الديّان على الوحش الرابع بالهلاك، وينزع عن الوحوش الثلاثة الأخرى سلطانها، ويمهلها إلى أجل معلوم.ثم

تأتي الرؤيا إلى ذروتها في مشهد ظهور كائن متفوق يدعى ابن الإنسان يأتي على جناح الغمام: *كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. *فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ (دانيال 7: 13-14).

نلاحظ هنا أن فكرة مسيح آخر الأزمنة قد أضيفت إليها فكرة "الحقيقة المسيحانية" القائمة مع الله قبل خلق العالم. فالمسيح هو حقيقة كونية قائمة في عالم الـمُـثُل سوف تتجسد في إنسان يولد من عذراء ليخلص العالم. وسوف نجد الأسفار التوراتية غير القانونية تعطي تنويعاتها على هذه الفكرة، مثل سفر أخنوخ الأول الذي دوّن في زمن ما من أواسط القرن الأول الميلادي، أي قبل تدوين الأناجيل الرسمية. يضع كاتب السفر رؤياه على لسان أخنوخ بن يارد، وهو السلف السادس بعد آدم، والذي يقول عنه سفر التكوين إنه رُفع حياً إلى السماء، فأخنوخ يُعَرَج به إلى السماء، وتأخذه الملائكة في جولة تكشف له أسرار العالم العلوي، وصولاً إلى مواجهته مع ابن الإنسان: "هناك رأيت الذي رأسه مبدأ الأيام (الرب). كان شعره مشتعلاً بياضاً مثل الصوف، ومعه كائن آخر له مظهر الإنسان ووجهه ممتلئ نعمة كملاك قديس. فسألت الملاك المرافق له أن يكشف لي سر ابن الإنسان، من هو، ومن أين أتى، ولماذا يرافق مبدأ الأيام, فقال لي: هو ابن الإنسان الممتلئ بالخير والذي به يحيا الخير، لأن رب الأرواح اختاره، وقدرُه خير كله أمام رب الأرواح إلى الأبد. إن ابن الإنسان الذي رأيت سيرمي الملوك والجبابرة والأقوياء عن عروشهم وكراسيهم... سوف يخلع قلوب الأقوياء ويكسر أسنان الخطاة، ويُخفض وجوه العتاة ويُمرّغها بالعار، فيجعل الظلمة مسكنهم والديدان سريرهم، هناك يضطجعون ولا يقومون". وفي رؤيا ثانية تتجدد مواجهة أخنوخ مع ابن الإنسان: «هناك رأيت ينبوع الخير الذي لا ينضب معينُه، وحوله من كل ناحية كثير من ينابيع الحكمة ليشرب منها العطاش ويمتلئوا، فيعيشون مع الأخيار والقديسين والمختارين. في تلك الساعة سمّي ابن الإنسان أمام رب الأرواح وكان اسمه سابق الأيام (حرفياً: قبل بداية الأيام). قبل أن تُخلق الشمس وبروج السماء، قبل أن تُصنع نجوم السماء، دُعي اسمه أمام رب الأرواح. سيكون عصاً يتوكأ عليها الأبرار فلا يعثرون. سيكون نوراً تهتدي به الأمم وأملاً لجميع المحزونين. أمامه سيسجد أهل الأرض ويعبدونه، ويحمدون ويباركون رب الأرواح بالأناشيد. لأجل هذا تم اصطفاؤه وحَجبُهُ في حضرة رب الأرواح من قبل خلق العالم وإلى نهاية الدهر. لكن حكمة رب الأرواح قد كشفت عنه للقديسين والأبرار، لأنه حافظٌ للأبرار الذين نبذوا عالم الشر هذا، وكرهوا كل طرقه وأعماله، واعتصموا برب الأرواح الذي باسمه سوف يُخَلَّصون وفقاً لمرضاته. في تلك الأيام سيُذَلّ الملوك والمتنفذون جراء ما اقترفته أيديهم، وفي يوم كربهم لن يستطيعوا إنقاذ أنفسهم. عندها سوف

يُسلّمون إلى أيدي المختارين، وسوف يحترقون مثل قش في نار أمام وجه القديسين... في يوم كربهم ذاك سيحل سلام على الأرض، وهم يسقطون ولا يقومون».

"في تلك الأيام سوف تعيد الأرض أمانتها، وتلفظ الهادية ما أخذته إليها، ويسدد الجحيم دينه. في تلك الأيام سيقوم المصطفى (ابن الإنسان) ويختار من بين الأموات المبعوثين الأبرارَ منهم والقديسين، لأن يوم خلاصهم قد حان. في تلك الأيام سيجلس المصطفى على العرش وينطق فمه بأسرار الحكمة والموعظة الحسنة، لأن رب الأرواح قد منحه إياها ومجّده. في تلك الأيام سوف تقفز الجبال مثل كباش فرحة، وتنط التلال مثل حملان رُوِيَت حليباً. يومئذٍ ستشع وجوه الملائكة حبوراً، وتبتهج الأرض بالأخيار، والمختارون يرتعون فيها، ورب الأرواح يحكم فوقهم. سوف يأكلون مع ابن الإنسان، وينامون ويستيقظون في كل يوم إلى أبد الآبدين. سيرفعون قاماتهم على الأرض ولا يخفضون رؤوسهم أبداً. عليهم عباءات مجد، عباءات الحياة من رب الأرواح، عباءات لا تبلى مع الزمن، ولا يبلى مجدهم أمام رب الأرواح[55].

ابن الإنسان في العهد الجديد:

هذه الشخصية - الفكرة الموجودة لدى الله قبل خلق العالم، والتي سوف تتجسد في إنسان من لحم ودم يأتي ليدين العالم ويفصل بين الأشرار والأخيار، ويحكم على مملكة الرب المقبلة، سيطرت على لاهوت إنجيل يوحنا منذ افتتاحيته الفخمة التي تفوح منها رائحة الفلسفة اليونانية: *فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ..... *كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ..... *وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً (يوحنا1: 1-14).

وقد ورد تعبير "ابن الإنسان"[56] في إنجيل يوحنا نحو إحدى عشرة مرة على لسان يسوع الذي كان يشير إلى نفسه بهذا اللقب، بما ينطوي عليه من المعاني التي أسس لها سفر دانيال والأسفار غير القانونية، إضافة إلى ظلال من مفهوم "المسيح المتألم"، عبد الرب البار، الذي يحمل خطايا البشر ويهبهم الخلاص بموته: *إِنْ كُنْتُ قُلْتُ لَكُمُ الأَرْضِيَّاتِ وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ فَكَيْفَ تُؤْمِنُونَ إِنْ قُلْتُ لَكُمُ السَّمَاوِيَّاتِ؟ *وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ. ثم يردف يسوع مازجاً مفهوم ابن الإنسان الذي كان في السماء بمفهوم المسيح قائلاً: *«وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ *لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ (يوحنا 3: 12-15). والحية التي يشير إليها يسوع هي حية النحاس التي رفعها موسى على عصا بأمر الرب بعد أن سلط عليهم الحيات لتلدغهم، فكان مَنْ لدغته حية ينظر إلى حية النحاس

فيشفى. فيسوع الذي سيُرفَع على الصليب يشبه تلك الحية النحاسية، لأن كل من يؤمن بالآثار الخلاصية لصلب يسوع يحصل على الحياة الأبدية.

اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ لأَنَّ هَذَا اللَّهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ (يوحنا 6: 27). أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً يَسِيراً بَعْدُ ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي (يوحنا 7: 33). أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ (يوحنا 8: 23). مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي أَنَا هُوَ (يوحنا 8: 28). *فَقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «لَيْسَ لَكَ خَمْسُونَ سَنَةً بَعْدُ أَفَرَأَيْتَ إِبْرَاهِيمَ؟» *قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا 8: 57-58). خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِ الآبِ وَقَدْ أَتَيْتُ إِلَى الْعَالَمِ وَأَيْضاً أَتْرُكُ الْعَالَمَ وَأَذْهَبُ إِلَى الآبِ (يوحنا 16: 28)....مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ (يوحنا 17: 5).

هذا الوجود السابق لابن الإنسان على وجود العالم هو حالة من الوجود المثالي غير المتحقق في صيغة مادية، انتقل إلى حالة الوجود المتحقق عندما حملت العذراء بيسوع. ولا يوجد في أقوال يسوع التي يوردها يوحنا، ولا في أي موضع آخر من أسفار العهد الجديد، ما يدل على أن يسوع ابن الإنسان معادل للآب في الجوهر أو مساوٍ له في القدم. ويسوع في الأقوال التالية التي نقتبسها من إنجيل يوحنا، إنما يضع حداً فاصلاً واضحاً كل الوضوح بينه وبين الآب الذي يقول عنه إنه وحده الإله الحق:

- وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ (17: 3).

- الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ (5: 19).

- لأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكلاَمِ اللَّهِ. لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللَّهُ الرُّوحَ (3: 34).

- ... هَذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي (5: 36).

- لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي (6: 38).

- تَعْلِيمِي لَيْسَ لِي بَلْ لِلَّذِي أَرْسَلَنِي (7: 16).

- كَمَا أَرْسَلَنِي الآبُ الْحَيُّ وَأَنَا حَيٌّ بِالآبِ (6: 57).

- أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي (8: 38).

- فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ (12: 50).

- أَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمْ كلاَمَكَ وَالْعَالَمُ أَبْغَضَهُمْ لأَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ (17: 14).

- وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ (14: 31).

ويسوع يخاطب الآب بصيغة "إلهي". فقد قال للتلاميذ: «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى أَبِي وَأَبِيكُمْ وَإِلَهِي وَإِلَهِكُمْ» (يوحنا 20: 17). وقبل أن يلفظ الروح نادي الآب قائلاً: إِلَهِي إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟.... ومن كان الآب إلهه لا يمكن أن يكون مساوياً له في القدم أو معادلاً له في الجوهر.

فإذا انتقلنا إلى الأناجيل الإزائية الثلاثة: متى ومرقس ولوقا، نجد أن يسوع كان يستخدم لقب ابن الإنسان لصرف النظر عن لقب المسيح واستبداله باللقب الذي يفضله. وفي جميع هذه المواضع فإنه يتحول من فكرة المسيح الداودي إلى فكرة ابن الإنسان المتألم، فيتنبأ بموته وقيامته، ثم عودته في آخر الأزمنة على ظلال الغمام قاضياً ودياناً. فعندما قال له بطرس: أنت المسيح، انتهر التلاميذ وأخبرهم ألا يقولوا لأحد عنه، ثم: وَابْتَدَأَ يُعَلِّمُهُمْ أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ كَثِيراً وَيُرْفَضَ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ وَيُقْتَلَ وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ يَقُومُ. (مرقس 8: 31). *«وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. *وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. (متى 24: 29-30). فَيُرْسِلُ حِينَئِذٍ مَلاَئِكَتَهُ وَيَجْمَعُ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ الأَرْضِ إِلَى أَقْصَاءِ السَّمَاءِ. (مرقس 13: 27). *وَإِذْ كَانَ الْجَمِيعُ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ كُلِّ مَا فَعَلَ يَسُوعُ قَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: *«ضَعُوا أَنْتُمْ هَذَا الْكَلاَمَ فِي آذَانِكُمْ: إِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يُسَلَّمُ إِلَى أَيْدِي النَّاسِ» (لوقا 9: 43-44). لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ (لوقا 19: 10). *وَلَكِنْ هُوَذَا يَدُ الَّذِي يُسَلِّمُنِي هِيَ مَعِي عَلَى الْمَائِدَةِ. *وَابْنُ الإِنْسَانِ مَاضٍ كَمَا هُوَ مَحْتُومٌ وَلَكِنْ وَيْلٌ لِذَلِكَ الإِنْسَانِ الَّذِي يُسَلِّمُهُ (لوقا 22: 21-22).

وفي يوم المحاكمة كان كلما سئل عمّا إذا كان هو المسيح، يراوغ في الإجابة ويصرف ذهن سائليه إلى مفهوم ابن الإنسان: *وَلَمَّا كَانَ النَّهَارُ اجْتَمَعَتْ مَشْيَخَةُ الشَّعْبِ: رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةُ وَأَصْعَدُوهُ إِلَى مَجْمَعِهِمْ *قَائِلِينَ: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ فَقُلْ لَنَا». فَقَالَ لَهُمْ: «إِنْ قُلْتُ لَكُمْ لاَ تُصَدِّقُونَ *وَإِنْ سَأَلْتُ لاَ تُجِيبُونَنِي وَلاَ تُطْلِقُونَنِي. *مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ». (لوقا 22: 66-69). *فَسَأَلَهُ رَئِيسُ الْكَهَنَةِ: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟»

*قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنْتَ قُلْتَ! وَأَيْضاً أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ وَآتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». (متى 26: 63-64) فإذا انتقلنا إلى بقية أسفار العهد الجديد، نجد أن بولس لم يستخدم تعبير ابن الإنسان، بينما ورد مرة واحدة في سفر أعمال الرسل على لسان اسطفانوس أول شهيد في المسيحية، عندما كان يلعن اليهود وهم يرجمونه: هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِماً عَنْ يَمِينِ اللهِ (أعمال 7: 56). كما ورد التعبير في سفر الرؤيا مرة واحدة أيضاً: *ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا سَحَابَةٌ بَيْضَاءُ، وَعَلَى السَّحَابَةِ جَالِسٌ شِبْهُ ابْنِ إِنْسَانٍ، لَهُ عَلَى رَأْسِهِ إِكْلِيلٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَفِي يَدِهِ مِنْجَلٌ حَادٌّ. *وَخَرَجَ مَلاَكٌ آخَرُ مِنَ الْهَيْكَلِ، يَصْرُخُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْجَالِسِ عَلَى السَّحَابَةِ: «أَرْسِلْ مِنْجَلَكَ وَاحْصُدْ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتِ السَّاعَةُ لِلْحَصَادِ، إِذْ قَدْ يَبِسَ حَصِيدُ الأَرْضِ» (الرؤيا 14: 14-16).

15

الطبيعة الفائقة ليسوع

5- مفهوم "ابن الله"

الأفكار التأسيسية

يعتبر لقب "ابن الله" الذي استخدمه مؤلفو أسفار العهد الجديد في الإشارة إلى يسوع، ولقب "الابن" الذي استخدمه يسوع في الإشارة إلى نفسه، من أهم النقاط الخلافية التي أثار القرآن الكريم بخصوصها جدلاً واسعاً مع اللاهوت المسيحي، علماً بأن الفجوة ليست واسعة بين القرآن والعهد الجديد فيما يتعلق بالمضامين الأصلية للقب. فما الذي كان يعنيه "العهد الجديد" عندما كان يصف يسوع بابن الله. لكي نفهم هذه النقطة لا بد لنا من العودة إلى الأصول.

في تقصينا للأفكار التأسيسية لمفهوم "ابن الله" سوف نتخطى الدائرة الثقافية الفلسطينية إلى الدائرة الأوسع التي تنـتمي إليها، وأعني الثقافة الكنعانية، حيث كان الملك يتمتع بلقب "ابن إيل" أي ابن الله، وحيث كانت مؤسسة الملكية في الأيديولوجيا الملوكية الكنعانية بمثابة صلة وصل بين عالم الألوهة وعالم البشر. وسبيلنا إلى ذلك هو التركة الميثولوجية الغنية لحضارة مدينة أوغاريت السورية، التي بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

إن أول ما يلفت نظرنا في الملاحم الأوغاريتية هو قدسية مؤسسة الملوكية، والتداخل الواضح بين العالم الذي يعيش فيه أفرادها وعالم الآلهة. فالإله بعل في ملحمة أقهات يظهر لدانيال الحاكم العادل، ويعده بالتوسط لدى كبير الآلهة إيل ليزيل عنه لعنة العقم ويهبه ولياً للعهد، فيرزق بولد ويدعوه أقهات. وعندما يكبر أقهات ويبلغ مبلغ الشباب، يقوم إله الصناعة والحرف كوثر بزيارة لأسرة دانيال، ويتناول الطعام على مائدتهم، ثم يهدي أقهات قوساً عجيب الصنعة. بعد ذلك تقوم الإلهة عناة بزيارة أخرى للأسرة، فتأكل على مائدتهم أيضاً، وتحصل مشادة بينها وبين أقهات بسبب رفضه إعطاءها قوسه هدية.

وولي العهد منذ ولادته يتخذ دور الابن المتبنى من كبير الآلهة إيل وزوجته عشيرة. وتبدأ صلته بعالم الألوهة عندما ترضعه أم الآلهة عشيرة وإلهة الخصب عناة. نقرأ في ملحمة كِرت في مشهد بشارة إيل للملك كِرت بولد يرثه على العرش:

لقد اتخذتَ زوجة يا كرت،

لقد جئت بزوجة إلى بيتك.

سوف تلد لك سبعة أبناء،

سوف تنجب لك الفتى "يصَب"

الذي سوف يرضع حليب عشيرة،

ويمتص من ثدي عناة:

مرضعتَي الآلهة.

ولذلك فإننا نجد كبير الآلهة إيل يشير إلى الملك الأوغاريتي على أنه ابنه. ففي ملحمة كِرت، عندما كان الملك كرت يتضرع إلى الآلهة كي تهبه ذرية، تجلى له إيل في الحلم وقال له:

لماذا يبكي كرت؟

ولماذا تدمع عينا الطيب ابن إيل؟

هل يرغب في مُلك كمُلك أبيه الثور (إيل)

أم يبغي سلطاناً كسلطان أبي البشر؟

كما كان الآخرون يشيرون إلى الملك على أنه ابن إيل، بمن فيهم أهل بيته الذين كانت لديهم قناعة راسخة بأبوة إيل للملك. فعندما مرض كرت وشارف على الموت، وقف أحد أولاده أمام سريره وندبة قائلاً:

أبي، كنـزي،

كيف يقولون إن كرت ابن الآلهة،

وإن كرت من ذرية إله الرحمة،

وإنه من أبناء القدوس؟

أوَ هل تموت الآلهة يا أبي؟

وذرية إله الرحمة، آلن تعيش إلى الأبد؟

ثم تدخل ابنته وتندبه بمثل ما تقدم، ثم تضيف:

يبكيك يا أبي جبل صافون، جبل بعل

تبكيك الرايات العظيمة المقدسة

أليس كرت من أبناء إيل؟

أليس كرت من ذرية إله الرحمة،

ومن سلالة القدوس؟

هذا الوضع الخاص للملك الكنعاني يجعل منه صلة وصل بين عالم الألوهة وعالم البشر، وضامناً لخصوبة الأرض والطبيعة. فإذا خارت قوى الملك وألمَّ به مرض، انعكس ذلك على مقدرته على تحقيق هذه الصلة مع القوى الإخصابية. لذلك فعندما استلقى الملك كرت على فراش الموت:

رفع الفلاحون رؤوسهم،

وانتصبت ظهور من يبذرون الحبوب.

لقد نفد الخبز من معاجنهم،

ونضبت الخمرة من دنانهم،

وفرغت قربهم من السمن[57].

ولكن الإله إيل يتدخل شخصياً من أجل شفاء ابنه المتبنى، مثلما أسبغ عليه عنايته ورعايته عبر مراحل حياته المختلفة، فيرسل إليه إحدى إلهات الشفاء التي تطير فوق السهول والجبال وتجمع أعشاباً شافية تحملها إلى كرت وتداويه بها فيبلى من مرضه.

وفي الحقيقة فقد توافر لدينا من الأدلة النصية الطقسية ما يدل على أن ملوك أوغاريت قد أُلِّهوا بعد مماتهم، ولكن لم يتوافر لدينا دليل على أنهم قد ألّهوا في حياتهم، أو أنهم كانوا أنصاف آلهة ولدوا من زواج كائن إلهي بامرأة بشرية. من هنا فإن صلة البنوة التي تجمع بين الملك والإله إيل ليست إلا صلة مجازية تعبر عن الوضع المميز للملك، وعن قدسية مؤسسة الملوكية الكنعانية، وترسم خطوط الحق الذي يحكمون بموجبه، وهو الحق الإلهي.

هذه الأيديولوجية الملوكية الكنعانية كانت سائدة في ممالك فلسطين، ومنها انتقلت إلى كتاب العهد القديم الذي كان يصف ملوك

إسرائيل الأوائل بأبناء الله. فالملك المسيح، الذي اختاره الرب لحكم إسرائيل، هو ابن بالتبني لله. وصلة الأبوة والبنوة التي تجمع بينهما هي نوع من المجاز اللغوي الذي يعبر عن مكانة الملك (الذي كان يدعى بمسيح الرب) عند الله. وفي ظل العقيدة التوحيدية الصارمة لكتاب العهد القديم لا يوجد لدينا أي نص، سواء من الأسفار القانونية أو غير القانونية، يمكن أن نستشف منه ألوهية أحد من البشر.

نقرأ في المزمور الثاني على لسان داود الحديث التالي عن بنوته للرب: *إِنِّي أُخْبِرُ مِنْ جِهَةِ قَضَاءِ الرَّبِّ. قَالَ لِي: أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. *اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ (المزمور 2: 7-8). وفي المزمور 89، نقرأ على لسان الرب فيما يخص أبوته لداود: *وَجَدْتُ دَاوُدَ عَبْدِي. بِدُهْنِ قُدْسِي مَسَحْتُهُ... *هُوَ يَدْعُونِي: أَبِي أَنْتَ. إِلَهِي وَصَخْرَةُ خَلاَصِي *أَنَا أَيْضاً أَجْعَلُهُ بِكْراً أَعْلَى مِنْ مُلُوكِ الأَرْضِ (المزمور 89: 20-27). وفي سفر صموئيل الثاني نقرأ على لسان الرب أيضاً بخصوص أبوته للملك سليمان:... أُقِيمُ بَعْدَكَ نَسْلَكَ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَحْشَائِكَ وَأُثَبِّتُ مَمْلَكَتَهُ.... أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً (صموئيل الثاني 7: 12-14). وفي سفر أخبار الأيام الأول: *هُوَ يَبْنِي لِي بَيْتاً وَأَنَا أُثَبِّتُ كُرْسِيَّهُ إِلَى الأَبَدِ. *أَنَا أَكُونُ لَهُ أَباً وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْناً, وَلاَ أَنْزِعُ رَحْمَتِي عَنْهُ كَمَا نَزَعْتُهَا عَنِ الَّذِي كَانَ قَبْلَكَ (1 أخبار 17: 12-13).

بعد زوال عصر الملوكية في إسرائيل، تحول الفكر الديني من مفهوم الملك مسيح الرب الذي يحكم إسرائيل، إلى مسيح آخر الأزمنة مخلّص إسرائيل الذي سيأتي من نسل داود، والذي سيحمل لقب ابن الله مثل ملوك إسرائيل الأوائل. وهذا ما يظهر بشكل جلي في الأسفار التوراتية غير القانونية. نقرأ في سفر مزامير سليمان (36) على لسان مسيح آخر الأزمنة:

لقد جاء بي الروح إلى حضرة الرب.

ولأنني كنت ابن الإنسان،

فقد دعيتُ بالنور وبابن الله.

ولأني كنت الممجد بين الممجدين،

والأعظم بين العظماء،

عمَّدني الرب بكماله وصرت من المقربين؛

وانفتح فمي مثل غيمة ندى،

وتدفَّق من قلبي نبع من البر.

وفي سفر عزرا الرابع نقرأ في إحدى الرؤى التي تتابعت له:

"وأنا عزرا، رأيت على جبل صهيون حشداً كبيراً مسالماً لم أستطع عدَّه، وكلهم يمجِّدون الرب بالأناشيد. وفي وسطهم هنالك شاب ذو قامة فارعة أطول من الجميع، كان يضع تاجاً على رأس كل منهم. فسألت الملاك عمن يكون هؤلاء، فقال لي: هؤلاء هم الذي نضوا عنهم ثوب الفناء ولبسوا ثوب الخلود وآمنوا باسم الله. وها هم يتوَّجون ويتلقون أغصان نخيل. فقلت للملاك: من هو الشاب الذي يضع التيجان على رؤوسهم ويقدم لهم أغضان النخيل؟ فقال لي: إنه ابن الله الذي آمنوا به في الحياة الدنيا".

وفي رؤيا أخرى من سفر عزرا الرابع أيضاً، نقرأ على لسان الرب خبر مملكة ابنه المسيح التي سوف تحل في آخر الأزمان:

"هو ذا يوم يأتي بعد ظهور الإشارات التي أنبأتك بها، فتظهر المدينة التي لا أثر لها الآن، ويُكشف عن الأرض غير المنظورة الآن. عندها سيرى كل من نجا من الكوارث التي أخبرتك عنها عجائبي. عندها سيظهر المسيح ابني والذين معه، وسينعم الذين بقوا مدة أربعمئة سنة"[58].

وباختصار إن المزمور الثاني الذي اقتبسنا منه آنفاً، يوضح طبيعة تعبير "ابن الله"، سواء في الأسفار القانونية أم غير القانونية. ففي قول الرب أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ، دلالة لا لبس فيها على أن علاقة الأبوة والبنوة بين الطرفين ليست علاقة قديمة بل حادثة، وأنها قد تأسست بعد المسح والاختيار، وما من علاقة ميتافيزيقية من أي نوع تجعل مسيح الرب مشاركاً له في القدم أو الطبيعة.

ولقد جرى مسح يسوع عندما هبط عليه الروح في هيئة جسمية مثل حمامة، بعد خروجه من ماء العماد، وصوت من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت.

وهذا ما ينقلنا إلى مفهوم ابن الله في العهد الجديد، وهو موضوع البحث التالي.

الطبيعة الفائقة ليسوع

6- "ابن الله" في العهد الجديد

من عرضنا السابق للطريقة التي استخدمت بها الأسفار التوراتية، وكتابات ما بين العهدين (الأسفار غير القانونية)، لقب "ابن الله"، توصلنا إلى نتيجة مفادها أن اللقب لا يعدو أن يكون مجازاً لغوياً يعبر عن حميمية العلاقة بين الله ومسيحه. وقد عبر مؤلفو العهد الجديد عن هذه الصلة أفضل تعبير، حيث ورد عند متى ولوقا القول التالي ليسوع: "كل شيء قد دُفع إلي من أبي. وليس أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له". (متى 11: 27 ولوقا 10: 22). فالابن يكشف عن أسرار الله، ويفتتح ملكوته على الأرض، ولهذا فهو أقرب بني البشر إليه وأكثرهم معرفة له. وفي الحقيقة، فإن طريقة استخدام مؤلفي الأناجيل الإزائية لهذا اللقب تدل على أنهم لم يعنوا به أكثر مما عني به مؤلفو أسفار العهد القديم وكتابات ما بين العهدين. فهو اللقب الذي يتصل عضوياً بلقب المسيح ابن داود المنتظر الذي يفتتح ملكوت السماوات. ولم يكن في ذهن بطرس غير هذه الصورة عندما قال ليسوع: «أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ الْحَيِّ» (متى 16: 16). ولذلك فقد نهاهم أن يخبروا أحداً بأنه المسيح. وهذه الصورة هي التي كانت في ذهن كبير الكهنة عندما سأل يسوع أثناء جلسة الاستجواب: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ؟» (متى 26: 63)، أو «أَأَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» (مرقس 14: 61). أما الحاكم بيلاطس الذي لم يكن يعرف شيئاً عن لاهوت العهد القديم، ويركز اهتمامه على التداعيات السياسية لقضية يسوع، فقد كان يسأله: «أَأَنْتَ مَلِكُ الْيَهُودِ؟» (مرقس 15: 3).

كما ونجد يسوع في الأناجيل الإزائية متحفظاً تجاه لقب ابن الله تحفُّظه تجاه لقب المسيح، وهو لم يستخدمه في الإشارة إلى نفسه. وفي مناسبتين اثنتين أشار إلى نفسه بلقب "الابن". فإلى جانب المقتبس الذي أوردناه أعلاه حيث يقول: لا أحد يعرف الابن إلا الآب، ولا أحد يعرف الآب إلا الابن، هناك مناسبة ثانية استخدم فيها يسوع لقب الابن، عندما أعلن لتلاميذه أنه لا يشارك الله في علمه ومعرفته، وذلك في معرض حديثه عن

موعد اليوم الأخير: وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن، إلا الآب (وحده يعرف) (مرقس 13: 32 ومتى 24: 36).

فيما عدا هاتين المناسبتين فقد كان لقب ابن الله يطلق على يسوع من قبل جهة أخرى يضع مؤلفو الأناجيل على لسانها هذا القول: *فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ فَرَأَى رُوحَ اللَّهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ *وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (متى 3: 16-17). وفي مشهد التجلي على الجبل نقرأ: فجاء صوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابني الحبيب، له اسمعوا. فنظروا حولهم بغتة ولم يروا أحداً غير يسوع وحده معهم.(متى 17: 5، ومرقس 9: 7، ولوقا 9: 35). وكانت الأرواح النجسة التي يخرجها من أجسام الممسوسين تصرخ وتقول: "أنت ابن الله" (مرقس 3: 11 ومتى 8: 29). وعندما رُفع يسوع على الصليب راح اليهود يهزؤون منه قائلين:...إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللَّهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ! (متى 27: 40). وعندما رأى الضابط الروماني الظواهر الطبيعية التي ترافقت مع موت يسوع، قال والذين معه حَقّاً كَانَ هَذَا ابْنَ اللَّهِ (متى 27: 54).

في جميع هذه المواضع التي ورد فيها لقب ابن الله في الأناجيل الإزائية، لا نستطيع أن نستشف وجود نوع من الوحدة بين الآب والابن. لقد قال الصوت السماوي: هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ، وتوجه يسوع إلى ربه قائلاً: يا أبتاه. ولكنه في الوقت نفسه قال للتلاميذ: "أبي وأبوكم" و "أبوكم السماوي". فالله أب لجميع الناس وكلهم أبناؤه، ولكن يسوع باعتباره صفوة بني البشر كان أقرب الناس إليه وابنه الأحب إليه. ويجب ألا ننسى أنه قد ولد من دون أب بشري. وما من أب له سوى الله. وعلى حد قول الملاك لـ مريم: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.

إذا انتقلنا إلى الإنجيل الرابع، إنجيل يوحنا، تواجهنا أقوال مطولة ليسوع لم ترد في الأناجيل الأخرى، الأمر الذي يجعل إنجيل يوحنا إنجيلاً فريداً بين الأناجيل. ولطالما أُخذت هذه الأقوال على أنها إعلان من قبل يسوع لألوهيته، وعليها قامت بالدرجة الأولى عقيدة التثليث التي نسجها اللاهوت المسيحي اللاحق. فهل تحتمل أقوال يسوع في هذا الإنجيل ما حُمّلته؟ سيكون مفتاحنا للإجابة عن هذا السؤال الكيفية التي استخدم بها يسوع ومؤلف الإنجيل لقب "ابن الله"، واللقب الآخر وهو "الابن".

في إنجيل يوحنا يستخدم الآخرون لقب ابن الله في الإشارة إلى يسوع، وهو يستخدمه بحرية دون تردد مثلما قَبِلَ واستخدم لقب المسيح. وفي هذه المواضع يُستخدم اللقب كمرادف للقب المسيح الذي يأتي في نهاية الزمن قاضياً وديّاناً. فالمعمدان قد تعرف عليه منذ اللحظة الأولى باعتباره المسيح ابن الله: الَّذِي تَرَى الرُّوحَ نَازِلاً وَمُسْتَقِرّاً عَلَيْهِ فَهَذَا هُوَ

الّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ (1: 33). وقال له التلميذ نتَنائيل: يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!. وقال له بطرس: وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ (6: 69)، وعندما شفى أعمى منذ الولادة قال له: *...«أَتُؤْمِنُ بِابْنِ اللَّهِ؟» *أَجَابَ: «مَنْ هُوَ يَا سَيِّدُ لأُومِنَ بِهِ؟» *فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «قَدْ رَأَيْتَهُ وَالَّذِي يَتَكَلَّمُ مَعَكَ هُوَ هُوَ» (9: 35-37). وعندما شفى مريضاً في يوم السبت شغبَ اليهود عليه فقال لهم: *«أَبِي يَعْمَلُ حَتَّى الآنَ وَأَنَا أَعْمَلُ». *فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ بَلْ قَالَ أَيْضاً إِنَّ اللَّهَ أَبُوهُ مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللَّهِ (5: 17-18). وهو في دور المسيح المنتظر سوف يأتي في آخر الزمان قاضياً ودياناً: اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ يَسْمَعُ الأَمْوَاتُ صَوْتَ ابْنِ اللَّهِ وَالسَّامِعُونَ يَحْيَوْنَ (5: 25). *لاَ تَتَعَجَّبُوا مِنْ هَذَا فَإِنَّهُ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَسْمَعُ جَمِيعُ الَّذِينَ فِي الْقُبُورِ صَوْتَهُ *فَيَخْرُجُ الَّذِينَ فَعَلُوا الصَّالِحَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الْحَيَاةِ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَى قِيَامَةِ الدَّيْنُونَةِ (5: 28-29).

وينفرد إنجيل يوحنا عن الأناجيل الإزائية بلقب "الابن" الذي يعطيه منزلة فوق كل منزلة في سلم الخليقة، وبلقب "الابن الوحيد": اَللَّهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلاِبْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ (1: 18). *لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. *لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ..... (3: 16-18). وبنوة البشر الآخرين لله لا تُعطى إلا من خلال يسوع: آمِنُوا بِالنُّورِ (يسوع) لِتَصِيرُوا أَبْنَاءَ النُّور (12: 36). أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي (14: 6). *إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. *وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ (1: 11-12).

ويقرن يسوع بين لقب ابن الله ولقب ابن الإنسان: *فَقَالَ نَثَنَائِيلُ: «يَا مُعَلِّمُ أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ!» *أَجَابَ يَسُوعُ: «هَلْ آمَنْتَ لأَنِّي قُلْتُ لَكَ إِنِّي رَأَيْتُكَ تَحْتَ التِّينَةِ؟ سَوْفَ تَرَى أَعْظَمَ مِنْ هَذَا!» *وَقَالَ لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً وَملاَئِكَةَ اللَّهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ». (1: 49-51). ويسوع هنا في إشارته إلى ابن الإنسان، إنما يعني به الوجود السابق للمسيح في عالم الله، والذي أعده منذ القدم لرسالة معينة على الأرض. فهو حقيقة ميتافيزيقية خارج حدود الزمان والمكان، وفكرة سوف تتحقق في المستقبل وتتجسد في شخص يسوع المسيح. هذا الوجود السابق للمسيح، يتحدث عنه يسوع في عدد من أقواله التي سنورد بعضها فيما يلي، آخذين بالحسبان ما ورد في سفر دانيال: *كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. *فَأُعْطِيَ سُلْطَاناً وَمَجْداً وَمَلَكُوتاً لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ. وكذلك ما ورد في سفر أخنوخ الأول: "في تلك الأيام سُمِّي ابن

الإنسان أمام رب الأرواح، وكان اسمه سابق الأيام (حرفياً: قبل الأيام). قبل أن تخلق الشمس وبروج السماء، قبل أن تُصنع نجوم السماء، دُعي اسمه أمام رب الأرواح".

قال يسوع: وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ إِلاَّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذِي هُوَ فِي السَّمَاءِ. يوحنا (3: 13). الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ (8: 58). لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَأَتَيْتُ (8: 42). وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي (16: 5). أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلُ أَمَّا أَنَا فَمِنْ فَوْقُ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ (8: 23). لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي (6: 38). وَالآنَ مَجِّدْنِي أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ عِنْدَ ذَاتِكَ بِالْمَجْدِ الَّذِي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبْلَ كَوْنِ الْعَالَمِ (17: 5)

هذا الوجود الميتافيزيقي السابق الذي ينسبه يسوع إلى نفسه، يشبه في جوهره مفهوم "الكلمة المحمدية" أو "الحقيقة المحمدية" في الفكر الديني الإسلامي[59]. فقد شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد عليه السلام، أو بعبارة أدق بأزلية "النور المحمدي" أو "الحقيقة المحمدية". وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً ولم يلبث أهل السنة أن أخذوا به. واستند الكل في دعواهم إلى أحاديث نبوية مثل: "أنا أول المسلمين"، "كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد". وقد أفاض الشيعة في وصف هذا النور المحمدي، فقالوا إنه ينتقل في الزمان، وإنه هو الذي ظهر في صورة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيراً في صورة خاتم النبيين محمد عليه السلام. وبهذا أرجعوا جميع الأنبياء إلى أصل واحد.

أما محيي الدين بن عربي[60] فيرى في الحقيقة المحمدية أكمل مجلى خَلقي ظهر فيه الحق، بل هي الإنسان الكامل بأخص معانيه. وإن كان كل موجود مجلى خاصاً لاسم إلهي، فإن محمداً انفرد بأنه مجلى للاسم الجامع وهو الاسم الأعظم: الله. والحقيقة المحمدية هي مبدأ خلق العالم وأصله، حيث إنها النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. وهي أول مرحلة من مراحل التنـزل الإلهي في صور الوجود، ولذلك يدعوها بحقيقة الحقائق، وبالعقل الأول الذي يقف بين الحق والخلق، وبالقلم. هذه الحقيقة المحمدية التي هي النور المحمدي، والتي لها أسبقية الوجود على النشأة الجسدية لمحمد، لها ظهور في كل نبي بوجه من الوجوه، إلا أن مظهرها الذاتي التام هو شخص محمد.

وعلى هذا فإن مفهوم الحقيقة المحمدية يتفق مع مفهوم "الكلمة"، التي هي "اللوغوس" أو "العقل" في لاهوت إنجيل يوحنا، لا سيما فيما يتعلق بعلاقتها بالعالم. فالحقيقة المحمدية هي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. وكذلك "الكلمة": *........ كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ... *وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا

لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً..... (يوحنا الإصحاح الأول).

إلا أن الوجود الميتافيزيقي السابق على العالم للابن، لا يعني وفق منطوق إنجيل يوحنا القول بمعادلته بالآب في الجوهر أو مساواته له في القدم. وقد وصف يسوع في إنجيل يوحنا، وفي كل مناسبة، وضعه بالنسبة إلى الآب، وهو وضع التابع له المنفذ لمشيئته، ورسم حداً فاصلاً بين الطبيعتين واضحاً كل الوضوح. قال يسوع:

• الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الاِبْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ (5: 19).

•.هَذِهِ الأَعْمَالُ بِعَيْنِهَا الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا هِيَ تَشْهَدُ لِي أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَنِي (5: 36).

• تَعْرِفُونَنِي وَتَعْرِفُونَ مِنْ أَيْنَ أَنَا وَمِنْ نَفْسِي لَمْ آتِ بَلِ الَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ حَقٌّ الَّذِي أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ (7: 28).

• وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِي وَلَمْ يَتْرُكْنِي الآبُ وَحْدِي لأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ (8: 29).

• أَنَا أَتَكَلَّمُ بِمَا رَأَيْتُ عِنْدَ أَبِي (8: 38).

• فَمَا أَتَكَلَّمُ أَنَا بِهِ فَكَمَا قَالَ لِي الآبُ هَكَذَا أَتَكَلَّمُ (12: 50).

• * «أَيُّهَا الآبُ أَشْكُرُكَ لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِي *وَأَنَا عَلِمْتُ أَنَّكَ فِي كُلِّ حِينٍ تَسْمَعُ لِي... (11: 41-42).

• الَّذِي يُؤْمِنُ بِي لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي (12: 44)

• وَلَكِنْ لِيَفْهَمَ الْعَالَمُ أَنِّي أُحِبُّ الآبَ وَكَمَا أَوْصَانِي الآبُ هَكَذَا أَفْعَلُ (14: 31).

ولعل ما ينهي كل الجدل حول طبيعة العلاقة بين الابن والآب في إنجيل يوحنا هو قول يسوع:

• لَوْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لَكُنْتُمْ تَفْرَحُونَ لأَنِّي قُلْتُ أَمْضِي إِلَى الآبِ لأَنَّ أَبِي أَعْظَمُ مِنِّي (14: 28).

• وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ (17: 3).

فإذا كان الآب أعظم من يسوع عند يوحنا، وكان الآب وحده هو الإله الحقيقي، فكيف نفسر بعض الأقوال التي وردت عند يوحنا على لسان يسوع،

والتي توحي بالتماهي بين الآب والابن ووحدتهما في الجوهر؟ ومنها:

• أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ (10: 30).

•... الآبَ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ (10: 38).

• وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي (12: 45).

• اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ (14: 9).

• صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا (14: 11).

• لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا (التلاميذ) هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا (17: 21).

في الحقيقة، لا يمكن تفسير هذه الأقوال في ضوء ما سبق، إلا بافتراض أن يسوع كان يتفوه بها تحت ضغط حالة وجدٍ صوفي ميزت التجربة الصوفية المشرقية منذ القدم، واستمرت لدى المسلمين. وقد اصطُلح على تسمية الأقوال الصادرة عن مثل هذه الحالة بـ "الشطح".

والشطح هو كلام يترجمه اللسان عن وجد فاض عن النفس عندما تصبح في حضرة الألوهية، فتدرك أن الله هي وهي هو، ويتبين لها وحدة الهوية فيما بين العبد الواصل والمعبود الموصول. وقد يصل هذا الوجد حداً من القوة في ظل إحساس طاغ بوحدة الوجود، تجعل الواصل يتحدث كأنه الحق نفسه وينطق بلسانه، وذلك كقول أبو يزيد البسطامي: "سبحاني ما أعظم شأني". لقد شعر أن المعبود هو الباطن وأن العبد هو الظاهر، وبعدها فني عن ذاته ولم يبق في الوجود سوى الله.

هذه المنزلة التي يبلغها الصوفي حين إعلان تبادل الأدوار هي منزلة التوحيد؛ وهي ألا يُشهدك الحق نفسك ويطلعك على وجودك، بل يطلعك على وجود واحد ما عداه غير موجود، فتفنى عن وجود ذاتك وعن وجود كل موجود آخر سوى الله. ولهذا قال الحلاج عن علاقته بالحق:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا   نحن روحان حللنا بَدَنا

فإذا أبصرتني أبصرته   وإذا أبصرته أبصرتنا

وقال:

رأيت ربي بعين قلبي فقلت من أنت؟ فقال أنت

وأيضاً:

يا منية المتمني أفنيتني بك عني

أدنيتني منك حتى ظننتُ أنك أني

وأيضاً:

مزجتَ روحك في روحي كما تُمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسّـك شـيء مسّـني فإذا أنت أنا في كل حال

وعندما تأججت في داخله شعلة الوجد وفاضت حتى لم يستطع لها كبحاً صاح أمام الناس: "أنا الحق"، فأباح سر الصوفية، وهو القائل:

بالسر إن باحوا تباح دمائهم وكذا دماء البائحين تباح

فحوكم الحلاج بتهمة الكفر، وحُكم عليه بالموت على الصليب، فمات ميتة المسيح التي تمناها لنفسه سابقاً عندما أنشد:

ألا أبلغ أحبائي بأني ركبت البحر وانكسر السفينة

على دين الصليب يكون موتي فلا البطحا أريد ولا المـدينة

ويشترك مع الحلاج في تجربة الشطح هذه أكثر من متصوف إسلامي، منهم أبو يزيد البسطامي الذي يؤثر عنه عدد من أقوال الشطح منها:

- سبحاني ما أعظم شأني!

- ما في الجبة إلا الله.

- كنتَ لي مرآة فصرت أنا المرآة.

- انسلختُ من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها، ثم نظرت إلى نفسي فإذا أنا هو.

أشار سري إليك حتى فنيتُ عني ودمتَ أنت

محوتُ اسمي ورسم جسمي سألتَ عني فقلتُ: أنت

إن مثل هذه الأقوال النابعة عن تجربة صوفية فذة، لا تختلف لا في شكلها ولا في مضمونها عن أقوال ليسوع مثل: "أنا والآب واحد" أو "من رآني رأى الآب". ولكن الأساقفة المجتمعين في مجمع نيقية الذي دعا إليه الإمبراطور قسطنطين عام 325م، كانوا بعقليتهم اليونانية أبعد ما يكونون عن فهم أبعاد التصوف الشرقي، فأعلنوا لأول مرة بشكل رسمي ألوهية السيد المسيح، ومساواته للآب في الجوهر، وذلك اعتماداً على إنجيل يوحنا بشكل رئيس، حيث ورد في قانون إيمان نيقية: "نؤمن بإله واحد، آب ضابط للكل. خالق للسماء والأرض، ما يُرى وما ولا يُرى. وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود من الآب، الذي هو من جوهر الآب. إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق، مولود غير مخلوق، مساو للآب في الجوهر، به كان كل شيء في السماء وعلى الأرض. الذي من أجل خلاصنا نحن البشر نزل من السماء وتجسد وصار إنساناً". وفي مجمع القسطنطينية عام 380م أضاف المجتمعون إلى قانون نيقية بشكل

رسمي عقيدة ألوهة الروح القدس. وبذلك تم التأسيس لعقيدة التثليث.

17

الطبيعة الفائقة ليسوع

7- الآب والابن والثالوث

لقد كان السبب في انعقاد مجمع نيقية عام 325م، والذي أقر بشكل رسمي ألوهية المسيح، خلافاً استعر بين اثنين من اللاهوتيين الكبار هما أثناسيوس وآريوس، تأثرت به جميع الكنائس التي وقف بعضها إلى جانب هذا وبعضها الآخر إلى جانب ذاك. وقد تركز جوهر الخلاف على علاقة الابن بالكلمة، كلمة الله. فبينما يتفق الاثنان على أن كلمة الله قد تجسدت واستقرت في الإنسان يسوع، إلا أنهما يختلفان في أمر طبيعة الكلمة: فقد اعتبر أثناسيوس أن الكلمة التي تجسدت في يسوع هي أزلية غير مخلوقة، وكائنة مع الله منذ البدء؛ أما آريوس فقد قال إن كلمة الله ليست أزلية بل مخلوقة في الزمن، خلقها الله قبل خلق العالم، وإن المتجسد في يسوع هو هذه الكلمة المخلوقة. ومثل هذا الجدل عرفه علم الكلام الإسلامي عندما استعر الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة حول القرآن الذي هو كلام الله، وفيما إذا كان أزلياً أم مخلوقاً. غير أن عملية التصويت في مجمع نيقية قادت إلى انتصار أفكار أثناسيوس، وتم إقرار ألوهية المسيح، الذي اعتبر: "من جوهر الآب، إله من إله، ونور من نور، إله حق من إله حق، مولود (متولد) غير مخلوق". وقد قاد القول بألوهية المسيح فيما بعد إلى القول بالتثليث كما أشرنا سابقاً.

وفي الحقيقة، فإن أفكار آريوس هي الأقرب إلى روح أقوال يسوع، سواء في الأناجيل الإزائية أم في إنجيل يوحنّا، وهي الأقرب إلى عقيدة العهد الجديد فيما يخص طبيعة الابن وعلاقته بالآب.

ففيما يتعلق بفكرة التثليث، لم يرد في أي موضع من أسفار العهد الجديد ما يشير إليها من قريب أو بعيد. وكلمة "ثالوث" غائبة تماماً عن الكتاب المقدس المسيحي. وأول استعمال معروف لها في تاريخ المسيحية ورد على لسان ثاوفيلوس الأنطاكي عام 180م؛ وذلك على الرغم من استخدام المؤلفين أحياناً لصيغة: "الآب والابن والروح القدس"، كما هو وارد في صيغة العماد عند متى: فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ (متى 28: 19).وفي رسالة بطرس الأولى لدينا مثال عن

السلام الذي تبادله المسيحيون الأوائل باستخدام الصيغة نفسها: *بُطْرُسُ، رَسُولُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى الْمُتَغَرِّبِينَ مِنْ شَتَاتِ بُنْتُسَ وَغَلاَطِيَّةَ وَكَبَّدُوكِيَّةَ وَأَسِيَّا وَبِيثِينِيَّةَ، الْمُخْتَارِينَ *بِمُقْتَضَى عِلْمِ اللهِ الآبِ السَّابِقِ، فِي تَقْدِيسِ الرُّوحِ لِلطَّاعَةِ، وَرَشِّ دَمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لِتُكْثَرْ لَكُمُ النِّعْمَةُ وَالسَّلاَمُ (1: 1-2). إلا أنه لم يكن في ذهن متّى ولا بولس في ذلك الوقت أن الآب والابن والروح القدس هم ثلاثة في واحد.

ولسوف نتابع فيما يلي العلاقة بين الآب والابن كما عبرت عنها بقية أسفار العهد الجديد، وننظر إلى النصوص بعين محايدة بعيدة عن التأثر بقرارات المجامع الكنسية، في محاولة لاكتشاف أي أثر لألوهيّة السيد المسيح في ثناياها. وسوف نبتدئ برسائل بولس الرسول، المؤسس الحقيقي للمسيحية:

يستخدم بولس لقب "الرب" ليسوع في معظم المواضع التي يذكره فيها. (وقد شرحنا في موضع سابق تحت عنوان "يسوع الرب" الفرق بين الربوبية والألوهية بالمعنى اللغوي، وبالطريقة التي استخدمتها أسفار العهد الجديد): وَلَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَسُوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ (1 كورنثوس 12: 3). فَإِنَّنَا لَسْنَا نَكْرِزُ بِأَنْفُسِنَا، بَلْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبّاً (2 كورنثوس 4: 5). لأَنَّكَ إِنِ اعْتَرَفْتَ بِفَمِكَ بِالرَّبِّ يَسُوعَ وَآمَنْتَ بِقَلْبِكَ أَنَّ اللهَ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ خَلَصْتَ (رومية 10: 9). ولكن إذا كانت الربوبية هي ليسوع، فإن الألوهية هي لله وحده. وبولس إنما يكرز بإله واحد هو الآب: *لكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ (1 كورنثوس 8: 6) وهذا الإله الواحد هو إله البشر وإله يسوع المسيح: «تبارك إله ربنا يسوع المسيح وأبوه». وأيضاً: «إن إله الرب يسوع وأباه، تبارك إلى الأبد، عالم بأني لا أكذب[61]. وهو يرسم مراتبية للوجود لا ينتظم فيها الآب والابن في مرتبة واحدة. فمرتبة الابن فوق مرتبة كل البشر، ولكنها أدنى من مرتبة الآب: وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ. وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ. وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللهُ (1 كورنثوس 11: 3). *..... كُلَّ وَاحِدٍ فِي رُتْبَتِهِ. الْمَسِيحُ بَاكُورَةٌ ثُمَّ الَّذِينَ لِلْمَسِيحِ فِي مَجِيئِهِ (الثاني)... *وَبَعْدَ ذَلِكَ النِّهَايَةُ مَتَى سَلَّمَ الْمُلْكَ (المسيح) لِلَّهِ الآبِ مَتَى أَبْطَلَ كُلَّ رِيَاسَةٍ وَكُلَّ سُلْطَانٍ وَكُلَّ قُوَّةٍ... *وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ فَحِينَئِذٍ الاِبْنُ نَفْسُهُ أَيْضاً سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ (1 كورنثوس 15: 20-28). ويسوع هو البكر لإخوة كثيرين سوف يكونون على صورته أبناءً لله من خلال الإيمان به: *وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعاً لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ. *لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ (رومية 8: 28-29). وأيضاً: لأَنَّكُمْ جَمِيعاً أَبْنَاءُ اللهِ بِالإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ (غلاطية 3: 26). كما ويعلن بولس أن يسوع لم يصبح ابناً لله إلا بعد قيامته من بين الأموات: *بُولُسُ عَبْدٌ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الْمَدْعُوُّ رَسُولاً الْمُفْرَزُ لإِنْجِيلِ اللهِ *الَّذِي سَبَقَ فَوَعَدَ بِهِ

بِأَنْبِيَائِهِ فِي الْكُتُبِ الْمُقَدَّسَةِ *عَنِ ابْنِهِ. الَّذِي صَارَ مِنْ نَسْلِ دَاوُدَ مِنْ جِهَةِ الْجَسَدِ *وَتَعَيَّنَ ابْنَ اللهِ بِقُوَّةٍ مِنْ جِهَةِ رُوحِ الْقَدَاسَةِ بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ: يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا (رومية 1: 1-4).

وتُظهر طبيعة الصلوات وآيات الحمد والتسابيح في رسائل بولس، أنها جميعاً موجهة للآب ولا حصة للابن فيها. من ذلك مثلاً:

- فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى اللهِ (رومية 15: 30)

- أَشْكُرُ إِلَهِي فِي كُلِّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ عَلَى نِعْمَةِ اللهِ الْمُعْطَاةِ لَكُمْ فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ (1 كورنثوس 1: 4)

- أَشْكُرُ إِلَهِي أَنِّي أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةٍ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِكُمْ (1 كورنثوس 14: 18)

- وَهَكَذَا تَصِيرُ خَفَايَا قَلْبِهِ ظَاهِرَةً. وَهَكَذَا يَخِرُّ عَلَى وَجْهِهِ وَيَسْجُدُ لِلَّهِ مُنَادِياً أَنَّ اللهَ بِالْحَقِيقَةِ فِيكُمْ (1 كورنثوس 14: 25)

- وَلَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يُعْطِينَا الْغَلَبَةَ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ (1 كورنثوس 15: 57).

- وَلَكِنْ شُكْراً لِلَّهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ (2 كورنثوس 2: 14).

- وَأُصَلِّي إِلَى اللهِ أَنَّكُمْ لاَ تَعْمَلُونَ شَيْئاً رَدِيّاً (2 كورنثوس 13: 7).

- *نَشْكُرُ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَةِ جَمِيعِكُمْ، ذَاكِرِينَ إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِنَا، *مُتَذَكِّرِينَ بِلاَ انْقِطَاعٍ عَمَلَ إِيمَانِكُمْ، وَتَعَبَ مَحَبَّتِكُمْ، وَصَبْرَ رَجَائِكُمْ، رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ، أَمَامَ اللهِ وَأَبِينَا (1 تسالونيكي 1: 2-3)

- *يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ مِنْ جِهَتِكُمْ (2 تسالونيكي 1: 3)

- *يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ...... *لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ (رومية 11: 33-36)

- *لِلَّهِ الْحَكِيمِ وَحْدَهُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ (رومية 16: 27)

مثل هذه المقتطفات تبين أنه عندما يتعلق الأمر بالجوهر الأساسي للفعالية الدينية الذي يتمثل في الصلوات وآيات الحمد والتسابيح، فإن الآب وحده هو المرجو والمخاطب، سواء بشكل مباشر أو من خلال وساطة يسوع المسيح، الابن الذي يقع في المرتبة الوسطى بين البشر وخالقهم.

وهنالك مقطع إشكالي عند بولس في الرسالة إلى أهالي رومة،

يفهم منه وجود إشارة إلى ألوهية المسيح، حيث يقول: «*أولئك الذين هم بنو إسرائيل، ولهم التبني والمجد والعهود والشريعة والعبادة والمواعد* والآباء ومنهم المسيح من حيث إنه بشر. وهو فوق كل شيء إله مبارك أبد الدهور. آمين» (رومية 9: 4-5)[62]. ولكن هذا المقطع يتخذ معنيين حسب استخدامنا لعلامات التنقيط التي لم تكن مستخدمة في الكتابة اليونانية القديمة. فإذا وضعنا نقطة بعد جملة "وهو فوق كل شيء" تغدو جملة التبريك الأخيرة موجهة للآب لا للابن: «ومنهم المسيح من حيث إنه بشر، وهو فوق كل شيء. الله مبارك أبد الدهورِ. آمِينَ». وقد بقي الخلاف حول موضع هذه النقطة قائماً، حتى حسمته الترجمات الإنكليزية الحديثة للكتاب المقدس، ومنها المعروفة بالترجمة المعيارية المعدلة (Revised Standard Version)، والترجمة الإنكليزية الجديدة (New English Bible)، وهي الآن الأوثق والأكثر اعتماداً لدى الباحثين، حيث وضَعَت نقطة في الموضع المشار إليه أعلاه.

فإذا انتقلنا إلى الأناجيل الإزائية، فإننا نجد صورة نابضة بالحياة ليسوع كعابد مخلص لله يخصه بالصلاة والضراعة، ويتوجه إليه بلقب "آبا"، وهي كلمة آرامية تعني "أبي"، بما تحمله من معنى يفيد التبجيل والاحترام الممزوجين بالألفة والمودة: وَقَالَ: «يَا أَبَا الآبُ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ فَأَجِزْ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِيَكُنْ لاَ مَا أُرِيدُ أَنَا بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ» (مرقس 14: 36). وكان يصلي منفرداً بعيداً عن تلاميذه، سواء في البرية (مرقس 1: 35، لوقا 5: 15) أم على الجبل (مرقس 6: 46، متّى 26: 39)، أم في بستان (مرقس 14: 35، متّى 26: 39، لوقا 22: 41). وعندما طلب منه التلاميذ أن يعلمهم الصلاة نصحهم أولاً بالصلاة الانفرادية بعيداً عن الأعين، ثم أعطاهم كلمات الصلاة المسيحية: *«فَصَلُّوا أَنْتُمْ هَكَذَا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. *لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ. *خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. *وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. *وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ[63]. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ (متّى 6: 9-13) قارن مع الصيغة الأقصر الواردة عند لوقا. ولا شك أن يسوع نفسه كان يستخدم هذه الصيغة في الصلاة، ثم يستغرق في حالة التوحد الصوفي مع الآب. أما الصلاة اليهودية ذات الطقوس الشكلانية المترافقة مع تقديم القرابين الحيوانية، فلم يمارسها يسوع، ولم يُؤثَر عنه في الأناجيل أنه صلى في محفل أو كنيس أو حتى في هيكل أورشليم.

في سفر أعمال الرسل الذي يحدثنا عن الكنيسة الناشئة عقب صعود يسوع، نقرأ في الإصحاح الثالث على لسان بطرس تعبيراً مشابهاً لما قرأناه عند بولس الرسول (رومية 1: 1-4)، وهو أن يسوع قد صار رباً ومسيحاً بعد صلبه وقيامته من الموت: فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هَذَا الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ رَبّاً وَمَسِيحاً (أعمال 2: 36). فهل سنجد في هذه الكنيسة ما يشير إلى أن يسوع القائم من بين الأموات قد صار موضعاً للتأليه والعبادة؟

إن كل الشواهد النصية تشير إلى النفي. فقد ورد تعبير "ابن الله" مرة واحدة في جميع إصحاحات سفر أعمال الرسل، وذلك على لسان بولس بعد أن اهتدى في دمشق ثم أخذ ينادي من ساعته في المجامع بأن يسوع هو ابن الله. وهو يعني بذلك أنه المسيح، لأن كاتب السفر يتابع قوله: ......*وَأَمَّا شَاوُلُ فَكَانَ يَزْدَادُ قُوَّةً وَيُحَيِّرُ الْيَهُودَ السَّاكِنِينَ فِي دِمَشْقَ مُحَقِّقاً «أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَسِيحُ» (أعمال 9: 20-22). وهو في موضع آخر يوضح بأن أبوة الله ليسوع قد تمت بعد قيامته، مفسراً ما ورد في المزمور 2: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. يقول بولس في الإصحاح 13 من سفر الأعمال: .....*إِنَّ اللهَ قَدْ أَكْمَلَ هَذَا لَنَا نَحْنُ أَوْلاَدَهُمْ إِذْ أَقَامَ يَسُوعَ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَيْضاً فِي الْمَزْمُورِ الثَّانِي: أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ (13: 32-33). وفي خطبة سمعان بطرس الافتتاحية يصف بطرس يسوع بأنه رجل أيده الله بآيات ومعجزات: *...يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسَطِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ. *هَذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. *اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ... (أعمال 2: 22-24).

فإذا نظرنا إلى العبادات والصلوات في سفر أعمال الرسل، لما وجدنا أثراً لعبادة الابن فيها، والصلوات في الكنيسة المسيحية الأولى كانت موجهة للآب وحده. فعندما تم إطلاق سراح بطرس ويوحنا بعد اعتقالهما من قبل الرؤساء الدينيين، رفع الجميع أصواتهم إلى الله بقلب واحد فقالوا:...أَيُّهَا السَّيِّدُ أَنْتَ هُوَ الإِلَهُ الصَّانِعُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا... (أعمال 4:24).

إن خلاصة ما توصلنا إليه هذه الوقفة المطولة عند الألقاب المتعلقة بالطبيعة الفائقة ليسوع في العهد الجديد (المسيح، ابن الإنسان، ابن الله، الابن)، هي أن يسوع يشغل المرتبة العليا في سلم الكائنات الأرضية تقع على الحد الفاصل بين اللاهوت والناسوت، ولكنه دون الله، ولا يصل حدّ مشاركته في القدم أو الجوهر. وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم، الذي بقي ضمن الإطار العام لفكر العهد الجديد، من خلال الألقاب الخاصة بالطبيعة الفائقة ليسوع وهي: المسيح، وروح الله، وكلمة الله، مما سنبحثه في الفصل التالي.

18

الطبيعة الفائقة

لـ عيسى في القرآن

على الرغم من تأكيد الرواية القرآنية ناسوت عيسى، من خلال ألقاب النبي والرسول وعبدالله، إلا أن الطبيعة الفائقة لـ عيسى وتَمَيُّزه عن بني البشر الآخرين، تبدو واضحة من خلال ألقاب: المسيح، وروح الله، وكلمة الله، مما سنبحثه فيما يلي:

1- المسيح:

يرتبط اسم عيسى في القرآن الكريم ارتباطاً عضوياً بلقب المسيح، وهذا اللقب يرافقه عبر حياته الأرضية منذ الولادة، وعبر حياته الثانية منذ ارتفاعه إلى السماء وحتى قدومه الثاني في آخر الأزمنة. وقد دُعي بعيسى المسيح في النص سبع مرات، وبالمسيح مجرداً ثلاث مرات، وبالمسيح ابن مريم أربع مرات (ونحن هنا لا نحصي الصيغ الأخرى التي ورد بها اسم عيسى، مثل ابن مريم، وعيسى ابن مريم، وعيسى مجرداً).

وعلى الرغم من أن آيات القرآن لا تفيدنا مباشرة في معرفة دلالة اللقب، إلا أن مضمون قصة عيسى يشير إلى ثلاث خصائص يشترك فيها مسيح القرآن مع المسيح الكتابي، وهي: المسيح المبارك، والمسيح الصاعد إلى السماء، والمسيح الراجع في الأزمنة الأخيرة.

أ- المسيح المبارك:

إذا كان لقب المسيح مستمداً من كلمة "المشيح" العبرانية أو "مشيحا" الآرامية، فإن هذه الكلمة تدل، كما أشرنا في موضع سابق، على الممسوح بزيت المعبد المقدس من أجل تبريكه وإسباغ طابع القداسة عليه، وإلى مباركة الله للملك أو الكاهن أو النبي الممسوح. وهذا المعنى مُتضمّن في الآية التي يقول عيسى فيها: "...إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً* وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ...*" (19 مريم: 30-31). كما إن في المسح بالزيت المقدس دلالة رمزية على اختيار الله للممسوح، وتفضيله واصطفائه على

الناس طرّاً؛ وهذا المعنى متضمن في الآية: "إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ" (3 آل عمران 33). والمسح يدل أيضاً على حلول روح الرب على الممسوح ووقوفه إلى جانبه عبر جميع مراحل حياته؛ وهذا المعنى متضمن في الآية: "....وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...." (2 البقرة: 87).

ب- المسيح الصاعد إلى السماء:

من أهم سمات مسيح العهد الجديد أنه يصعد إلى السماء ليجلس عن يمين الله: وَأَنَا إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ (يوحنا 12: 32). مُنْذُ الآنَ يَكُونُ ابْنُ الإِنْسَانِ جَالِساً عَنْ يَمِينِ قُوَّةِ اللهِ (لوقا 22: 69). وَفِيمَا هُوَ يُبَارِكُهُمْ انْفَرَدَ عَنْهُمْ وَأُصْعِدَ إِلَى السَّمَاءِ (لوقا 24: 51). وقد ورد في القرآن: "...وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً* بَل رَّفَعَهُ اللّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً*" (4 النساء: 157-158).

ج- مسيح الأزمنة الأخيرة:

تعتبر عودة المسيح في العهد الجديد علامة من علامات حلول يوم الرب، عندما يرجع المسيح إلى الأرض قاضياً وديّاناً. فبعد وقوع الكوارث العامة التي تمهد لليوم الأخير: *وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِياً عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. *فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا (متى 24: 30-31).

والقدوم الثاني للمسيح عقيدة راسخة في الإسلام، وهي مرتبطة كما في العهد الجديد بعقيدة رفعه إلى السماء، وذلك على الرغم من الإشارة المقتضبة إليه في موضعين فقط. نقرأ في الموضع الأول: "وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ* وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ* إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ*.... وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*" (43 الزخرف: 57-61). والمعنى هو أن رجوع عيسى عِلْم يُعلم به مجيء الساعة، وإمارة وعلامة من علاماتها، وشرط من أشراطها التي حددها القرآن الكريم والحديث الشريف.

ونقرأ في الموضع الثاني: "وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً" (4 النساء: 159). والمعنى هنا أن عيسى في قدومه الثاني سوف يجعل الدين كله واحداً، وأن أهل الكتاب من اليهود الذين أنكروه سوف يؤمنون به قبل موتهم.

هذه الإشارات الموجزة إلى دور عيسى في آخر الزمان لا تقترن في

الكتاب بمزيد من التفاصيل، ولكن الحديث الشريف قد توسع وأفاض في مسألة القدوم الثاني لـ عيسى. فقد أخبر الرسول الكريم بعودة عيسى المرفوع إلى السماء في آخر الزمن: "لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى بن مريم عليه السلام... إلخ".

وعلى ما نفهم من عدد آخر من الأحاديث، فإن القدوم الثاني للمسيح يسبقه ظهور الدجال الذي يأتي من بلاد المشرق، فيدّعي الصلاح ثم يدّعي النبوة ويقول إنه المسيح، ثم يدّعي الألوهية ويُجري معجزات عظيمة، فيتبعه المنافقون والمرتابون وينجو من حيله المؤمنون. بعد ذلك يبعث الله عيسى ابن مريم، فينـزل في المنارة البيضاء في دمشق واضعاً كفيه على أجنحة ملاكين؛ إذا طأطأ رأسه قطر وإن لم يصبه بلل، وإذا رفعه تحدر منه لؤلؤ كالجمان. عند ذلك ينفخ على الكفار فيبيدهم، ونفخته النارية هذه تصل أينما تلفت إلى حيث ينتهي بصره. بعد ذلك يحكم عيسى البشر بالعدل والقسطاط، وتدخل الأرض في حالة فردوسية ردحاً من الزمن ينتفي فيه الشر من الوجود، فتتوقف الحروب، وتتحول السيوف إلى مناجل، وتتلاشى العلل والأمراض، ويحرسُ الذئب الغنم فلا يضرّها، ويراعي الأسد البقر فلا يضرّها، ويلعب الصبي بالثعبان فلا يؤذيه. بعد ذلك تموت كل نفس حية وتعود إلى بارئها.

نلاحظ من هذا الوصف لعودة المسيح امتلاءه بالأفكار الواردة في المصادر الكتابية: ففيما يتعلق بظهور المسيح الدجال قبل ظهور عيسى المسيح، فإن يسوع نفسه قد أخبر عن ظهور مسحاء كذبة في أثناء أحداث الساعة: *حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلاَ تُصَدِّقُوا. *لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضاً..... (متى 24: 23-25). وبولس يصف الدجال بأنه أخو الإلحاد وابن الهلاك، والخصم الذي يظهر قبل يوم الرب: «لا يخدعنكم أحد بشكل من الأشكال. فلا بد أن يكون ارتداد الدين وأن يظهر أخو الإلحاد ابن الهلاك* والخصم الذي يناصب كل ما يحمل اسم الله أو كان معبوداً، حتى إنه يجلس في هيكل الله ويظهر نفسه إلهاً» (2 تسالونيكي 2: 3-4)[64]. ويصور سفر الرؤيا في العهد الجديد الدجال على هيئة وحش يُضل أهل الأرض بما أوتي من معجزات (13: 11-17)، ولكن المسيح الذي يظهر على هيئة فارس يمتطي جواداً أبيض ويخرج من فمه سيف مرهف سوف يتغلب عليه ويلقيه في مستنقع من نار وكبريت متقد (19: 11-21).

وفيما يتعلق بنفخة عيسى النارية التي تصل أينما تلفت إلى حيث ينتهي بصره، والتي يبيد بواسطتها الكفار، فإننا نجد ما يوازيها في سفر عزرا الرابع (راجع فصل: المسيح في الأسفار غير القانونية): "فنظرت ورأيت من قلب الريح شكل إنسان يطلع من وسط البحر. ورأيت ذلك الإنسان يطير مع

الغيوم في الأعالي، وأينما أدار وجهه حدثت رجّة ورجفة... ثم رأيت حشوداً تهب من جهات الريح الأربع لتقاتل الرجل الطالع من البحر... ولكنه أطلق من فمه زفيراً نارياً ومن لسانه عاصفة من الشرار، فامتزج الاثنان في تيار ملتهب انصبَّ على الحشود المهاجمة فأتت عليهم جميعاً".

وفيما يتعلق بالحالة الفردوسية التي تؤول إليها حال العالم بعد انتصار عيسى المسيح، فإننا نعثر على شبيه لها في سفر إشعياء، حيث يتحدث عن حال الأرض بعد قيام مملكة المسيح: *وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى وَيَنْبُتُ غُصْنٌ مِنْ أُصُولِهِ *وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ.

*وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ فَلاَ يَقْضِي بِحَسَبِ نَظَرِ عَيْنَيْهِ وَلاَ يَحْكُمُ بِحَسَبِ سَمْعِ أُذُنَيْهِ *بَلْ يَقْضِي بِالْعَدْلِ لِلْمَسَاكِينِ وَيَحْكُمُ بِالإِنْصَافِ لِبَائِسِي الأَرْضِ وَيَضْرِبُ الأَرْضَ بِقَضِيبِ فَمِهِ وَيُمِيتُ الْمُنَافِقَ بِنَفْخَةِ شَفَتَيْهِ. *وَيَكُونُ الْبِرُّ مِنْطَقَةَ مَتْنَيْهِ وَالأَمَانَةُ مِنْطَقَةَ حَقَوَيْهِ. *فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعاً وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. *وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعاً وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْناً. *وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوانِ (إشعياء 11: 1-8). وفيما يتعلق بتحويل السيوف إلى مناجل، نقرأ في سفر ميخا: *فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكاً وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفاً وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ. *بَلْ يَجْلِسُونَ كُلٌّ وَاحِدٍ تَحْتَ كَرْمَتِهِ وَتَحْتَ تِينَتِهِ.... (ميخا 4: 1-5).

2- روح الله:

لا يوجد معنى واحد في القرآن الكريم لكلمة "روح"، وإنما تتخذ معناها من الكلمة أو الضمير المضاف إليها، ومن سياق النص. وسوف نوضح فيما يلي المعاني المتعددة للكلمة:

أ- الروح القُدُس/جبريل:

عندما تضاف كلمة "الروح" إلى "القدس"، فإن تعبير الروح القدس يعني الملاك جبرائيل ناقل الوحي الإلهي إلى محمد (ﷺ) وإلى الأنبياء. والدليل على ذلك قوله:

- "قُلْ نَزَّلَهُ[65] رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُواْ...." (16 النحل: 102).

- "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ*" (26 الشعراء: 193-195).

- "قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا

بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ” (2 البقرة: 97).

- “....وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ....” (2 البقرة: 87).

- “إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ....” (5 المائدة: 110).

والروح القدس هذا، أي جبريل، هو المقصود أيضاً في الآيات التالية التي ترد فيها كلمة “الروح” غير مضافة إلى “القدس”:

- “إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ* وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ* لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ* تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ* سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ*” (97 القدر).

- “تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ” (70 المعارج: 4).

- “يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً” (78 النبأ: 38).

ب- الروح/الوحي:

وتأتي كلمة “الروح” بمعنى الوحي الملقى في قلب النبي دون واسطة، وأيضاً بمعنى الوحي الذي تأتي به الملائكة. والمعنى الأول هو المقصود من قـوله:

- “....يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ” (40 غافر: 15).

- “وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِن وَرَاء حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ....” (42 الشورى: 51) ثم يقول: “وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ....” (42 الشورى: 52).

والمعنى الثاني، أي الوحي بواسطة رسول، هو المقصود في قوله:

- “يُنَزِّلُ الْمَلآئِكَةَ بِالْرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ...” (16 النحل: 2).

ج- روح الله:

فإذا أضيفت كلمة “الروح” إلى الضمائر المتصلة لتصبح: روحي، روحه، روحنا؛ فإن المقصود بها هو “روح الله”، وكذلك تعبير “وروح منه” الذي يعني

روح الله، أي قوة الله الفاعلة في العالم. وقد كانت هذه الروح فاعلة عندما جرى خلق آدم:

- "....وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ....*" (32 السجدة: 7-9).

- "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ* فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ*" (15 الحجر: 28-29).

كما كانت روح الله فاعلة بالطريقة نفسها فيما يخص خلق عيسى، ذلك أن كلاً من آدم وعيسى قد خلق من روح الله مباشرة، وعيسى بشكل ما هو آدم الثاني. والآيات التالية تستحضر في الذهن قول الملاك لـ مريم عندما جاءها بالبشارة في إنجيل لوقا: اَلرُّوحُ الْقُدُسُ يَحِلُّ عَلَيْكِ وَقُوَّةُ الْعَلِيِّ تُظَلِّلُكِ فَلِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ (لوقا 1: 35). وكذلك قول الملاك ليوسف: يَا يُوسُفُ ابْنَ دَاوُدَ لاَ تَخَفْ أَنْ تَأْخُذَ مَرْيَمَ امْرَأَتَكَ لأَنَّ الَّذِي حُبِلَ بِهِ فِيهَا هُوَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ (متى 1: 20):

- "وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ" (66 التحريم: 12).

- "وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ" (21 الأنبياء: 91).

- "....إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...." (4 النساء: 171).

وعلى عكس ما جاء به كل مفسري القرآن الكريم فيما يخص طبيعة "الروح" في هذه الآيات، حيث رجحوا أنه جبريل - الروح القدس، فإن المقصود هنا هو "روح الله" الذي حدّث عنه تعالى في سياق آخر عندما قال: "....وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ" (12 يوسف: 87). والسياق اللغوي، كما البنية النحوية التي وردت فيها كلمة الروح، واضحة كل الوضوح، وهي تشير إلى "روح الله" لا إلى "روح من عند الله" أي جبريل. والشيء نفسه ينطبق على قوله تعالى في مشهد بشارة مريم:

- "....فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً* قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً* قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً*" (19 مريم: 17-19).

فالكائن النوراني الذي ظهر لـ مريم ليس واحداً من الملائكة، بل هو روح الله نفسه، أي حضور الله القادر والفعال في العالم المخلوق، وقد اتخذ هنا هيئة بشرية ليكون قادراً على التواصل مع مريم. فروح الله هو الوسيط بين عالم الألوهة الخافي وعالم الإنسان والظواهر الطبيعية، ومن خلال هذا الروح

خلق العالم ويعمل على حفظه وتسييره.

إن روح عيسى، وفق ما تفيدنا هذه الآيات، هي قبس من روح الله. وهنالك نوع من علاقة الأبوة والبنوة بينهما، ولكنها ليست علاقة بيولوجية، (فالله لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ*) (114 الإخلاص: 3-4). ولقد اشتعلت روح عيسى من روح الله كما تُشعل شمعة من أخرى، لا كما يلد كائن حي كائناً آخر.

3

- كلمة الله:

يدعى عيسى في الكتاب بكلمة الله، أو كلمة من الله، في المواضع التالية:

- "....إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ...." (4 النساء: 171).

- "إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ" (3 آل عمران: 45).

- (يا زكريا) "....أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَـى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللهِ[66] وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ" (3 آل عمران: 39).

- "ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ[67] الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ" (19 مريم: 34)

وقد ذهب المفسرون في معنى "كلمة الله" مذاهب شتى، ولكن أكثرهم قال إن عيسى سمي بكلمة الله، لأنه وُجد بكلمة الله التي هي "كن". وقال البعض إن الله سماه "كلمة" من حيث أن ذكره قد ورد في توراة موسى وغيرها من كتب الله التي بشرت سابقاً بظهوره. فهو الإنسان الذي تكلم الله بأمره وأخبر به في ماضي كتبه المنـزلة.

أما في العهد الجديد فقد ورد ذكر "الكلمة" ثلاث مرات، وذلك في رسالة يوحنا الأولى، حيث نقرأ: اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ (رسالة يوحنا الأولى 1: 1) وفي سفر الرؤيا: ورأيت السماء قد انفتحت، وإذا فرس أبيض يدعى الذي ركب عليه الأمين والصادق، يقضي ويحارب بالعدل... واسمه كلمة الله» (19: 11-13)[68]. أما في مقدمة إنجيل يوحنا التي أسست للاهوت الكلمة فنقرأ: *فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهَ. *هَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللَّهِ. *كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. *فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ *وَالنُّورُ يُضِيءُ فِي الظُّلْمَةِ

وَالظَّلّمَةُ لَمْ تُدْرِكّهُ..... (يوحنا 1: 1-14). وفي سفر أعمال يوحنا المنحول، وهو من الأدبيات المسيحية الغنوصية، وردت "الكلمة" بين ألقاب يسوع: "المجد لك أيها الكلمة، المجد لك أيها النعمة، المجد لك أيها الروح...".

إن مفهوم الكلمة في العهد الجديد، يقوم على مفهوم "اللوغوس" الأفلاطوني الذي قال به فيلو الاسكندري اليهودي، عندما اعتبر أن اللوغوس هو "العقل" الذي فاض عن الله وصار وسيطاً بين الله وما سواه، وبه خلق الله العالم. وفيلو هنا إنما يطور مفهوم "الحكمة" في العهد القديم. نقرأ في سفر الأمثال: «أَنَا الْحِكْمَةُ أَسْكُنُ الذَّكَاءَ وَأَجِدُ مَعْرِفَةَ التَّدَابِيرِ... *«اَلرَّبُّ قَنَانِي (أو حازني) أَوَّلَ طَرِيقِهِ مِنْ قَبْلِ أَعْمَالِهِ مُنْذُ الْقِدَمِ. *مُنْذُ الأَزَلِ مُسِحْتُ مُنْذُ الْبَدْءِ مُنْذُ أَوَائِلِ الأَرْضِ. *إِذْ لَمْ يَكُنْ غَمْرٌ أُبْدِئْتُ. إِذْ لَمْ تَكُنْ يَنَابِيعُ كَثِيرَةُ الْمِيَاهِ. *مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَرَّرَتِ الْجِبَالُ قَبْلَ التِّلاَلِ أُبْدِئْتُ... *لَمَّا ثَبَّتَ السَّمَاوَاتِ كُنْتُ هُنَاكَ أَنَا. لَمَّا رَسَمَ دَائِرَةً عَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ... *كُنْتُ عِنْدَهُ صَانِعاً وَكُنْتُ كُلَّ يَوْمٍ لَذَّتَهُ فَرِحَةً دَائِماً قُدَّامَهُ. (الأمثال 8: 2 و 22-30).

في القرآن الكريم تتخذ "كلمة الله" معنى مشابهاً لمعنى "الكلمة" عند يوحنا ولمعنى "الحكمة" في العهد القديم، فهي الوسيط بينه وبين العالم، وهي وسيلة الخلق. وبذلك يتطابق في القرآن، وعلى عكس العهد الجديد، مفهوم الكلمة مع مفهوم "روح الله". ولا أدل على ذلك من مقارنة الموضعين التاليين في الكتاب، حيث يُستخدم تعبير روح الله وكلمة الله "كن"، بشكل تبادلي:

- "وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ*........ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ....*" (32 السجدة: 7-9)

- "إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ" (3 آل عمران: 59).

نتيجة:

إن خلاصة الموضوع فيما يتعلق بالطبيعة الفائقة لـ عيسى في القرآن الكريم، هو أن الرواية القرآنية قد رفعت عيسى إلى المرتبة العالية نفسها التي رفعته إليها أسفار العهد الجديد. ولكن المنظور اللاهوتي في كلا النصين لم يرفعه إلى مستوى الألوهية الذي أوصلته إليه قرارات المجامع الكنسية.

وهذا ما يحيلنا إلى مسألة الجدل اللاهوتي الذي أقامه القرآن مع العقائد المسيحية فيما يخص مسألة "ابن الله" ومسألة "التثليث".

19

خاتمة

التوحيد المسيحي

والجدل القرآني حول طبيعة عيسى

إن كل ما قدمناه في الفصول السابقة يوصلنا إلى نتيجة مفادها أن الرواية القرآنية عن ميلاد مريم وحياتها، والحمل العذري، وميلاد عيسى وحياته، وأعماله وأقواله، وموته وبعثه، تتفق مع الرواية الإنجيلية، وإلى حد التطابق التام في معظم الأحيان، واستخدام تعابير متشابهة. كما تتفق الروايتان إلى حد بعيد فيما يتعلق بالطبيعة البشرية لعيسى: فهو نبي، ومرسل من عند الله، ورجل خاضع لمشيئة الله، ويصلي له على الدوام. وفيما يتعلق بالطبيعة الفائقة لعيسى باعتباره الكائن الأعلى في سلم ارتقاء البشرية، فإن الروايتين على استخدامها لتعابير ومصطلحات متخالفة فيما يخص هذه الطبيعة، فإنهما تضعان خطاً فاصلاً واضحاً بين طبيعة عيسى وطبيعة خالقه، عبرت عنه الرواية القرآنية بأكثر من صيغة على ما سنورده بعد قليل، وعبرت عنه الرواية الإنجيلية على أفضل وجه عندما خاطب يسوع ربه في إنجيل يوحنا قائلاً: وَهَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ (يوحنا 17: 3).

من هنا، فإن الجدل الذي أقامه القرآن الكريم مع المسيحية لم يكن موجهاً نحو مضامين الأناجيل وبقية أسفار الكتاب المقدس المسيحي، بقدر ما كان موجهاً نحو لاهوت الكنيسة المسيحية الذي بُني بشكل تدريجي وعبر عدة قرون على قرارات المجامع الكنسية، وعلى تعاليم آباء الكنيسة الأوائل. كما إن التتبع الدقيق لهذا الجدل في القرآن وطريقة صياغته يدل على أنه جاء في خضم صراع فكري عنيف بين الفرق المسيحية المتناحرة، ومحاجّات لا تنتهي بينها فيما يخص طبيعة المسيح وعلاقته بالآب. وقد أشار القرآن إلى هذا الصراع في سورة المائدة: «وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ....». (5 المائدة: 14).

ولقد اعتبر القرآن نفسه بمثابة القيّم على تراث المسيحية، وأدلى بدلوه في هذا النقاش المسيحي الداخلي من خلال روايته الخاصة للإنجيل، والتي قدمها من خلال موقعه كطرف في القضية، لا كخصم فيها.

عناصر الجدل القرآني:

1- نقد لقب ابن الله:

لدينا أولاً خطاب قرآني عام يعبر عن عقيدة التوحيد الصافي من وجهة نظر الإسلام، يتمثل في سورة الإخلاص: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ*» ولدينا تنويعات أخرى على هذا الخطاب نورد فيما يلي أبرزها: «مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ». (23 المؤمنون: 91).

«تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً* الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً*». (25 الفرقان: 1-2). هذا الخطاب العام ليس موجهاً إلى العقيدة المسيحية حصراً، وإنما إلى كل عقيدة تقول بأبوة الإله الأعلى لآلهة أخرى، بما في ذلك وثنية الجزيرة العربية التي جعلت لله بنات هن إلهات العرب الثلاث: اللات والعزى ومناة، وجعلت الملائكة من جنس الإناث، وقالت هن بنات الله (راجع "53 سورة النجم: 19-23"[69]، و "سورة الصافات: 149-154"[70]).

وهنالك خطاب موجه تحديداً إلى العقيدة المسيحية، وهذه أهم نماذجه:

«ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ* مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ* وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ*». (19 مريم: 34-36). «وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ...». (9 التوبة: 20). «وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ* وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ* لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ*». (21 الأنبياء: 25-27).

2- نقد عبادة يسوع:

«لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ...». (5 المائدة: 72). «مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَاداً لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَـكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ

تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ». (3 آل عمران: 79). «اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ». (9 التوبة: 31).

3- نقد عبادة مريم:

«وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ....* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي....*». (5 المائدة: 116-117).

4- نقد مفهوم الثالوث:

«إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْراً لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَات وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً». (4 النساء: 171). «لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلاَّ إِلَـهٌ وَاحِدٌ....». (5 المائدة: 73).

هذا النقد القرآني لعقائد وممارسات مسيحية كان موجهاً بالدرجة الأولى إلى الفهم الخاطئ للصيغ الفلسفية المركَّبة التي استخدمها اللاهوت المسيحي في التعبير عن طبيعته، وما نجم عن هذا الفهم العامي من ممارسات بعيدة عن المرامي الحقة للعقيدة. ونحن إذا فهمنا الجوهر البسيط الكامن خلف هذه الصيغ الفلسفية لضاقت الهوة إلى حد كبير بين العقيدتين اللتين تؤكدان في النهاية وحدانية الله.

فالمسيحيون يدعون يسوع بابن الله لأنه ولد من دون أب بشري ولا أب له إلا الله. وهذا ما يؤمن به المسلمون على الرغم من نفورهم من المصطلح، فالله قد نفخ في مريم من روحه فحملت بعيسى، وجعلها الله وابنها آية للعالمين (21 الأنبياء: 91)[71]. فهو قد ولد من روح الله مباشرة دون وسيط بشري، على ما يفيدنا تعبير «وروح منه» الذي استخدمته الآية 171 من سورة النساء. وقد استعمل الموروث الإسلامي بحرية تعبير «روح الله» في الإشارة إلى عيسى. فعن عبد الله بن المبارك، وهو من مشاهير علماء الحديث: «قيل لعيسى بن مريم صلوات الله عليه: يا روح الله، من أشد الناس فتنة؟ قال: زلة العالِم. إذا زلّ العالِم زل بزلته عالَم كثير»[72]. وعن الجاحظ: «رأوا عيسى يخرج من بيت مومسة فقيل له: يا روح الله ما تصنع عند هذه؟ قال: إنما يأتي الطبيب المرضى»[73]. وعن ابن أبي الدنيا: «قال الحواريون لعيسى: يا روح الله علِّمنا عملاً واحداً يحببنا إلى الله. قال: ابغضوا الدنيا يُحببكم الله»[74]. وعن أبي حيان التوحيدي: «خرج عيسى عليه السلام على الحواريين فرآهم يضحكون، فقال: لا يضحك من خاف. فقالوا: يا روح الله مزحنا. فقال: لا يمزح من تم

عقله»[75]. والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى.

ويؤمن المسيحيون أيضاً بأن المسيح ابن الله، لأن كلمة الله قد تجسدت فيه، وكلمة الله هذه هي حكمته، ونطقه الخاص، ورسالته التي خلق بواسطتها كل شيء. وقد نصبت خيمتها بين البشر متجلية في شخص يسوع الإنسان الذي كان يعمل لتحصيل قوته، ويأكل ويشرب مثل جميع البشر. فيسوع لم ينقل كتاباً موحى، بل يجسد بشخصه وحي الله وكلمته. وقد دعا القرآن الكريم من ناحيته عيسى أيضاً كلمة الله: «....إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ....». (4 النساء: 171). في تفسير «كلمة الله» الواردة في هذه الآية، وآيات أخرى مشابهة (قارن مع السورة 3 آل عمران: 45 [76]، والسورة 19 مريم: 34 [77]). يقول المفسرون إن كلمة الله في هذه السياقات هي كلمة «كن» التي خلق بها الله عيسى في رحم مريم. وهذا التفسير يجافي الصواب، لأن الله خلق كل شيء بكلمة كن، فلماذا يدعى عيسى وحده من بين الخليقة كلها بكلمة الله؟

وقد قام جدال حامي الوطيس عبر القرون المسيحية الأولى فيما يخص طبيعة «الكلمة»، بلغ ذروته في مطلع القرن الرابع الميلادي (بعد أن صارت المسيحية ديناً رسمياً للإمبراطورية الرومانية) بين اثنين من اللاهوتيين الاسكندرانيين، تأثرت به جميع الكنائس التي وقفت على جانب هذا أو إلى جانب ذاك. فقد كان الأسقف آريوس يقول إن كلمة الله التي استقرت في يسوع ليست أزلية وإنما مخلوقة، خلقها الله مثلما خلق كل شيء؛ أما الأسقف أثنايوس فكان يقول إن الكلمة المتجسدة في يسوع هي أزلية وغير مخلوقة، وكانت مع الله دوماً. ومن أجل الحفاظ على وحدة الكنيسة فقد دعا الإمبراطور قسطنطين لانعقاد أول مجمع كنسي مسكوني عام 325م في مدينة نيقيا بآسيا الصغرى، قصده نحو ثلاثمئة أسقف جلّهم من كنائس الشرق. وعلى الرغم من وجود عدد لا يستهان به من أنصار آريوس في المجمع، إلا أن القرار الأخير الذي صيغ في شكل قانون للإيمان المسيحي وقف إلى جانب أثناسيوس، ونطق المجمع باللعن على كل من يقول بغير ذلك. ولكن ذلك لم يعنِ اندثار الآريوسية التي شهدت بعد ذلك فترات سادت فيها، وشغل أتباعها كل كرسي أسقفي في العالم المسيحي.

مثل هذا الجدال فيما يخص أزلية أو حدوث كلمة الله نشأ في اللاهوت الإسلامي عندما انقسمت حلقات علماء الكلام إلى فريقين: الأول فريق الأشاعرة أصحاب الرأي السني المستقيم، الذين قالوا إن القرآن الذي يجسد كلمة الله أزلي. ويمكن تلخيص مقولتهم على الوجه التالي: إن الله متكلم وكلامه قديم ليس بمحدث ولا مجعول. إنه صفة من صفاته مثل علمه وقدرته وما إلى ذلك من صفات ذاته. وعليه فإن كلامه لا يوصف بشيء من صفات الخلق. أما الفريق الثاني وهم المعتزلة قالوا إن القرآن الذي يجسد كلمة الله

مخلوق، وكان هنالك وقت لم يكن فيه موجوداً. ويمكن تلخيص مقولتهم على الوجه التالي: إن كلام الله عَرَضٌ يخلقه في الأجسام على نحو يسمع ويفهم معناه، ثم يؤدي الملاك هذا الكلام إلى الأنبياء بحسب ما يأمر به عز وجل. وعلى هذا يكون القرآن مُحدث ومخلوق، لم يكن ثم كان، وأنه غير ذات الله، أحدثه بحسب مصالح عباده، وهو قادر على أمثاله.

أما ما يبدو في التقوى المسيحية أنه عبادة موجهة ليسوع المسيح، فإنه لا يعدو أن يكون تقديساً وتبجيلاً لصفي الله الذي أرسله لخلاص العالم. فالله قد صالح العالم الخاطئ بيسوع المسيح، على حدّ قول بولس الرسول (2 كورنثوس 5: 18-19). هذه المصالحة من خلال المسيح شيء مختلف عن القول إن «الله هو المسيح ابن مريم». كما إن الصلاة الوحيدة التي ينطقها كل المسيحيين، وهي الصلاة التي علّمها يسوع لتلاميذه، تتوجه نحو الله الواحد ولا حصة للابن فيها: *أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ. *لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ. *خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ. *وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضاً لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا. *وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ. لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ (متى 6: 9-13).

والشيء ذاته يقال فيما يبدو في التقوى المسيحية، من أنه عبادة موجهة إلى السيدة مريم. فسيرة مريم في الأناجيل لا ترسم لها، كما هو الحال في القرآن الكريم، إلا صورة العذراء البتول والمرأة الصالحة التي آمنت بكلمات ربها واستسلمت لمشيئته كل الاستسلام. وإذا كان تقديسها اللاحق من قبل الكنيسة، وجموح الخيال الشعبي الذي تعود في الماضي شفاعة ألوهة مؤنثة، قد دفع التقوى الشعبية إلى شفى عبادتها، إلا أنه لم يدر في خلد أحد ولا في زمن من الأزمان أن يرفعها إلى مرتبة الألوهية، وإنما عدّت دوماً خليقة بشرية، امرأة بتولاً مقدسة لم تقترف خطيئة قط. وبما أنها حملت بيسوع وتجسدت فيها كلمة الله، فقد دعاها مجمع خلقيدونيا عام 451م بأم الله، وذلك تكريماً لها، لأن كل المسيحيين يؤمنون بأن الله لم يلد ولو يولد، كما هو حال المسلمين.

ولكي أقرِّب لقب «أم الله» إلى الذهنية الإسلامية، أستشهد بلقب «أم أبيها» الذي يطلقه المسلمون الشيعة على السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم وأم الحسن والحسين. فهذا اللقب لا يعدو أن يكون صيغة كلامية من أجل التعبير عن المكانة العالية للسيدة فاطمة، التي لم يَدُر في خلد أحد في أي زمن من الأزمان أن يضعها في مكانة أعلى من مكانة أبيها، ولا حتى في مكانة تعادله. وهنالك أحاديث نبوية يتداولها الشيعة تقرن بين السيدة فاطمة والسيدة مريم، ومنها أن رسول الله قال لفاطمة: يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين؟ (مسند أبي داود ص 196، طبعة حيدر آباد). فسألت فاطمة الزهراء أباها الرسول: يا أبه، فأين مريم ابنة عمران؟ قال:

تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك (رواه جماعة من الأعلام بينهم أبو نعيم في حلية الأولياء، ج 2/42، مطبعة السعادة بمصر).

وأما فيما يخص الثالوث، فقد ورد على لسان يسوع القائم من بين الأموات قوله لتلاميذه: فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ (متى 28: 19). ولكن تعبير الثالوث لم يرد على لسان يسوع ولا على لسان تلاميذه. وأسفار العهد الجديد جميعها تخلو من أي إشارة يفهم منها أن الله واحد في ثلاثة، ولكنها تتكلم عن الله فتدعوه الآب، وعن كلمة الله ورسالته المتجسدة في يسوع - الابن، وعن حضور الله القادر والفعال في العالم وتدعوه بالروح القدس. وبعد قرارات مجمع نيقية التي وضعت صيغة قانون الإيمان المسيحي، انطلقت عملية تكوين اللاهوت المسيحي. ولجأ المفكرون المسيحيون في التعبير عن سر الثالوث إلى المفاهيم والنظم الفلسفية السائدة في عصرهم، وتوصلوا أخيراً إلى إقرار عقيدة الثالوث التي تقول بالإيمان بإله واحد تقوم طبيعته على ثلاث صفات (أو أقانيم) وهي:

1- طبيعة الله الذاتية المتعالية.

2- كلمة الله التي تجسدت في الإنسان يسوع.

3- وجود الله الفعال المحيي في الخليقة.

"ونحن في محاولتنا لفهم عقيدة الثالوث، علينا أن ندرك أولاً مكانة وحدانية الله عز وجل في المسيحية، إذ إن كل تفسير لطبيعة الله المثلثة يقود إلى الإخلال بهذه الوحدانية، لا يمكن اعتباره تفسيراً صحيحاً للإيمان المسيحي. وعلى حد قول بولس الرسول: لَكِنْ لَنَا إِلَهٌ وَاحِدٌ: الآبُ الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ (1 كورنثوس 8: 6)، فالمسيحيون عندما يتكلمون عن الثالوث إنما يحاولون التعبير بطريقة معينة عن وحدانية الله. إنهم يؤمنون بإله واحد في ثلاثة أقانيم لا في ثلاثة أشخاص. والأقنوم ليس شخصية مستقلة، بل هو صفة أو مظهر أو حالة للوجود. فالله هو:

1- الآب المتعالي الخالق، الذي يتوجه إليه الناس بعباداتهم.

2- وهو من يكلم البشر ويعلن عن نفسه بواسطة يسوع الذي صالح الآب مع البشرية.

3- وهو الحي الفاعل في البشر، روح قدس حالّ في أعماق النفس وفي الآفاق.

لقد وُجد في تاريخ المسيحية بعض الأفراد والجماعات من أصحاب

النظريات التي تقول في الثالوث إنها ثلاث آلهة، ولكن الكنيسة حرمت مثل هذه الأفكار وعدتها منافية للتعليم المسيحي الصحيح. ومع ذلك فقد كان يظهر على المستوى الشعبي من خلال بعض تعابير المسيحيين وممارساتهم ميل إلى تثليث الآلهة عملياً، إلا أن هذا كان يلقي الشجب على المستوى الرسمي، وكان جواب الكنيسة دائماً عن مثل هذه الانحرافات هو ما ورد في قرار المجمع اللاتراني الرابع: إن الوحدانية في الله عقيدة لا جدال فيها من عقائد الإيمان المسيحي.

لقد قال قانون الإيمان المسيحي الذي تمت صياغته في أول مجمع مسكوني عام 325م: «نؤمن بإله واحد ضابط للكل خالق لكل ما يرى وما لا يرى». وعلى ضوء هذه الفقرة التي وردت في مطلع قانون الإيمان، علينا أن نفسر ونؤول بقية فقرات القانون.

Notes

[1 ←]

كرازة: تعبير إنجيلي من الجذر كرز، الذي يفيد معنى التبشير والوعظ والتعليم.

[2 ←]

عشار هو جابي ضريبة العشر المفروضة من السلطات الرومانية.

[3 ←]

سوف نناقش فيما بعد تشكيل آخر كلمة «قول» بالضم، لأن في ذلك رأيين وتشكيلها بالضم (وهذا ما أميل إليه) يجعلها مرادفة ل(الكلمة).

[4 ←]

ي اليهود.

[5 ←]

شعياء 7: 14.

[6 ←]

شير كلمة «اليهودية» أينما وردت في العهد الجديد إلى مقاطعة اليهودية، وهي إحدى المقاطعات الرئيسة في فلسطين إبان الحكم الروماني.

[7 ←]

والنبوءة الأصلية التي يقتبس منها متى هنا وردت في سفر ميخا على النحو التالي: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطاً عَلَى إِسْرَائِيلَ وَمَخَارِجُهُ مُنْذُ الْقَدِيمِ مُنْذُ أَيَّامِ الأَزَلِ» (ميخا 5: 2).

[8 ←]

هوشع 11: 1

[9 ←]

رميا 31: 15.

[10 ←]

لا يوجد مثل هذه النبوءة في العهد القديم.

[11 ←]

ورشليم.

[12←]

نص من ترجمتي عن كتاب:

.M. R. James, The Apocryphal New Testamesnt, Oxford, London, 19

ظر أيضاً ترجمة حسان ميخائيل إسحاق في كتاب: إ. س. سفينسيسكايا، المسيحيون الأوائل، دار علاء الدين، دمشق، 2006، ص 271 وما بعدها.

[13←]

اجع سفر العدد 16.

[14←]

وهو ستارة تفصل القسم الداخلي من المعبد، وهو قدس الأقداس، عن القسم الأوسط.

[15←]

أرجوان هو لون عباءة الملوكية. ومريم هنا تنسج رمزياً عباءة الملوكية ليسوع.

[16←]

رفياً «سرق زواجها». لقد كان على يوسف أن يحافظ على مريم إلى حين عقد القران الرسمي عليها.

[17←]

شارة إلى الشعب اليهودي الباكي لأنه ابتعد عن الرب برفضه لمسيحه، والشعب الوثني المبتهج لأنه اقترب من الرب بقبوله مسيحه والإيمان به.

[18←]

نهي الكاتب هنا الحديث بصيغة المتكلم فجأة مثلما بدأ به في أول المقطع.

[19←]

يما يخص سمعان هذا، راجع ما ورد عند لوقا 2: 25-35.

[20←]

.M. R. James, Apocryphal New Testament, Oxford London, 198

جع أيضاً ترجمة اسكندر شديد في كتاب «الأناجيل المنحولة»، سلسلة الكنيسة في الشرق، لبنان 1999.

[21←]

.M. R. James, Apocryphal New Testzment, Oxford, London, 198

[22←]

من أجل النص الكامل للإنجيل العربي، راجع: اسكندر شديد: الأناجيل المنحولة، سلسلة الكنيسة في الشرق، لبنان 1999.

[23←]
مسيانية: من الكلمة اليونانية ماسيا والتي تعني المسيح.

[24←]
هو هيرود الكبير الملقب بهيرود العربي نظراً لأصله الآدومي. وقد عينه الرومان ملكاً على كامل فلسطين وسورية الجنوبية، وحكم من عام 38 إلى عام 4ق.م. وقد كان هيرود أنتيباس ملك الجليل أيام يسوع ابنه.

[25←]
مقصود هنا مصدقاً بعيسى الذي يدعى في النص القرآني كلمة الله.

[26←]
عندما سمع النبي ناثان بما جرى، دخل على الملك داود وروى له قصة الرجل الذي يملك غنماً وبقراً كثيرة جداً، ومع ذلك فقد استولى على النعجة الوحيدة التي كان صديقه يملكها وقدمها ذبيحة لضيفه. ثم سأل ناثان داودَ عن حُكمه في هذه المسألة، فقال له داود إنه يحكم بقتل الرجل ويرد النعجة أربعة أضعاف، فقال له ناثان: أنت ذلك الرجل.

[27←]
ي اليهود.

[28←]
هنالك اختلاف في إعراب كلمة "قول" الواردة في هذه الآية. فالبعض يضبط آخر الكلمة بالفتح ويقرؤها "قولَ"؛ أي أقول قولَ الحق. والبعض يضبط آخرها بالضم ويقرؤها "قولُ"، أي إن عيسى هو قولُ الحق، بمعنى كلمة الله. وقد اخترت القراءة الثانية.

[29←]
فندق.

[30←]
ارقليط.

[31←]
ارقليط.

[32←]
لتوسع في موضوع البارقليط والبيريقليط، راجع: عبد الأحد داود: محمد في الكتاب المقدس، ترجمة فهمي شما، قطر 1985.

[33←]
يو ودنغرين: ماني والمانوية، ترجمة سهيل زكار، دمشق 1985، ص 103.

[34←]
ظلمت وخبا نورها.

[35←]
ـقضت وتساقطت.

[36←]
ـهنم.

[37←]
ـروعه.

[38←]
ي محمد $.

[39←]
ـمدين.

[40←]
قرضوا دون رجاء السداد.

[41←]
قد ورد في إنجيل يوحنا أن يسوع خرج وهو يحمل صليبه.

[42←]
ي اليهود.

[43←]
.J. M. Robinson, edt, The Nag Hammadi Library, New York, 1978, P 33

[44←]
.M. R. James, The Apocryphal New Testament, Oxford, 1983, PP. 228 F

[45←]
ـخت لعازر.

[46←]
في رواية لوقا سكبتها على رأسه.

[47←]
ـيهود.

[48 ←]
سوع.

[49 ←]
اراباس.

[50 ←]
وريوس.

[51 ←]
وريوس.

[52 ←]
.epistat

[53 ←]
ذه المقتبسات من الأسفار غير القانونية هي من ترجمتي عن:

.J.H Charlesworth, The Old Testament Pseudepigrapha, NewYork,19

[54 ←]
وصنا أو هوشَعَنَّا، هتاف للتحية والتمجيد.

[55 ←]
ذه المقاطع من سفر أخنوخ هي من ترجمتي عن:

J.H Charlesworth, The Old Testament Pseudepigarapha, Dobleday, New Yo
.1983, pp.13 ff

[56 ←]
باليونانية القديمة، وهي لغة الأناجيل. يرد التعبير: (ho huios tou
antropo)، وهو ترجمة للتعبير الآرامي (bar enasha) أو (bar nasha)، أي
"ابن الإنسان".

[57 ←]
ذه المقاطع من الميثولوجيا الكنعانية هي من ترجمتي استناداً إلى عدد من
المراجع لباحثين بارزين في الأوغاريتيات.

[58 ←]
ذه المقتبسات من الأسفار غير القانونية هي من ترجمتي عن كتاب:

J.H Charles worth, The Old Testament Pseudepigrapha, Dobleday, New Yo
.1983

[59←]

حول هذا المفهوم راجع تعليق أبو العلا عفيفي على كتاب "فصوص الحكم" لابن عربي، الصفحات من 319 إلى 322.

[60←]

اجع د. سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، ص 347 وما بعدها.

[61←]

ذه الآية وسابقتها اقتباس عن الترجمة الكاثوليكية للعهد الجديد لعام 1969.

[62←]

ن الترجمة الكاثوليكية الجديدة للعهد الجديد. بيروت 1969.

[63←]

شيطان.

[64←]

ن الترجمة الكاثوليكية الجديدة للعهد الجديد. بيروت 1969.

[65←]

ي القرآن.

[66←]

وقد ألمحنا في موضع سابق إلى أن جملة "مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللّهِ" تعني هنا مصدقاً بعيسى المسيح، على اعتبار أن بعثة يحيى قد سبقت بعثة عيسى، وأنه مهد له الطريق وأعلن عن قدومه.

[67←]

وقد ألمحنا في موضع سابق إلى أن كلمة "قول" يمكن أن يضبط آخرها بالفتح، ويكون المعنى "أقول قولَ الحق". ويمكن أن يُضبط آخرها بالضم، ويكون المعنى إن عيسى هو قولُ الحق، أي كلمة اللّه.

[68←]

ن الترجمة الكاثوليكية الجديدة للعهد الجديد. بيروت 1969.

[69←]

«أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى».

[70←]

فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ».

[71←]
....فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ».

[72←]
طريف الخالدي: الإنجيل برواية المسلمين، دار النهار، بيروت، 2003، ص 82.

[73←]
المصدر السابق، ص 114.

[74←]
المصدر السابق، ص 133.

[75←]
المصدر السابق، ص 155.

[76←]
إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ».

[77←]
ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ».